

الكتاب العربي السعودي ٥٨

محمد حسين زيدان

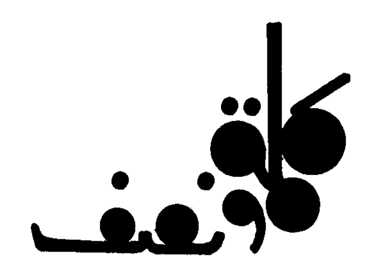
كلمة ونصف

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم


الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب : ٥٤٥٥ - هاتف : ٦٤٤٤٤٤٤

جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة للناشر



مقدمة

بقلم سباعي عثمان

وأنا أتنقل خلال سطور هذا الكتاب فى تحفظ ، تلفَّت حولى ـ كالمستغيث ـ أتساءل .. من أى المداخل ، أتلمس طريقى الى هذا الخضم الواسع من فكر أستاذى محمد حسين زيدان ، ولا أخفى ما شعرت به من حيرة أمام هذه الموسوعة المتنوعة .. ولكن عزائي ، هو أننى لا أتناولها لأقول ما ينقصها ، أو ينقص كاتبها من قول ، ولا لأشرح ما أستغلق من أفكاره ـ فأسلوب الأستاذ الزيدان معروف بسهولته الممتنعة ـ وانما أنا أستجيب لدعوة كريمة من المؤلف ، ربما أراد بها تشجيعى ، أو ترشيحى لاستقبال القارئ على أبواب هذا السجل القيم .. ولعلى ثانى تلميذ يقدم لأستاذه ، بعد الصديق الأستاذ عبد الله جفرى الذى قدم لكتابه : « ثمرات قلم » .. وفى مثل هذا التواضع منه تكمن عظمة العلم ، ويشع جلال العلماء ، وسماحة المفكرين ..

وأستاذى الزيدان ـ وإن كان فى غير حاجة إلى التعريف ـ إلا أن هذه فرصة نادرة بالنسبة لى .. لا لأعرفه ، وإنما لأعلن عن معرفتى به من زوايا ـ ربما ـ لا يعرفها غيرى من البعيدين عنه ، وذلك من خلال صلتى به ، قارئا ، ومتابعا لفكره ، وأدبه ، منذ الثمانينات ، ومتلقيا لأماليه ، خلال عملى بصحف الندوة ـ

وكان رئيسا لتحريرها .. وعكاظ وكان واحدا من أسرتها ، وكتابها ، وأبا روحيا لمحرريها - والبلاد ، والمدينة ، وهو أحد كتابها البارزين ، ولايزال قلمه يفيض من معين لا ينضب ، ولا يجف .!

ومن خلال هذه التجربة ، عرفت أستاذى الزيدان ، كاتبا ، حاضر البديهة .. يتمتع بقدرة فائقة على ترتيب أفكاره ، خلال ارتجاله المألوف لدى عارفيه ، وهو من أقوى من عرفتهم ذاكرة ، وحضورا ، ولا يكاد مستمعه أن يفرق بين أسلوبه كاتباً ، عندما يقرأ له ، أو محدثا عندما يصغى اليه .. وقليل من الناس يتمتعون بهذه الخاصية التى تنم - عادة - عن التمكن والأصالة ، وسعة الأفق ..

ونحن أبناء هذا الجيل نعرف الأستاذ الزيدان معرفتنا ببعضنا ، فهو أقرب أدباء الرعيل الأول إلينا ، موجها ، ومحدثا ، ومناقشا لمحاولاتنا ، وتجاربنا الغضة منذ بدايات عهد بعضنا بالأدب ، وبعضنا بالتأدب ، أو الصحافة ، و « التصاحف » إن صح هذا التعبير .. ربما بحكم لقاءاتنا المستمرة به .. زائراً ، أو كاتبا ، أو مراجعا ، أو ممليا لكتاباته ..

بين دفتى هذا الكتاب مجموعة منتقاة من مقالات الأستاذ الزيدان المتنوعة ، يسعدنى أن كثيراً منها ، من أماليه عليّ ، فى الندوة ، أو البلاد ، أو عكاظ ، أو المدينة .. لأ أذكر .. ولكننى أتذكر بعضها الآن كلمة .. كلمة ، وأتذكر كثيرا مما استوضحته من عباراتها عبر الهاتف ، فكان يعيدها عليّ - كما لو كان جهاز تسجيل - فكنت أعجب لذلك أشد العجب .. ثم - مع مرور الأيام - أصبح أمرا مألوفا لدي ، لا يثير ما كان يثيره من دهشة .!

وفيما بين يدي القارئ - مما ضم هذا الكتاب - يتنقل الأستاذ الكاتب ، بين الأدب ، والتاريخ ، والسياسة ، والاجتماع ، والتربية ، وشؤون أخرى من هموم المجتمع ، وقضاياه ، فيما يشبه السياحة الفكرية ، فيوفى كل هذا حقه ، من خلال

رؤية مستنيرة ، وفكر ذى خصائص أصيلة ، ومتميزة .. إنها حصيلة ، غنية بالتجارب الطويلة فى ميادين مختلفة ، مع الحياة ، والناس .. فيها المعاناة بين الاخفاق والنجاح ، والتطلع والاحباط ، فكان هذا العطاء الرائع الذى يقدمه للناس .

والأستاذ الزيدان من أكثر كتابنا انفتاحا على الفكر المعاصر ، بصفته الموسوعية ، وصفة المتابعة التى لازمته ، ولازمت كثيراً من أدبائنا الكبار ، فهو يقرأ فى كثير من مجالات المعرفة ، ويكتب ـ أيضا ـ فى مجالات شتى .. ربما ، انطلاقا من التعريف التراثى للأدب ، بأنه « الأخذ من كل فن بطرف » .!

وكما سبق أن قلت ـ فى بدايات هذه التقدمة ـ اننى لا أحاول أن أقوم (بتشديد الواو وكسره) ـ هذا العمل ، ولا أحاول تفسيره ، أو تقدير قيمته ، فتلك مهمة ، أنا دونها ، عندما يكون موضوعها ، هو فكر الأستاذ الزيدان .. وإنما أستجيب لاستضافته التى أعجز عن التعبير عن امتنانى لها ..

أما مبدأ جمع المقالات المنشورة فى كتاب يصدر للناس ، فمبدأ ، أتحفظ تجاهه أشد التحفظ ، وهى ظاهرة تكاد تتفشى بين كتاب الشباب فى غياب جهة تُعنى بتقويم و « تقييم » ما يطرح على الساحة الأدبية من منشورات .. على الرغم من ما فى بعضها من الأفكار الخلاقة ، وما فى بعضها من بوادر ابداعات موفقة ..إلا أن التسرع فى النشر ـ قبل نضجها ونموها ـ يجهضها فى فترة التكوين .!

ولتحفظى تجاه جمع المقالات المنشورة فى كتاب ، أسباب :

١ ـ إنها تجىء عادة تعليقا على خبر ، أو تحليلا له ، أو هو بين التحليل ، والتعليق ، وقليل منها تكتب كتابة فنية ، عميقة التناول ، ومعظم هذه الكتابات ، تكتب فى ظروف عاجلة للوفاء بالتزامات صحفية يومية ، أو أسبوعية ..

٢ ـ كثير من هذه المقالات تكون وليدة مناسبات تَستنْفِدُ أغراضها ، بتبدل هذه

الأغراض أو تبدل ظروفها مع الزمن ، تجاوبا مع هذا الـرأي ، أو ذاك ، فالصحافة مرآة المجتمع وانعكاس لآماله ، وتطلعاته التى يترجمها الكتاب عادة ..

٣ ـ هذه المقالات لا تنشر ـ أصلا ـ لضمها ، فيما بعد ، فى كتاب ، ولهذا الاعتبار قيمته وأثره على الفكرة ، والأسلوب .!

بطبيعة الحال .. لا ينسحب هذا القول على انتاج أدبائنا الكبار الذين لم يعرفوا ظاهرة التسرع لأنهم :

١ ـ نشأوا على أسس علمية متينة لا ينشأ عليها الشباب اليوم .. لا فى مناهج التعليم ، ولا فى حصيلتهم الثقافية الحـرة .. لغـة ، وأسلوبـا ، وادراكا ، وهضما ، وقدرة على توظيف محصلاتهم العلمية والثقافية ..

٢ ـ لأن حصيلة أدبائنا الثقافية والعلمية غزيرة ، ومتنوعة ، وموصولة ..

٣ ـ لقلة دور النشر فى فترة شبابهم بالصورة التى نشهدها اليوم .

٤ ـ إن أدباءنا الكبار يحرصون ـ عادة ـ على مراجعة مقالاتهم المنشورة لتهيئتها للطبع ، إلى جانب ، أنها ـ أصلا ـ ذات قيمة أدبية وفكرية كبيرة .

وهذا شأن كتاب الأستاذ الزيدان الذى بين يدي القارىء بعنوان « كلمـة ونصف » الذى نشرت موضوعاته فى العديد من صحفنا المحلية وأذيعـت عبـر مايكروفون إذاعة المملكة العربية السعودية .. وكان لها أثر كبير ، وستظل ذات أثر ممتد لأجيالنا القادمة ، علما ، وفكرا ، وتوجيها ، واصلاحا ، شأنها ، شأن كل فكر أصيل ، ذى روافد أصيلة .!

إسلاميات

عن الإسلام وتاريخه

● وحينما أخذ الغرب عنا نحن العرب العلوم والفلسفة والأدب فى كثير صوره ، وأخلاق الفروسية وصناعة السيف بدل البلطة ولعبة الكال « الجولف » وما اليها سواء كان ذلك مما نقلناه وترجمناه وصقلناه ، أم هوافترعناه واخترعناه ـ لم ينغمسوا في تقليدنا فيما نلبس أو نأكل ، أو مما ندين به ونتمذهب له .. فاستنارت عقولهم وبقى وجدانهم يتبلور بما تصنع العقول وما تفرضه التقاليد وما تلتزم به البيئة ، وما يحترم به الاعتقاد .

وهم حينما أخذوا « الرومبا » و « السنبا » من موسيقى أفريقيا ورقصات الزنـوج لم يلبسوا « الكشكشة » و « النسعة » ولم يخضعوا للطقوس من السحر والشعبذة ، فلم يأكلوا لحوم البشر ، وإن سفكوا دم البشر ، وإن استرقوا الإنسان .

والسابقون الأولون منا نحن المسلمين والعرب لم يأنفوا من الأخذ عن أمم سبقت علوما وفلسفة وصناعة وخططا ونقودا وتدوين الدواوين .

قال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ، في تعليم لنا ، يعلمنا تنظيم العلاقة بين الزوج وزوجه : « بلغنى أن الروم تفعله فلا يضرها » أباح بذلك ما منع من قبل .

أخذنا عنهم بجد الأولين ، وأعطيناهم بسخاء المؤثرين . فلم يلبس ابن سينا وابن رشد والفارابى والمعرى وابن حيان وابن الهيثم والخوارزمي زنار يونان . ولا مسوح قسيس ، ولا قلنسوة المرزبان ، ولا أمسك أحدهم بعصا الهرمزان ، ولم يعوج لسان واحد منهم برطانة يتطرف بها ، بل كان يجيد التراطن للترجمة والفهم ، لسان أعجمى وقلب عربي ووجدان مسلم .

فوضعوا العلوم ، وضعوا التفوق ، وغرسوا « بالجوانية » العمق الفوقاني ، فلم يسخروا من أنفسهم بالزي « البراني » الزائف ، وكنا بذلك الأمة الوسط والانسان الوسيط بين

قرون خلت وقرون تأتي وتأتي !

وضعنا العلوم والأخلاق والتفوق موضع الاستفادة والافادة .. فقانون الشيخ الرئيس مكث قرونا المرجع الأول للطب في الغرب كله ، وحتى لقد قرر تدريسه في أكثر من جامعة .

وجئنا نحن في القرنين التاسع عشر وهـذا العشرين فأخذنـا كل شئ بالتقليد لا بالتجديد .. تخنفسنا كما تخنفس الصبية الضائعون ، ورقصنا كما رقصت علب الليل . فلم نجد إلا ضيعة .

وجاء الضياع بالبدعتين ، غربية في البرلمانات والانتخابات والأحزاب والدساتير .

وشرقية بالحرية يخنقها طلب الخبز ، وبالخبز لا تحققه الحرية ولن يكون دونها .. بالحزب الواحد المعلن عنه في يده سلطان ينكر على غيره أن يوجد ، فاذا مستور تحت الرماد وتحت التبن ، يخرج حينا على غرة ليكون هو الواحد بسلطان منفرد ، ليختفى حزب يخرج فيما بعد .

بدعة الاستيراد ، وابتداع في التقليد لن تكون فيه الأصالة ، ولن يكون إلا هذا الشر ، وهذا الخلاف .

بدعة الغرب جرت فرقة الشعب على نفسه ، وبدعة الشرق صنعت فرقة الأمة كلها شيعا وأحزابا .

● أيام مسلحة من حقها علينا ألا نكتب إلا لها .

ما لها نكتب لها ؟..

لها قرآنها .. لها مبادئها .. أقول الصدق : تكتب لنا .. تبصر أنفسنا ، فحتم علينا أن نحارب « يهودا » .. ذلك الحتم فرض علينا أن نجاهد .. ذلك الجهاد فرض علينا أن نعقد مؤتمر قمة .. فهل كل فرد منا هو المسلم حقا ليكون القاعدة لهذه القمة ؟؟.

المسلم حقا لا يدعو الى عنصرية .. لا يستل سيفه من أجل قبلية .. لا يجعل في مجتمعه تفرقة .. تجعل إنسانا يمتاز على إنسان .. تحت هذا شئ كثير نحن نفعله .

الإسلام قاتل النعرات .. الإسلام فارض الجماعة .. حرب على كل فرقة ..

ليس فيه قميص عليه الدم الكذب ، وليس منه الذريعة بالقميص عليه دم صادق .. دم

عثمان .. كل ما فيه (أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

القمة المسلمة في يومها الرائع ستتصافح .. تجعلنا ننشر بيض الصفائح .. تجعلنا ننشر لاسود الصحائف ..

تلاحى عمرو بن العاص مع خصيم له ، وما أبعد أبا عبد الله عن الغضب ، ولكنه غضب ، فنادى كأنه في أحضان العاص بن وائل ، أو هو تحت راية حرب بن أمية .. نادى : يا لهصيص ! .. نادى قومه ، فأمسك به ابنه عبد الله .. ذلك الولد الخير : ماذا قلت يا أبتاه .. أدعوة الجاهلية تبغى ؟.. دعها تحت قدميك كما وضعها رسول الله يوم الحجة .. حجة الوداع !..

فاسترخى عمرو ، واسترجع عمرو ، واستغفر عمرو ، وقال :

ـ ما كفارتها يا عبد الله ؟!.

هى ذنب يسأل أن يكفر عنه .. هذا هو المسلم .. صاحب فتح الفتوح .. سواء فى بيت المقدس أو على الفسطاط ، فقال له ابنه عبد الله : كفارتها أن تعتق رقبة !.

فسمع عمرو نصيحة المسلم للمسلم ، وأعتق الرقبة !!

لقد أضاف عبد الله الى استغفار أبيه غفرانا جديدا لنفسه .. بالنصيحة لأبيه .. بالوقفة الصامدة يثبت حق الاسلام في اسقاط النعرات .. يثبت معنى الاسلام في أكثر من ذلك .. في اعطاء الحرية لانسان ..

هكذا المسلم .. القاعدة عبد الله بن عمرو . والقمة عمرو .. أما غير ذلك فشيء غير ذلك !!

● وتحدث إليَّ جمع كبير قال الكلمة الواعظة : لقد كنت أسأل ماذا يعنى المسلم بدعائه هذا « اللهم لا ترنا عجائب قدرتك ؟ » .

حتى عرفتها فى هذا الانسان . وصل إلى تفوق فى التقدم والحضارة والوقاية . ثم هو العاجز عن مقاومة ما سخره الله ، كما هو العاجز عن الشكر .

فالصواعق ، والزلازل ، والأعاصير ، والفيضان كلها أو واحدة منها يقف أمامها

الانسان بكل ما لديه عاجزا عن المقاومة والصمود .

فأخذت العظة أرويها لصديق عالم . فقال : لقد قرأتها لكابر من أكابر العلماء .

فالامام الاخلاقى ذكر فيما قرأت له أنه سمع عجوزا تدعو على ظالم ظلمها فتقول :

« اللهم أرنى فيه عظائم قدرتك » .

فأخذت أذوق معناها الكبير حتى إذا مضى يوم أو يومان فاذا بى أسمع عجوزا ثانية تدعو فتقول : « اللهم أرنى فيه عجائب قدرتك » .

وحفظت الاثنين . أيهما أمكن وأشمل وأدق . وبعد أيام وجدتنى أميل الى الأخيرة فكل عجيبة عظيمة . وليس كل عظيمة عجيبة . فالهلاك بالطامة والصاخة والقارعة والصاعقه أمر عظيم . ولكن أليس العجيب العظيم الاهلاك بالقمل . هذه الحشرة الدقيقه بماذا أهلكت . أوبقرصها ومصها ؟ أم بالشئ الأدق تحمله . ميكروب الحمى .. تيفوس أو الراجفة . والضفدع حيوان صغير كالقمل أهلكت به اليهود ! بماذا أهلك ؟

لقد أهلك بما يحمل من ميكروب . جرثوم مبيد .

فاللهم إنا بيهود جاءت بكل قوى الانسان المارد .. فأرنا فيها عظائم قدرتك . وعجائب قدرتك يا ولي المؤمنين وناصر المسلمين .

● من ظهيرة أمس هبت رياح على تهامة . فقامت بعض قطع من السماء .. فسألنى أحدهم جازعا من الغبار : ايش هذا ؟ .. قلت له : إذا أغبرت تهامة أمطرت سماؤها . اللهم أجعلها رياحا . ولا تجعلها ريحا !

غريب هذا الحديث .. فالريح الواحدة من مهبها الواحد .. تبعثر السحاب .

والريح المتعاكسة تسوق السحاب الى بلد ميت .. هى اللواقح .. بقوتها تسوقه .. بحملها الى ذرات الغبار تكثفه ليمطر . ولقد جاء فى العلم الحديث ما يفسر لنا هذه الأخبار . والآيات البينات ..

يقولون : إن المطر تحمله رياح إستوائية جنوبية . فاذا اصطدمت برياح مضادة تساقط المطر . فهى إذن رياح سائقة . وملقحة .

ويقولون : إن الغبار إذا ثار بقوة الرياح ، أو أثير بعمل الانسان تكثف السحاب كأنما هو يثقله حتى تأتى الرياح تنزله .

وفى استقراء التاريخ قرأنا أن الهنود الحمر فى أمريكا كانوا يستنزلون المطر .. يتحينون حتنه . فيثيرون الأتربة ، بالحيوانات .. يعملون على تصاعد الغبار حتى يتكثف السحاب فينزل المطر .. يعنى أن هؤلاء الهنود الحمر عرفوا سر المطر الصناعى بالتعامل مع السحاب على هذه الصورة .. قبل أن يصنعه الشعب الذى حل محلهم بالطريقة العلميه .. ما ترك الأول للآخر . ومن سنة هذا الإسلام الاستغاثة .. دعامتها الأولى الدعاء إلى الله ، ويتخذ العارفون وسائل لذلك .. فخروج الحيوانات والأطفال لاستجلاب الرحمة هو أيضا أحسبه فيما أظن عملا لاثارة الغبار . وهذا عمر رضى الله عنه حينما تأزم الأمر فى عام الرمادة ، وعزم على الاستغاثة ، وقبل أن يستشفع بالعباس قال للعباس : ارقب لنا نوء كذا .. كأنما هو أراد أن يتحين الحتن ـ الوقت ـ ليجأر بالدعاء .. فالرحمة من الله قبل كل شئ ، والرياح والسحاب من وسائل الرحمة .

جدير بنا أن نتخذ الوسائل المفيدة بالعمل المفيد لنستدر الرحمة من الله ، يحب الرجل العامل . والانسان الذى يفكر فى آيات الله ، ويكره الرجل البطال !!

● وجلس بجانبى ـ وقد كنت أذعت حديثا مسلما عن بطل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى « صوت الاسلام » وسلم ثم تكلم .

ـ قال : ابنتى سمعت حديثك فأعجبها .

ـ قلت له : ذلك لأنها مسلمة .

وانتظرت أن يتطرى وجدانه بشئ من إيمان ابنته ، ولكنها الفجيعة !

الفجيعة أن قال بلهجة ساخرة : مسلمة ! مسلمة ! خليك بلاش كلام .

وأحسبنى دهشت ، ثم تركته لا أجيب بل انصرفت عنه أتحدث مع غيره .

« شنشنة أعرفها من أخزم » .

وسيأتى يوم يتكشف فيه الغطاء عن أمثال هذا المسخ المتورم .

● قلت لفتى مسيحى فى بلد عربى : سلامات .. سلامات .. اليوم أسافر .

ـ قال : أتسافر الى بلدك مهد العروبة ، مهد الذين فتحوا وعمروا ؟ إذا بلغت منازل صناع التاريخ اقرئهم سلامى ..

- قلت : أتعرفهم ؟ أتحبهم ؟

واكفهر وجه الفتى ، أربد ، وقال : اسمع إذا أخرجنا عظمة محمد من مجد إنسانيته ، وعمل شريعته ، وفضائل رسالته ماذا يبقى لكم أنتم أيها المسلمون .. وماذا يبقى لنا نحن العرب .؟

إن عظمة محمد البشر فى اعتقادى (يعنى اعتقاده هو) أمر لا جدال فيه من هنا أحبه كعربى ولو كنت نصرانيا .

وإن عظمة محمد كرسول الله فى قلبك المسلم ينبغى أن يكون الحب لتوطيد الايمان .

الايمان بالرسالة ، صدق الدين ، والحب للرسول ، صدق الايمان فى وجدانك .

- قلت له : هذا شئ تغرق فى تفاصيله ، ولكن التحديد فى قوله عليه الصلاة والسلام .. « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وولده ».

إن حب المسلم لرسول الله معناه الطاعة والتقوى والأدب .

وليس هو طقوسا ولا كهنوتا ولا وسطاء .. وإنما هو توحيد الله ، أشرف المقامات ليزداد الايمان بالطاعة والحب والأدب .

هيا بنا نؤمن ساعة إذا بصقنا فى وجه من يسخر من إسلامنا . إن الذين فى طبعهم سخرية الى هذا الحد . أن يكونوا ساخرين من أنفسهم يعيشون فى غربة وكربة من نظرتنا اليهم تقصيهم وتقمع رؤوسهم ، لا مجد لهذا البلد دون إسلامه ، ولا مجد لأهله إلا بكونهم المحمديين المسلمين .

وقال : هذا قولى . هذا حبى .

● وأعوذ بالله من الرعب أن يقذف فى قلوب الرجال فيهلكون أنفسهم بالرهبة والخوف . فالاستكانة والقتل !!

وأسأل الله أن يقذف الرعب فى أفئدة العدو ، أى عدو لهذا الدين . لهذه الأرض . لانسانها البانى حياتها بحياته ، كأنما هو قد خلق لها وخلقت له . فجاء الأفاكون الأفاقون ينزعون الأرض من تحته شبرا فذراعا الى الفراسخ والأميال ، وأعانهم الذين تألبوا على الاسلام . يتداعون علينا كما تتداعى الأكلة على القصعة .. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرعب .. الرعب .. قتال النصر .. هازم الأمم .. معطل السلاح .. هو سلاح العدو كأحسن من سلاحه المصنوع فى يده .

فمن جوامع الكلم قول الصادق المصدوق سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام : « نصرت بالرعب ».

الرعب يجعل الرجال طلاب سلامة ، يفرون من الموت فى ساحة الشهداء وبحر السلاح ، الى الموت حتف أنوفهم كما تموت الحرة المربوطة بأوتاد تقيم على مذلة كما هو الوصف لعير الحى يشج فلا يرثى له أحد :

ولا يقيم على ذل يراد به ... إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثى له أحد

● قرأت لأمير البيان أبى غالب شكيب أرسلان هذه الحكاية قصها فيقول :

ـ غزا التتر العراق وعاثوا فى ربوع الرافدين ـ وكانت قلوب الناس قد خلعها الرعب ـ فدخل تترى على جماعة بلغوا العشرين وأكثر ..

ـ فقال : أنتم هنا .. أنتم هنا . سأذهب أحضر سلاحى فأجئ لأقتلكم ..

وسكتوا عنه ، أكل شجاعتهم الرعب .. كأنما هم أغنام لا تفهم ، تنظر السكين من جزارها .

ورجعت نفس واحد منهم .. فقال : ما هذا ؟ هل نصبر عليه حتى يقتلنا ؟ وشد من عزم الرجال وتربصوا حتى إذا حضر تناولوه وتناوشوه فقتلوه ونجوا .

هكذا الرعب نفذته دعاية وغفلة ونكوص ودعة وسلبية ممعنة فى الهرب من طلب السلامة وكراهية الموت !!

وهكذا الانتقام تصنعه كلمة من شجاع صادق فى قلوب رجال ينفع فيهم الكلام الصادق المؤمن .

أيام مباركات

● الحمد لله على نعمه ، والشكر له سبحانه على جزيل فضله ..

والنعمة والفضل ، تتجسدان فى هذه الكلمة .. كلمة التوحيد ، وهذه السلامة بالدين الخاتم للأديان ، والنبوة لمحمد سيدنا على رسل الله وعليه أفضل الصلاة والسلام بهذا النور : القرآن !!

الاسلام دين الحق ، وكلمة الحق ، والعمل الحق ، والمصير الحق ، هو فرض الله علينا كركن من أركانه صوم رمضان ..

رمضان نصوم طائعين ، غير أنا نجهر بالدعاء اليه جل جلاله نسأله أن يمنحنا رمضانا ناصرا منتصرا مثل ما سبق من رمضان فى تاريخ هذه الأمة .

رمضان واحد لا يمكن أن يكون لنا أو لأحد غيرنا مثله ، ذلكم هو الشهر الذى نزل فيه القرآن ، أول ما نزل فى حراء ابتداء بالنبوة « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

حتى اذا تمت نعمة الرسالة فى بداية المدثر ، وكملت النعمة بتمام الدين فى عرفات .. نحن نسأل أن يمكن لهذه النعمة بالثبات منها علينا ، والثبات منا عليها ، فاللهم ثبتنا بالقول الثابت : رمضان الوحيد خصه الله بوحيه نزل على محمد عليه الصلاة والسلام .

لكنا نسأله أن يمنحنا رمضانا كرمضان بدر تنتصر فيه كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة .

ورمضانا كرمضان الفتح ، يتم فيه النصر ، وتكمل النعمة ، ويغفر الله فيه الذنب ، ويكون فيه النور العظيم .

ورمضانا كرمضان حطين ، نطهر الأرض المباركة ويفتح بعده بيت المقدس .

رمضانا تكون الاخوة فى دين الله ، تبرأ الذمم ، وترتاح القلوب .

فاللهم أسبغ علينا نعمة هداك لنكون أهلا نستأهل نصرك .

الرحمة ، الرحمة يا رب : فيا خسران من لم يرحمه الله بهداية التوفيق ، وسلامة الطريق ، وصدق الرفيق .

● سؤال أطرحه على الإذاعة فى جدة ؟

فقبل يومين كنت فى مكة المكرمة ، وفى بيت لا يفطر أهله إلا اذا سمعوا المدفع من الراديو !!

البيت فى « جرول » .. وجلسنا الى المائدة .. نسمع الراديو . نؤمن ساعة بسماع القرآن تلاوة شيخنا عبد الله خياط أمد الله فى عمره وزاده توفيقا وقبولا .

وامتد الزمان ، وطال الانتظار ، فالساعة بلغت السادسة إلا ربعا ، ونكون بهذا الوقت قد أفطرنا على المدفع فى جدة .. وعجبت !! إن مدفع الافطار فى جدة لا يضرب إلا عند غروب الشمس ، والشمس تغرب فى مكة قبل جدة بدقائق أربع أو أكثر بثوان أو أقل بثوان .. فلماذا تأخر اعلان الافطار من الراديو .. فالقرآن لا يزال نسمعه .

وصبرنا حتى السادسة إلا عشر دقائق أى بعد جدة بخمس دقائق .

فى الساعة السادسة إلا عشرا . سمعنا الدعاء من الشيخ محمود الصواف ، أعانه الله على شأنه وأبقاه .

عجيب !! ألا يكون شريطاً مسجلاً وترك هكذا حتى ينتهى ؟ فليس من المعقول ألا يضرب المدفع إلا بعد السادسة إلا عشر دقائق .

ـ قم يا خالد .. تعال انظر يا محمد .. انظر الليل أقبل من المشرق ، والنهار أدبر من المغرب . أوشكت النجمة أن تطلع !!

إننا مأمورون بتعجيل الافطار وتأخير السحور .

وفرحت حينما انتهى الشريط ، تلاوة ودعاء ، وصوت المدفع فى الساعة السادسة إلا عشر دقائق ، أى بعد جدة بخمس دقائق .

وسمعنا المذيع يقول : ما يفهم منه : أن الآذان ينقل على الهواء من منائر المسجد الحرام .

هذا حصل وفى مكة .. ولا زلت فى شك من مر اليقين عندى .

وبالأمس الأول أحببت التأكد فرصدت الراديو أفتحه وأنا فى جدة ، اطابق به على الأذان والمدفع .. وضرب المدفع فى جدة ، وأفطرنا ، ولا زال الراديو يذيع القرآن نسمع الشيخ الخياط ، وبعده الصواف . مضت دقائق خمس أو أكثر وقال المذيع : هنا صوت الاسلام .. الأذان ينقل من المسجد الحرام .

هذا عرض كدهلزة أبسط فيها الواقع لابدأ السؤال :

السؤال هو : هل هذا المدفع والأذان منقولان رأسا من المسجد الحرام فى التو واللحظة ؟ ويترتب عليه انتظار أهل مكة أن يفطروا عليه . فلا يفطروا حتى يسمعوا مدفعه ؟ ولا يكونون قد تأخروا حتى تطلع النجمة ؟

أم هو شريط مسجل يذاع للتبرك ولا غير ذلك .

أعتقد أنه شريط .. لا يراقبه مذيع يصلح الحبكة الفنية بدقة التوقيت الملائم .

اذا كان ذلك كذلك فاعلموا الناس .. يا ناس .. يا ناس أفيدونا ولكم الأجر والثواب .

● اليوم اسمه الأربعاء ، وعدده فى أيام الشهر المبارك هو السابع عشر .

السابع عشر ماذا يعنى ؟؟

يعنى شيئا كبيرا فى تاريخ هذا البلد .. هو فى وجدان المسلم .. يوم حراء .. يوم تجلى الله .. أذن للروح الأمين أن يعلم محمدا الأمين النبوة :

« إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

هل هو الإنسان كل الإنسان .. علمه ما لم يعلم ؟ نعم ..

أم هو هذا الإنسان الكامل خصه الله بأن يعلم ما لم يعلم ليعلم كل الإنسان ما لم يعلم ؟؟.. قرآنا عربيا غير ذى عوج .. إسلاما دين سلام .. ايمانا يرتفع به الإنسان إلى السماء .. لا يخفض رأسه إلى الأرض .. يصبح بذلك سيد نفسه .. لا يكون عبدا لأحد لأنه هو العبد لله حطم فى نفسه الصنم .. يعنى حطم الخوف .. يعنى أسقط الذلة .. ألغى

الكهنوت .. لا يشترى الجنة بصك غفران .. وإنما يشترى الجنة حينما يستشهد فى سبيل الحق الموصل الى الجنة .. الحق كلمة التوحيد تحققت بتوحيد الكلمة .

ويصادف هذا اليوم فى ذاكرة التاريخ انتصار المسلم على نفسه .. يرمى الثمرات ليتقى الجمرات من نارجهنم ،ليأكل الثمرات فى جنة عرضها السموات والأرض . كان ذلك فى بدر .. خرجت فئة قليلة فى عزمها أن يكون لها غير ذات الشوكة ! (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .. فئة قليلة غلبت باذن الله فئة كثيرة .. الفئة القليلة كبيرة العدة بالايمان بالتضحية ، بالاستشهاد ، بالطاعة ، بالصون ، بحرمات الرجال أن تهان فى حمأة الخيانة !

انتصروا بالاخوة .. يومها كان (إنما المؤمنون اخوة) .. لم يكونوا نزاعين إلى ظلم الجاهلين، عصبية تنصر ظالمها على مظلوم غيرها . ولم يكونوا فزاعين من مخافة البشر . وإنما كانوا التواقين الى : (لو خضت بنا البحر لخضناه معك . ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك) وإلى : (إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون بل نقول اذهب انت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) .

.. فى وجدان المسلم يوم حراء ليتأكد فى وجدان المسلم ذلك اليوم على الصفا يوم صدع المدثر يكبر ربه وينذر قومه ويضع الوثن تحت قدميه .

فى ذاكرة التاريخ المسلم هذا اليوم المنتصر فى تواليه . وفى كل نائبة لأن خسر هذا اليوم بعد معارك من خسران الذين خاضوها فإنه ـ والعاقبة له ـ سينتصر فى المعركة الحاسمة بالذين لم يخسروا أنفسهم !!

● ونحن فى اليوم الثانى من شهر ربيع الأول . الشهر الذى ولد فيه نور الهداية ، رحمة للعالمين ذو الخلق العظيم رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .. رسول من أنفسنا، من المؤمنين رؤوف رحيم .. جاء بشرعة هادية .. راحمة .. عادلة .. معتدلة .. كل الناس، الناس فيها سواء « لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » هى لكل الناس أجمعين .. الى يوم يبعثون .. فما من شريعة أعطت لإنسانية الإنسان قيمتها وقوامها .. لا إجحاف ولا إرجاف .. ولا ميوعة .. ولا تجميد .. إلا هذه الشريعة المحمدية ختم الله بها

الرسالات، جاءت على فترة من الرسل ينطلق بها الإنسان قيد الوثن .. وإرهاق الكاهن .. وغل القساوسة وشعبذة الحاخامين .. وكذب السحارين واستعباد الطاغية .. وطغيان الفجور .. ليغرس الايمان فى النفوس .. ايمان بالله .. ثم إيمان بالدين ثم الايمان بكل الفضائل .. والكفر بكل الرذائل .. هذا الايمان إقرار باسان وتصديق بجنان .. وعمل باركان .. إسلاما يعلن .. وإيمانا يصدق وعبادات تؤدى .

كلمة التوحيد أساسه الركين بها رفعة الإنسان .. لا يخضع إلا لخالقه وحده لا شريك له .

وكلمة التوبة ترده الى ربه غافر الذنب قابل التوبة ، هى ليست اباحة لعمل الذنب وإنما إتاحة لطرد المعصية وجلب الرحمة .

التوبة خلصت الإنسان من الاغراء بالمعصية والجريمة .. إنتظارا للمخلص جعل اليهود تستمرئ الظلم .. تغرق فى الجريمة .. تنشر أوكار الفسوق لا تسأل عن العذاب .. لأن العذاب .. مرفوع عنها بالمخلص .. وغيرها يستمرئ العصيان استفادة من كرسى الاعتراف .

والمجوسية وغيرها ممن ينكر البعث .. لا يؤمنون بالتوبة .. وإنما إيمانا بالانبعاث فى وصول الانسان الى مرتبة الامتياز « النرفانا » كل هذا وهم .. أسقطه الاسلام بالكلمتين : كلمة التوحيد .. وكلمة التوبة .. كل ذلك جاء به محمد لينظم الانسان فى مراتب العزة .

ولكن هذا الإسلام العزيز بتعاليمه كاد يصبح الغريب فى وطنه تستغول عليه قوى الصليب .. وفضول الصالبين تحتل مقدساته وتنتهك حرماته .. ولن يعاد ذلك .. ولن يرتدد كيد عدو إلا بجهاد أساسه الايمان بدين هذا النبى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .. كان ميلاده فى هذا الشهر الكريم .

سِيَاسَة

أيام في تاريخنا

● فى تاريخ أمتنا أيام بيض من صنع المبادئ والايمان والثقة والقيادة والجهاد .

وفى تاريخنا أيام حالكة من صنع الاهمال والضياع والفساد والفرقة والقعود عن الجهاد .

وتمضى الأيام البيض لا نكاد نذكرها . وتلح الأيام السود علينا بكربها لتكون لها ذكرى مرة علقمية .

واليوم ٥ يونيو انطوى عليه عام وبه تم . ليأتى أول يوم جديد لعام جديد !

هذا اليوم أضفناه الى أيام مضت ومن أجل فلسطين بالذات ذكرى قاتمة مؤلمة !

ولا أدرى عن هذه الذكرى شيئا مما تعنيه ! فهل هى الاحتفال بيوم هازم كأنما هى الزفة الحزينة . أو هى كجناز كنسي . كما هى العظة جنت . فغنت فى الطريق كما هو فى قول خليل مطران . أم أن ذلك يعنى إثارة العاطفين حزنا وكمدا ليتجدد ما بهم كلما مرت الذكرى لنغرق فى الأحزان . تأكل من عزائمنا . حتى يشمت بنا صانعو الهزيمة لنا !

كل ذلك قد كان من قبل بالنسبة لوعد بلفور . ويوم فى مايو عام ١٩٤٨ م وكما هو كائن يوم يونيو الخامس من عام ١٩٦٧ م.

يوم الوعد البلفورى مضت عليه أعوام خمسون . ويوم ما يو تأسست فيه الدولة البغى . الدولة الباغية .. مضت عليه الأعوام العشرون .

ما أمر التذكر . فنحن لا نميت ذكرى هذه الأيام . وإنما نحن طائعون نحي ذكراها . وكل ما نصنعه هو القاء المذمة على صانعيها . بلفوريين ترومانيين ومن بعدهم ومن إليهم !

إن يوم مايو عام ١٩٤٨ م تقول السنة عربية : كان يوم الهزيمة بالسلاح الفاسد والمواقف الفاسدة . والرأي المختلف فماذا تقول عن يوم يونية ؟

إن لم تقولوها فسأقولها مستخرجة مما قالوا !..

فإن الهزيمة فى يوم ٥ يونية كانت بالسلاح الفاسد والغفلة المتعالية . والجنود الذين أصبحوا قادة تحسبهم تمرسوا فى عام ١٩٤٨ م فاذا كل المراس أن حسبوا أن يهود عام ١٩٦٧ م هم يهود عام ١٩٤٨ م . أى أن وسيلة الحرب عندهم هى كتلك . فإذا التغير المدمر فى خطة أكلت الذكاء والغفلة حسرة مبكية كلفت .

وأمس مضى يوم كئيب على الأرض العربية ، فيه تجسدت خيانة وغدر .. تداعت علينا دول كبرى من كل جهة ، وحطبت في حبالها دول صغرى خافت أو اغريت ، أو هي الحاقدة ..

كلهم أعان أن تكون فى أرض العرب ، في قلب الأرض المباركة دولة إسرائيل .. تفعل فعل النازية .. وتسير بأهداف الصهيونية ، وتحلم أحلام اليهود ، وتعمل طليعة لاستعمار وطغيان .

في هذا اليوم تم الغدر بالعرب ، بل تم فيه جهل العربى لنفسه .. فاستهان بوعد بلفور ، ثم استلان لوعود وآمال .. يحسبها صادقة من دول كبرى .. لا تختلف من أجلنا ، وإنما من أجل مصالحها ، أو من أجل غاياتها .. وتأتلف على الكيد لنا من أجل غاية عند أصحاب المصالح ، أو من أجل البداية لتحقيق الغاية عند طلاب الغايات .

في هذا اليوم ١٥ مايو ، انحدرت القيم بفسق اليهود ، ونومة العرب ..

اليهود ، ولا أقول إسرائيل ، ولا أقول الصهيونية ، ذلك لأن الحلم حلم اليهود ، والأساطير أساطير اليهود ، والبروتوكولات هى تفنيد لتلمود اليهود ، وتنفيذ لها ، اهلاك الأمم ، ليبقى الشعب المختار .

ثم إسلامي ، وديني ، وكل تراثى لم يعلن لي أن أكون عدوا إلا لهؤلاء اليهود ، فهم أشد الناس بغضا لدينى ، لأرضي ، لتراثي ، لحضارتي ، أشد عداوة للذين آمنوا !!.

فكيف أذهب الى اسم يحمل أثقال الحقد والنقمة ؟..

إن اسم اليهود هو الحقد في قلب المسلم ، هو الثقة برصاص العربي ..

من معايبنا أننا لا نعرف كيف نكره ، كيف نستديم الحقد على الغادرين والطغاة والخونة !!

الضرب فوق الأعناق ، والقطع لكل بنان ، ما معناهما ؟.. معناهما قلب حديد ، وسيف حديد ، وعزم حديد ، وحقد حديد ..

يوم كئيب لم يبتسم فيه الا زند الفدائى ، فجّر الكآبة على قاتله ، ناهب أرضه ، هاتك عرضه .

الفداء هو الابتسامة فى كآبة اليوم الغادر ، فى وجه الغادرين ..

الغادرون هم اليهود ، وكل حاطب فى حبالهم ، سواء كان عدوا أعان ، أو عربيا خان ..

إن أيام الفرحات لا تصنع شيئا حتى انها لم تعد حوافز ..

أما أيام الحزن والكآبة فهى التى تصنع الحماسة والدوافع والفداء ..

تحيتى ليوم كئيب ، كانت فيه نعمة البلوى ..

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت   ويبتلى الله بعض الناس بالنعم

● غفلة أن ننسى اليوم الفاتح من نوفمبر !!..

لا أريد أن أعتذر من أصحاب هذا اليوم ، وإنما أريد أن أعترف بأن ضياع النفس قد أنسانى ذلك !

اليوم الفاتح من نوفمبر .. أعنى اليوم الأول من تشرين الثانى يأتى على صورتين .. قد حفرتا في التاريخ العربي المذلة ، والمثل ، وجاءت صورة ثالثة نقشت صورة الاعتراف ..

الصورة المذلة هي وعد بلفور .. والصورة المثل هى زحف الجزائر المسلمة العربية انتصار الأذان ألا يتبربر ، واسماع الأذان باللسان العربى المبين !

اليوم المذلة قد مزق الأرض .. جدع أنف العرب بخيانة من أصدقاء العرب !.. اراد « لويد جورج » أن يصنعها ، وبين الاقدام والاحجام رضى بلفور أن يكون الوعد باسمه ، وتولى كبرها ممزق العرب الى أشلاء ونستون تشرشل !!

تشرشل تبنى الدفاع عن الصهيونية ، ورحب بالاندفاع استجابة للضغط الأمريكى .. من أيام ويلسون الملوح بالسلام في البنود الأربعة عشر .. المطوح بالسلام في ترك الشرق الأوسط قسمة بين كلمنصو ، ولويد جورج .. اطعموه الوطن القومى للصهيونية فرجع دون

غنيمة السلام ، ثم هو لم يغنم حتى السلامة في نفسه !.. إن « دين المسون » هو الذى يقول : إن بريطانيا لم تعط وعد بلفور طواعية . وإنما نحن حبذنا لها ذلك ، وكلمة « حبذنا لها ذلك » لا تعنى إلا : ارغمناها على ذلك !!.. وللمبالغة في التستر جعلوا « ويزمان .. وبلفور » على واجهة الصفحات من تاريخ هذه المأساة الانسانية !

أيمضي وعد بلفور في يوم أول نوفمبر ، ثم لا اجدني اتذكره ، ونحن نعيش في محنه ، وفي أرزائه ؟!.. إن هذا ليس بالتعسف .. إنه ضياع الانسان في نفسه حتي لينسي أشد الاشياء ايلاما الى نفسه .. خطأ كبير لا ينفع معه الاعتذار ولا يشفع معه الاعتراف !!

واليوم الفاتح من نوفمبر .. هو يوم البداية لمليون شهيد عربا مسلمين زحفوا فوق التراب حفايا ، وعرايا ياكلهم السلاح ليعيش التراب .. ليأكل من خيره .. ليصلى في مسجده .. ليتعلم في مدارسه ملايين من هؤلاء الجزائريين .

التحية للجزائر في اليوم المثل .. انتصرنا فيه حينما انتصر الاستعمار ، وحينما فشلت الصهيونية المعطلة ، وحينما خدعت الحماية الباطلة .. ذلك لأن عبد الحميد بن ياسين ، ومحمد البشير الابراهيمى ، وطيب العقبى ، والفضيل الورثانى ومن اليهم قد عمروا المساجد بالعقيدة الصحيحة وعمروا المدارس بالقرآن ، وعمروا القلوب بالايمان ..

● اليوم السادس من شهر حزيران ـ يونية .. وهو اليوم الثالث كعام مضى على النكبة والهزيمة .. كان اليوم الخامس وما تلاه من أيام وشهور ، وسنة بعد سنة حتى بلغت الثلاث .. يوما عبوسا ضحكت نوازع الظلم والطغيان فيه .. حتى بلغت الضحكات مدار الصراخ فى كل الأرض الحاقدة على العرب ..

وساق العدو عجرفته .. وساق المعين له قوته ، يأملون في لحظة عاجلة أن يركع العربي تحت مكاتبهم يوقع ورقة بيضاء يرسم الاستسلام .. يضعون فوقها خريطة إسرائيل واملاء اليهود وأمل الصهيونية ..

يحسبون العرب أمة الواحد .. أو تبعا لسلطان واحد .. إنها أمة الواحد لا إله غيره ، ولا سيد سواه ..

فالأفراد ينهزمون ويذهبون .. ولكن الأمة في هذه الأرض وراءها تاريخ طويل من آلاف السنين .. كأنها ابنة الدهر الأولى ..

كان في خيالهم صنع الهزيمة في حرب خاطفة تخلع قلب العربي فيسلم بطلب الرحمة ، ويعلن الخضوع ..

حتى اذا سألوا انفسهم أين العربي ألم يجئ مخذولا وقد هزمناه ؟.. أجابتهم أمة العرب في الخرطوم : لا سلام ، ولا تسليم ، ولكنه الصمود حتى النصر ..

وتخيلوا مرة ثانية ، أنهم بكيل الضربات على الأردن والقناة ومدن وراء النهر ، وقرى حول النهر ، أردنا باركه طالوت وداود ، ونيلا مباركا في ألسنة من هم كطالوت بجيش محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تخيلوا في المرة الثانية أنهم اذا حرقوا وهدموا وقتلوا بالفانتوم والنابالم يفزعون الشعوب ويرغمونها على التسليم .. ولم يحدث هذا .. فسألوا خيالهم ، وجن خيالهم ، فجاء الجواب : لا فزع ، لا تسليم ، إنما هو النصر والشهادة والصمود ..

لقد حسبوها أياما .. فاذا هى سنوات ، وسنوات .. أفاق العالم فيها كزمن على أنه صدق الوهم .. وأعان الظالم وسيغرق ـ إن لم يفق ـ دنياه في حروب طاحنة ، بدأت تأكل صانعي الحروب من الداخل ..

إن يوم التضامن من حزيران .. كان يوما عظيما في البأساء أعقبت اليقظة ، وكشفت الخبئ وازاحت العماية عن عيون الكثيرين .. فقبله كان العربى يخاف الموت .. أما اليوم فهو صانع الموت لا يخشاه على نفسه .. ولا يتحرز أن يسقيه كأسا مريرة لعدوه ..



إسرائيل واليهود

● ناحوم جولدمان . رأس الصهيونية اليوم . ويكاد أن يكون الثالث في التسلسل العددى لزعماء اليهود .. هرتزل ، وايزمان ، ناحوم ..

هذا الحاخام في دنيا السياسة في أكثر من اتجاه . سواء وراء الأطلسى . وفي أوربا أو في إسرائيل . هو في يقين اليهودى الموجه والمعلم . فرئاسته لمؤتمر صهيون قد مكنت له أن تكون الكلمة لليهود ، أو أن مكانته قد أوصلته الى هذه القمة في سلم التدرج اليهودى .

وأكاد ازعم أنه يستطيع أن يقيم ويقعد ويأمر وينهى ويعزل ويولي كل أصحاب المناصب في إسرائيل .

هذا الحاخام خرج على الدنيا القلقة المعذبة يهدى اليهود ورذائلهم بالكلمة اليهودية . يصور للناس أنها لم تكن عن طريق إسرائيل الدولة ، ولا عن طريق الصهيونية العصابة .

ـ قال كما تلطفت فى الخبر عنه الاذاعة الوسيط في نشر الأخبار الكائدة والمغيظة لكل عربى . والمرجحة والمزخرفة لكل ما هو عن اسرائيل قال : انه ينصح لاسرائيل أن تعلن موافقتها على قرار مجلس الأمن وتعترف بالانسحاب ، كلام هو طبق الأصل كما يطلبه قرار مجلس الأمن ، وكما رضيه فريق من العرب على الجبهة !!

وتدهش الدنيا من هذه الخطوة . كأنها أمر صدر من رئيس المؤتمر الصهيونى إلى إسرائيل !!

غير أن الحقيقة أنها جرعة مهدئة فقد يصدقها كثيرون . فالاتحاد السوفياتى وفرنسا يمكن أن يمكثا زمنا يدرسان ويستخبران ناحوم نفسه عن هذه الخطة ليمضى زمن تنظم خطة جديدة لإسرائيل ، أو أنها لتبرئة من يناصرون إسرائيل على المكشوف .

فهى تعطى إسرائيل زمنا يتنفس فيه الحديد النار ، والكثير يرسل إليها يوميا .

وهى تعطى دولا تصر على تطبيق قرار مجلس الأمن جرعة طاردة لكثير من عزمها أو حزمها أو ضغطها .

وأكثر من ذلك فهى كاشارة خضراء تضئ الطريق أمام « سيسكو » لا فى فلسطين المحتلة . وإنما فى نواح أخرى غير عربية .

كلام ذهب مع الريح لن يكون فعلا . وإنما هو الفعل المطلوب يخدع أنصار قرار مجلس الأمن ولا يضر إسرائيل قطعا . فلو كان فيه شئ من الفعالية والجدية لطال أمد ترديده . ونشروا عن سيسكو بعض ما يؤيده .

لكنه قول فقط لا غير . نبعت منه أقوال أخرى .. منها الإعلان عن الشخصية الفلسطينية التى هى صاحبة الحق في مقاومة إسرائيل والحرب معها والمفاوضة .

أمة العرب نهب الأرض ، وهتك العرض ، وإملاء الفرد من عدو لئيم . كنا نعد وجوده باطلا بوعد بلفوري لا يملك من أعطاه حق العطاء له ، المجد لوعد بلفور ، فقد أصبح وبقرار من مجلس الأمن صكا مشروعا ووثيقة مبصومة بتوقيع الدول كلها لأن دول مجلس الأمن هى الممثلة لدول الدنيا كلها ، ومنها نحن العرب .

الذين أعطوا وعد بلفور هم الذين صاغوا قرار مجلس الأمن ليزيلوا عنهم وصمة ، وليجعلوا منه الوثيقة وعليها البصمة العربية بعد الدولية العالمية .

أهى مصادفة أن يكون وعد بلفور ، قرار يضعه كارادون ؟ لا . بلفور وكاردون دولة واحدة !

إنها دعم للتصرفات والختم للحلقات .

إن قرار مجلس يحمله يارنج قد أزاح ذكرى وعد بلفور وجعله صكا ووثيقة . لا وعدا باطلا فلو لم تكن خسارة العرب فى يوم ٥ يونية إلا هذا التبدل فى النظر نحو وعد بلفور لكانت الخسارة أكبر .

ولكن أمة العرب لن تبالى بشيء من هذا فإذا ما أعدت القوة للحرب أمكنها أن تزيل الباطل بحد السيف ، ولا تسأل عن قرار أو عن وعد .

لكن الحرب ثقة فى النفس ووحدة فى الجمع ، وعدة فى السلاح وثقة فى ميدان المعركة .

ومع كل ذلك شك فى الأصدقاء كأكثر من الشك فى الأعداء .

فقد يخدع بالصديق بأكثر مما ينخدع بالعدو .

ألا قهرا لك يا يوم ٥ يونية فإن لأمتنا أيامها البيض تمحو بها اليوم الأسود ..

● قنبلة .. تفجرت فى الحي اليهودي فى بيروت . وكثير هى القنابل التى تفجّر اليوم فى أكثر من بقعة فى الدنيا ، ولكنها أشد ما تتفجر على الأرض العربية . والإنسان العربى من يد اليهود .

القنبلة التى تفجرت فى الحي اليهودي فى لبنان كثرت الاعتذارات نحوها .. كل عربى تبرأ منها .. لا خوفا من اليهود ، ولا لأن اليهود فى أى مكان عواطفهم مع إسرائيل وضد وطنهم ، هم لا وطنية لهم .. وطنهم المؤقت الآن فى نزعاتهم هو هذه البقعة من أرضنا .. لأن وطنهم الدائم هو حيث تكون المراتع الخصبة للتخريب والتدمير !

لقد كان الاعتذار مفاجأة للرأي العام العالمي ، ولكن .. ألا نسأل أنفسنا أن هذه القنبلة قد انفجرت فى مدرسة خلت من الطلاب ، فلم يصب أحد .. ألا نسأل أنفسنا بدل أن نعتذر ، فنرد الاتهام إلى اليهود أنفسهم ، فهم يصنعون ذلك !

فجّروها فى المدرسة كقنبلة تتفجر قنبلة فى الرأي العام العالمي .. يشينون على العرب بأنهم يقتلون اليهود المواطنين .. لا أشك فى أن اليهود يصنعون ذلك .. وكان ينبغى أن يكون تحقيق يضع الاتهام على الفاعل الحقيقى ليطلع الرأي العام على ذلك .. لكن العرب يحرمون أنفسهم من الوسائل التى لديهم لسبب ، أو لآخر .. لا أقول إنه الخوف ، ولا المجاملة ، ولكنه شيء آخر هو الحساب لبعض الفرقاء الذين يخافون ، أو يجاملون .

إن اليهود سيفجرون كثيرا من القنابل .. سيقتلون بعضهم لينالوا شيئا من الدعاية ضد العرب ، فهم حينما يخسرون فى أى استفتاء أصواتا كانت معهم فأصبحت ضدهم يحاولون اكتسابها بشيء من هذا القتل لأنفسهم !.

ففى أكثر من مرة فى عصور التاريخ يتعمدون الاساءة ليقتلوا .. لتكون النتيجة سرقة العواطف من المخدوعين بهم .

لقد قلنا من قبل إن وجود دولة يهودية تسلبهم هذه العواطف ولكى يحتفظوا بها يقتلون أنفسهم بقنبلة يفجرونها ، أو بحرب يستمرون فيها كهذه الحرب القائمة بيننا وبينهم ، وخطأ آخر نقع فيه .. هم يذيعون عن أزمة فى اقتصادهم فنفرح باذاعة الخبر ، والواقع أن هذه الأزمات الاقتصادية ما هى إلا إسمية يتعمدون إذاعتها تسلية لنا ، ويتعمدون إذاعتها سرقة لعواطف الآخرين ، وإلا فالخزائن مفتوحة لسد عجزهم .. بل ولزيادة قواهم الاقتصادية .. فأكثر من بنك تحت تصرفهم ، وتبرعات اليهود تنهال عليهم ، ودول كبرى تفتح لهم حسابا تهديهم السلاح دون قيمة ، أو تبيعهم السلاح ، وهذا البائع هو دافع القيمة ، لا تخدعوا أنفسكم فإسرائيل لن تكون ـ ما دام وراءها هؤلاء ـ فى أزمة إقتصادية !!

● بشئ من الوضوح .. وبأكثر من صراحة أطرح هذا السؤال :

لقد شغلتنا وسائل الاعلام بالحديث المكرور عن إسرائيل .. عن اليهود والصهيونية .. كل وسائل الإعلام فى الدنيا جميعها كأنما تحالفت على وضعين هما فى صالح إسرائيل :

ـ وضع يركز الألم فى الأمة العربية .. يزعزع الأمل فيها .. ليثبت كل فكر لها .. ذلكم فى الحديث عن الهزيمة .. إزالة آثار العدوان .. أعداؤنا من يعينهم .. أصدقاؤنا من يعيننا .. لا أكتمكم أنه قد تبلبل فكرى وانشطر وجدانى ، وسخرت من كل ما أعرف .. من كل ما أريد التعرف عليه لأن كل ما أسمع قد سخرنى لأن أسخر من نفسى !

ـ والوضع الثانى هو النتيجة للوضع الأول .. قصد عامد لتغطية واخفاء ما ستصنعه إسرائيل فى المستقبل !

ومن المؤسف أن الذين ساروا فى الوضع الأول يعلمون الكثير عن الوضع الثانى ، ولكنهم لسبب ، أو لآخر سكتوا عنه أو حتى أسكتونا ، ولا أعنى بذلك نفسى ، وإنما كان الاسكات لكل لسان عربى !!

لقد صرح ليفى اشكول قبل مدة ـ وبعد ٥ يونيو ـ تصريحا لم أسمع أى تعليق عليه ، أو أى تحذير منه ، أو أى حملة عليه .. يقول اشكول : (على العرب أن يعرفوا أن الأوان قد حان لكى يعترفوا بقوميات على هذه الأرض) .. اشكول لا يتمنى ذلك أمنية يرسلها فى

الهواء ، وإنما يحضر الأذهان إلى عمل سيجرى .. من صالح إسرائيل أن يكون لأنه دعامة لوضعها .. تثبيت لكيانها ، فهى قومية جديدة طارئة فى العالم العربى .. لا يمكن أن تعيش داخل القومية الواحدة .. من هنا كان المخطط .. الغزو أولا .. الاحتلال ثانيا .. الانحلال ثالثا (!)

لا بد أن هناك مخططا .. ليست إسرائيل صاحبته وحدها بل كلهم : استعمار .. صهيونية .. شيوعية .. أصحابه .. كلهم يعمل له !

إن القومية العربية قوة تساندها قوة الجامعة الإسلامية فلابد أن تفتت هذه القوة .. فالشيوعية كمبدأ ـ تحارب القومية ، إما بالقضاء عليها أو بتشتيت قواها إلى قوميات فى أقليات .. يعنى أن كل ذلك فيه الخطر على الذين ذاقوا الألـم من هذه الأقليات !.. تستخدم من ذلك المذاهب الاجتماعية والمذاهب الدينية ، والنعرات القومية .. بمعنى أن العالم العربى سيفاجأ بهذا التفتيت .. لا تقوم معه هذه القوميات المتعددة إلا وهى مرتكزة على إسرائيل ، ومن هم وراء إسرائيل ، وكلهم ـ وبهذه النقطة بالذات ـ سيكونون إن لم يكونوا مع إسرائيل !!

لماذا لا تسلط الأضواء من وسائل الإعلام على حال كهذا .. للوقاية كقوة داخل الشعوب العربية لتحمى قوتها المعدة لازالة آثار العدوان ؟!!

● وماذا تعنى الحرب مع إسرائيل ؟

لا أجيب على هذا ، فالمجيب ـ تعبيرا بكلمة ـ هما اليهوديان الصهيونيان الإسرائيليان ليفى اشكول .. ودافيد بن جوريون ، والمجيب عمليا رجال هم الذين يمدون اسرائيل بكل عتاد المعركة اعداداً لحرب تشنها إسرائيل ، أو استعدادا لدفاع يقى إسرائيل حربا قد تشن عليها من العرب .

حرب تشنها إسرائيل خاطفة وقاسية ومحطمة وشاملة لا رحمة فيها ، ولا أسرى ، ولا عمارة ولا حياة لشئ .

إن إسرائيل تفترض أمرين لا ثالث لهما . فإما أن تبيد نفسها وإما أن تبيد العرب . حتى

السلم لا تريده فليس لها معه حياة ، فى الحرب أمل الحياة لإسرائيل !

ليفى اشكول يقول : (إن موت إسرائيلي واحد يقتله العرب صعب أن تعوضه اليهودية . أما العرب فلديهم عدد كبير من الرجال ما أسرع أن يصل إلى ميدان المعركة التى تطول ..) كلام صريح وواضح ، ولكى يتجنبوا ذلك فينبغى لهم أن يضربوا الضربة القاصمة ، تحطم كل القوة العربية ، لا ينفع معها تعويض بالرجال إلا بعد فترة ليست بالقصيرة .

وبن جوريون قال : (إن الحرب لما تنته بعد مع العرب ، فالحرب التى ينتصر فيها العرب تعنى فناء إسرائيل ، أما الحرب التى ينهزم فيها العرب فلا تعنى إلا حربا بعدها ، وبعدها ،وهكذا فاما هزيمة إسرائيل تنتهى معها الحرب، واما الحروب المتجددة مع العرب).

وهذا كلام صريح واقع ، وليس فيه تحذير للعرب يعلن قوة العمق ، وسعة المدى ، وطول الامتداد ، وكثرة المدد ، وإنما هو يعنى الحرب القاصمة بكل المهلكات ، وليست هى فيما يعلن عنه من طائرات فانتوم ، أو دبابات أى شيطان ، وإنما هو الأخفى والأشر .

فالحرب ضد إسرائيل لا نقدر عليها خاطفة منا أو منهم ، كل القدرة التى أرجوها هو ألا نمكن إسرائيل من حرب خاطفة تشنها سريعة علينا ..

فإسرائيل فى وضع كوضع النازيين فى الحرب العالمية الثانية أو حتى كوضع أسلافهم من الحرب الأولى . انتصارهم خاطف فى حرب صاعقة .

والعرب كالآخرين انتصارهم فى طول الزمن وامتداد الرقعة وتعطيل القوة ألا تكون صاعقة خاطفة .

ولن يكون إلا بصبر وحشد ودموع ودم كالتى اهداها تشرشل لقومه فى تقييم لحرب صاعقة شنها النازيون ، وحرب طويلة صبر عليها وأعد لها الحلفاء .

إن إسرائيل تملك من كل دقيقة ساعة صفر تشن فيها الحرب على العرب ، كقوة معدة ، وكقدرة على عصيان الآراء والنصح ..

أما العرب فلا أعلم متى تحين ساعة الصفر ؟ لعل هذا من أسرار الحرب .

● كثير هى المضحكات المبكيات .. سرحان سرحان عربى ، واسم أبيه بشارة . وكوهين يهودى لا أعرف إسم أمه ! فأولادنا نحن العرب ينسبون لآبائهم « ادعوهم لآبائهم هو أقسط » .. أما اليهود فالولد لأمه « كل من لم تلده يهودية فليس يهوديا » !

هذا العربى أوشك العرب أن يتبرأوا منه لسبب أو لآخر .. فلنلتمس لهم معذرة رغم أنه الجانب المبكى .

أما كوهين قتل المئات .. خرب فرنسا .. أحرج ديجول .. فى ليلة واحدة نادوا على المطافئ ألف مرة لاطفاء ألف حريق .. أمسكوا به .. لم يجلدوه ، لم يحاكموه لم يسجنوه .. بل دللوه ! رحلوه ، وكان فى الامكان أن يرحل من باريس الى تل أبيب ولكن قوة الصهيونية .. حظوة اليهود عند هؤلاء الناس أملت أن يرحل الى لندن .. والى لندن بالذات .. وهزت لندن أكتافها لا تريده .. سمحت له ساعات وإذا باليهودية .. بالصهيونية .. بكل ثقلها العالمي تملى على بريطانيا أن تمدد إقامته أربعة عشر يوما !!

لقد اختاروا بريطانيا بالذات .. إعلانا على مظهر القوة لهم . فأعجب لمجرم يعامل معاملة الأبطال ، وأعجب لقوم سرحان يتبرأون من سرحان !!

بأسلوب الغجر ، وبأكثر من تعبير وقح كانت الحملة على سرحان ، وعلى العرب .. حتى إن اليهود ـ كبراعة سياسية ـ أعلنوا عطفهم عليه .. بالعطف على أبيه .. يبيحون له أن يشهد محاكمة ولده .. أما كوهين فبأسلوب من عهر العقول .. تنظم له كل التسهيلات بكل التوصيات .. فما أشد خطر اليهود على العالم .. هم يغررون بسرحان ليقتل .. ليغتال .. ثم هم يقتلون عربيا فى شيكاغو لديه علم عن سرحان .. تغطية للجريمة .. لئلا يظهر غير سرحان !

إن الاغتيال فظيع .. ولكنه أكثر فظاعة من هذه المنظمات السرية .. غررت بسرحان ، وبأمثال سرحان !

الآلات يحطمونها .. أما فتاهم فيحمونه ..

ليس همي أن أمجد سرحان ، ولكن كل همي أن أظهر بعض ما يصنعه اليهود ، فهم وراء كل جريمة .. كل فتنة .. كل دمار فى العالم !!

● سمعنا فى الأخبار .. كما قرأنا فى الصحف عن « يوسف سيسكو » وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ، والمكلف بالتفاوض مع أكثر من طرف بشأن ما بين العرب واسرائيل ، وهذا يعنى أنه سياسى يحمل عبئا لم يكلف به إلا وهو قد نال كثيرا من المعرفة والمعلومات عن قضية الشرق الأوسط ، أو مشكلة الشرق الأوسط .

قالوا : إن « يوسف سيسكو » فى هذه الأيام سيزور القاهرة على حد ما أذاعته لندن نقلا عن صحيفة « الأهرام » وليس هذا هو الخبر المعنى بهذا التعليق .. إنما هما استنتاجان جانبيان حول هذا الخبر ..

* أولا : ليست السياسة الأمريكية ، ولا رجلها فى حاجة إلى مزيد من العلم عن هذه المشكلة .. وهذا يعطى الحق لبعض المعلقين المتفائلين أن يتنبأوا بشئ جديد من الولايات المتحدة نفسها تبغى أن يعلمه المفاوض لهذا السياسى الأمريكى كمقدمة لحوار جديد . أو كشئ مغلق جاء فى هذا الحوار يبلغ من الرأس للرأس دون مكاتبات .. دون مراسلين .. من رأسه هو إلى كل رأس يقابله فى المنطقة .

* ثانيا : ويظهر أن هذا التكهن قد باض وفرخ عند كثير من الناس فجاء اسحق رابين سفير إسرائيل فى واشنطن ، أو مندوبها لدى البنتاجون يقضى على هذا التكهن ليقول : (إن زيارة يوسف سيسكو لا تعنى أى تغيير فى سياسة الولايات المتحدة أو فى موقف إسرائيل)!..

أهكذا يعلم اسحق رابين من أسرار السياسة لينفى كل تكهن كأنه هو الناطق باسم السياستين ؟!

من هنا تغتصب إسرائيل هذا الارهاب الدولى . من هنا تعتسف اسرائيل الرأي الأمريكى .. من هنا ينبغى ألاَّ يجزع أحد من تصريح رابين فخير لنا أن نعرف ذلك من أنفسنا قبل أن يعرفنا إياه رابين !!

● اسحق رابين ذهبوا به إلى واشنطن ليكون سفيرا يشترى عدة الحرب . ويشترى الأصوات المؤيدة لإسرائيل .. ويظهر أنه لم يوفق فى صفقة الخمسين .. لم يوفق فى شراء

خمسين طائرة فانتوم فأخذ يبوح بما يكربه !

- قال : إن إسرائيل لن تكسب الحرب فى هيئة الأمم ، إسرائيل ستوالى القمع بشدة .

أحسبه الثناء الأول على المنظمة الدولية .. والكشف الواضح لموقف اسرائيل منها .

من قال لك إن إسرائيل ستكسب الحرب فى هيئة الأمم ؟

لقد خدعوك . يكفى أنها كسبت زمنا من القوة التى عطلت هيئة الأمم .

إن هيئة الأمم كسب للسلام ، فيها يكسب السلام ، لقد صنعها السلام لتقتل صناعة الحرب .

ولكن هكذا اليهود يحسبون كل شئ للدمار حتى هيئة الأمم يفترضون فيها أن تكسبهم الحرب .

فرغم كل شئ فقد اتضح وافتضح أمر اليهود ، وسيعرف العالم الكثير عنهم .

● هناك فظائع ارتكبها هتلر والنازية ضد اليهود ، أصبحت عقدة الذنب ، فأخذوا يكفّرون عنها .

وهناك فظائع ارتكبها أكثر من وضع فى الغرب مع العرب هى أشد فظاعة من فظاعة النازية ، وآخرها هذا الطغيان النازى الجديد فى إسرائيل . فلم يكن إلا عن يد الذين وعدوا وأعانوا واعترفوا وساعدوا وناصروا فلماذا لا تأخذهم عقدة الذنب ؟.

لا نريدهم يساعدونا ، وإنما نريد رد الطغيان بالكف عن عونه ومناصرته .

إن الشيوعية قد وجدت مجالها بهذه التصرفات .. فحذار .

أحسب أن الوضع فى شرق أوربا قد أسمعهم ناقوس الخطر . إن النصر على هتلر لم يأت من أوربا ولكنه كان من شمال أفريقيا وإن الرد على روسيا لن يكون من أوربا ولكن من الشرقين الأدنى والأوسط ولا حتى من الشرق الأقصى .

لا تبيعوا الشرق الأدنى لخصومكم . وإسرائيل لو علمتم أداة خفية لخصومكم .

حذار .. حذار .. لا يكفى أن تصرفوا النظر عن امداد لهم بالفانتوم . وإنما الكافى أن ينفذ قرار مجلس الأمن على صورة مسكنة .

أما السلام فشيء آخر لعله لن يكون إلا بالحرب . الحرب المطهرة لأرضنا من هذه الأقذار .

- صفر زائد صفر يساوى صفرا .

كلام يطرد فى الحساب العقلانى . إذا ما استمرأت عاطفة كعاطفة سعد زغلول أن تقول ذلك فى وقت نجد لسعد ألف عذر وعذر .

وصفر مرفوع بقوة قدرها واحد أو أكثر من مليون يساوى واحدا ..

رقم عدمي له قيمة فى الرياضة العالية يعرف اثباته إنسان تعلم بعاطفة الشاعرين بالناس والخلق والقوة والضعف والوجود والفناء .

هذا الفارق البعيد مداه هو المعادلة الصعبة فى الوضع العربى هذه الأيام .. وهو ليس المشكلة الصعبة أمام إسرائيل وما إليها .. هم يعرفون القانون فى الجبر . ويعملون بالقاعدة الحسابية . إن الجبر كقانون رياضي هو أخطر وضع يمكن أن تجابه به إسرائيل من العرب إذا ما ارتفعوا بقوة الأس الواحد .. أو الأكثر ليكون الكم الواحد والكيف الواحد .

والشيطان نفسه تعامل مع الإنسان بالقاعدة الحسابية . كل حرصه نسف المعقول بقانون المقابلة الجبرية رياضيا .

والصغار « كل الصغار » ما كانوا ولن يكونوا إلا تلامذة العقلانيين حسابيا .. والشيطانيون كذلك فى تشيطن أكثر من أبلسة الأبالسة .

والكبار .. الكبار .. يسخرون الصبر والحذر لعملية تقدم جبرية خلقيا . لتتم العملية بالمقابلة الجبرية رياضيا .

والناس كل الناس . هم شيء واحد إذا ما سلموا من تلامذة الشيطان . وأساتذة الصهيونيين .

هذا كلام اليوم عند من يقول هو معلوم . وغير مفهوم عند الذين يفوتهم مجهول لديهم فى معادلة جبرية ذات المجاهيل المتعددة .

● جندى أمريكى من الذين يحاربون فى فيتنام سمع أزيز الطلقات تصيب روبرت كيندى ، فأفزعه ذلك كما لم تفزعه قاذفات اللهب والصواريخ ، والقنابل والسموم ، يطلقها هو ورفاقه على الفيتناميين ، أو يطلقها عليهم الفيتناميون ، فى فيتنام يحارب عن غرض أمريكى . أما قتل الأمريكى بيد أمريكية وداخل الولايات المتحدة . وفى لوس انجلوس مدينة الجميلات والممثلات والفن والبهجة فهذا شئ مفزع !

ـ قال : نحن هنا نمنع القتل . وهم فى الولايات المتحدة ينشرون القتل والعنف . يا الهى هذا شئ مخيف !

كلمة أطلقها كما يحس وبما يعتقد . أما قاتل جون كيندى ومارتن لوثر وروبرت كيندى ، ثم قاتل الممرضات ، وقاتل الطلاب برميهم من مكان عال فهذا شئ تختلف فيه وجهة نظرهم عن نظرة الجندى ، يحارب من أجل الولايات المتحدة ..

فما هو السبب ؟

السبب سيظهره فى تحقيقاته وتقارير لجانه ميلتون ايزنهاور . كلفه الرئيس جونسون بذلك كمخرج من الأزمة ، أو كحل للأزمات !!

والسبب تحدثوا عنه ان همفرى قدم تقريرا به فلم يرالنور . فالذين أهملوا رأى همفرى هم الذين سيحتالون على ميلتون لئلا يقول الحقيقة وإن أصر عليها فسيلحق بجون ومارتن وروبرت ، طبيعة العاملين فى الظلام !

أهى مرحلة « النهلست » قتل وجرائم ثم تكون الكارثة كصورة تتكرر لم تمض عليها ستون عاما ، كانت فى روسيا ومن صنع اليهود ، ولا تحب أن تتكرر فى الولايات المتحدة لكن اليهود لابد وأن يصنعوا ذلك .

يصنعون الخراب فى كل بلد يعيشون فيه ، يعيثون فسادا .

قد لا يكونون هم الذين دبروا قتل روبرت مباشرة . ولكن الأسباب الداعية الى القتل هم أساسها . ومن أجلهم قتل روبرت ، وبفعالهم يقتل القتلة ، والجريمة تلد الجريمة .

والاغتيال قد يكون حماقة طارئة من كل إنسان . ولكنه فى اليهودية شريعة وقانون وممارسة وغاية ومبدأ .

اسألوا صحائف التاريخ تجدوا أن الغيلة هواية اليهود وحرفتهم وأساس كل كيان لهم فى أى كيان يلجأون إليه .

لقد قتل جون كيندى ، وكان روبرت المدعى العام أى حامل الاتهام.ومستخرج الدليل وطالب الادانة حماية لأمن الدولة والأمة والأفراد . أعنى أن روبرت قد عميت عليه الحقائق فأخابت الدلائل ولم يظهر من هو المجرم . فأى قوة خطرة كانت وراء هذا الاخفاء ؟

● وبدأ الخوف يفعل فعله فى قلوب اليهود وأعصابهم .. فى إسرائيل . فهذه التصريحات التى تنشر على لسان « موشى ديان » ليست هى مظهر القوة ولا هى فعل الشجاعة . وإنما هى من عمل الخوف .. فإن نحن عاجلناهم به .. بالعمل المتلاحق ، أو عالجنا أنفسنا بالأسباب التى أدت الى خوفهم أفلحنا . وإلا فالخوف سلاحهم بعد .. يفعلون به الأفاعيل .. هم لا يقدرون على الشجاعة ، وإنما قدرتهم بهذا الخوف . فما عرف التاريخ مثلهم خشية من الخوف يفرون منه دائما ، ولكنهم يعالجون بالدس والتآمر والتمرد والمكر فى الشعوب التى تنخدع بهم لتكون آلة فى أيديهم يفرون من الخوف الى أمن بهم ، أو يستنفرونهم من عمل الخوف ليكونوا معهم علينا !

الخوف صناعة فى أيديهم ، ولكن إن صنعناه نحن فى نفوسهم جلب لنا النصر على شرط المعالجة لئلا يستعملوا سلاحا !

لقد انعكس الأمر فيما بيننا وبينهم .. فى ميزان القوى ، ولا أعنى قوة السلاح ، ولا عدد الرجال ، وإنما أعنى القوة فى شجاعة النفوس ..

كنا قبل ٥ يونيو نسلط الخوف على أنفسنا منهم ، وقد لا يكون هذا الخوف من جيش اليهود ولكنه كان خوفا من عمل القوى الأخرى التى تجسم لدينا خيالا فظيعا بأن هذه القوى ستهلكنا من أجل اليهود إن نحن حاربناهم ..

ثم إنه تجسد وتجسد حتى أصبح الوهم حقيقة فإذا كل طائرة ، وكل جندى نحسبه من هذه القوى التى أمدت إسرائيل !

إن الحرب أول كفاءة فيها هو اماتة الخوف فإذا مات الخوف فى جيش .. فى أمة محاربة

كان لها النصر ، ولقد مات اليوم ـ بعد عام ـ هذا الخوف فينا .. بينما هو بدأ يسرى فى أعصاب إسرائيل .. فكل تصريح لديان أو لغيره كان من عمل الخوف ، وحتى تصريح مستر « راسك » فإن رأيي يخالف رأي الناشرين له ، أو السامعين .. إن مستر راسك حينما نشر رأيه قد بسطه للدنيا .. لا يسأل عن فرِحٍ به أو منكر له !.. فمن حقنا ـ ونحن من أصحاب هذه الدنيا .. من أصحاب الحق المهدور فيها ـ أن ندلي برأينا فيه .. لا أحسب إلا أن مستر راسك قد عرف هذا الخوف بدا فى إسرائيل فأحب أن يعطيهم الجرعة فى « برشامة » مغلفة بالسكر .. لا يغص بها عربى فى ظاهر الأمر، وتفرح بها إسرائيل فى باطن ما تعنى .. كل ما تعنيه فى نظرى أنه لا تغيير فى سياسته .. هى المبادئ الخمسة .. هى قرار مجلس الأمن .. هى مهمة يارنج .. أى أنها ما تريده إسرائيل .

● وكثيرا ما تلح فكرة على كاتب تشده اليها ليطرح موضوعها على صورة سؤال قابل للحوار والنقاش !

ولكنه فى الكثير من حاله فى زمانه ومناخه يفكر أيضا للفكرة نفسها !

هل هى ملائمة لوقتها أو لوقته تحوطا بالتوقيت يصلح مناخا لطرحها ؟

أو لما يحن بعد زمان الطرح لها ؟ سيان ! فلسوف القيها عن كاهلى فقد ضقت ذرعا بها !

الفكرة الحت علىّ فى سؤال عن الدروز فى إسرائيل ؟ هم عرب ولا شك .. أبناء معروف تمتد أعراق لهم الى المناذرة ولخم وغسان ، وهم لم يبالوا باحتلال اليهود للأرض ، فلم يرحلوا لاجئين كغيرهم من العرب الفلسطينيين ، أمسكوا بالبقاء ولم يطردهم اليهود .

بل إن فريقا قد كثر سوادهم به قد انضموا اليهم ليتعايش جميع الدروز مع اليهود فى فلسطين المحتلة كمواطنين فى دولة إسرائيل وهم أيضا قد تنادوا للاقامة فى إسرائيل ، وكجزء من جيشها ، وكقوة لها شأنها اليوم فى دعم القوة الإسرائيلية !

وحجتهم أنهم قادرون على الثبات فالعيش فى أرضهم كمواطنين فى دولة اليهود .. قاله لى أكثر من دروزى تحدثت معه :

وليتهم صانوا القدرة العربية تعيش فى أرضها ؟ لا .. لا .. إنهم أصبحوا اليوم الطغيان

الشرس المفطع المفجع .. ينكل بالعرب والفدائيين .، بل إنهم الفرقة التى اجتاحت غزة بزى عربى كأنهم جيش العرب فخدعوا وأهلكوا ، وهم الاداة للتنكيل بالعرب اليوم . كأنما اليهودى يقتل العرب مرتين . القتيل والقاتل ، قتل الاراقة لدم المقتول ، وقتل من الفرقة فى وجدان القاتل ، والسؤال أطرحه على أكثر من زعيم بينهم له مكان السيد والقديس فى السهل والجبل من أرض عربية ، كما أسأل عنه عبد الله النجار بالذات . ألف كتابا عنهم ، يسميهم الموحّدين المحمديين حتى ليقول لى : هل هذا من عمل الموحدين المحمديين ؟

ولو كان كاتب العرب الفذ عباس محمود العقاد حيا ـ يرحمه الله ـ لسألته هذا السؤال كنقاش لما أورده من حجاج يشفع لهم به فى كتابه « فاطمة » الزهراء رضى الله عنها .

السؤال قائم فإن النكبة تجل عن الصبر على ما يفعله الدروز من عون اليهود . ولكنه الخوف من شئ اسمه الرأي العام العالمى غرس فينا الخشية من المصارحة عن فعل أقلية أو طائفة .. نجامل ونتحمل فنلقى الضير والحيف خوفا من الضجة تديرها قوة مغرضة !!

إنى لازلت أسأل عن إجابة ، ولكنى لن أجدها عند من سألت غير أنى سأجدها تحديا وتعذيبا وبطشا من عرب يعيشون فى إسرائيل يقتلون عربا لحساب اليهود .

● تعريفان درجنا عليهما .. تلقيناهما بالقبول والترديد والتأكيد هما :

إسرائيل ركيزة الاستعمار .. إسرائيل جسر للاستعمار قديمه وحديثه .

ولكن حرب يونية وما جاء بعدها أظهرت أن هذين التعريفين لا ينطبقان تمام الانطباق لأن الاستعمار ينصرف على ما نسميه الاستعمار القديم أو الاستعمار الجديد ..

لينحصر هذا فى فريق معين اتخذ اسما جديدا : الامبريالية كتأكيد للحصر وتوكيد للنفى .. تبعد به هذه الصفة عن فريق ثان .

إن إسرائيل لم تعد ركيزة تقفز منها دولة مستعمرة .. تفتح أرضا .. تستغل شعبا .. وهى لم تعد جسرا يعبر منه الاستعمار الجديد .. استغلالا .. وانتقالا واغلالا .. قد يكون القصد من معونتها أولا أن تكون كذلك فى تخطيط الذين يقولون إن اسرائيل ولدت لتبقى .. ولكنها الآن فيما أعتقد أصبحت غير ذلك .

لقد أصبحت مشكلة الجميع حتى إسرائيل نفسها .. هى مشكلة ذاتها .. لا تطيق أن تكون سيدة نفسها .. وهى فى خيالنا الآن تتأرجح بين من تختاره سيدا لها .

إسرائيل مشكلة إسرائيل .. مشكلة حلف الأطلسى والرأسمالية والاستعمار ، وهى مشكلة حلف وارسو والشيوعية .. وهى مشكلة العرب .. وبهذا كله أضحت مشكلة عالمية .. وأصبحت مدولة كما لا تريد إسرائيل .. وكما لا نريد .. فهى فى هذا الوضع ليست أقل من خط برلين ـ بغداد .. وليست أخف من داتزج وليست هى البعيدة الشبه بفيتنام فى سايجون ومن هم حماة السايجون ، هم تركوها تصنع نفسها علهم يستغلونها .. يصنعون بها مناطق النفوذ لهم .. والقبض على المصالح .. فإذا بها تكاد تقضى على مناطق نفوذ سبقت .. لتحل محلها مناطق نفوذ لحقت ..

فهم وإن اختلفوا فى المظهر على وفاق فى النتيجة .. لاتفاق على الغنيمة .. الغنيمة هى المشكلة .. مشكلتنا ألا نكون الغنيمة ..

ومشكلة إسرائيل لمن تكون الغنيمة .. ومشكلة المعسكرين شرقى وغربى متى يتم توزيع الغنيمة ؟..

فالمعركة المدوخة .. والتى على ضوئها تكون المعركة الفاصلة .. لنا أو علينا .. أو الهدنة القاتلة لإسرائيل لا علينا ..

فالهدنة سلام مؤقت لا تطيقه إسرائيل .. وهى حركة مستمرة لاعداد الجندى العربى وتوحيد الجهد العربى .

المشكلة هى أن الذين صنعوها أول الأمر .. هم الخاسرون لها تالي الأمر والذين يعلنون المناواة لها الآن هم الكاسبون اليوم ..

والذين أعانوها ويعينونها سيضطرون لقبول التوزيع للغنيمة .. فهم فى مشكلة منها تتضخم مشاكلهم بها .. هى مشكلة نفسها .. ومشكلة العرب .. ومشكلة الاستعمار جديده وقديمه ومن ورائه يكون الكسب للخاطفين .. اما إسرائيل فلديها الثعلبة لتكون مع الفريق الكاسب .. فعندها رصيد من الرجال فى كل مجال ولكل الأحوال ومع كل المذاهب .. يعملون لها عمل السادة ..

● ولن ندير الخد الأيسر يا ابن الهمفرى . فلقد صفعنا قبلك أيام حرب الصليب همفريا لعله من أجدادك ـ فالاسم لكما إسم عليه طابع الانجلوسكسونى . صفعه صلاح الدين ، حين غزا كرش (ارناط) ..

أنت مع إسرائيل بكل قواك .. وليت أنك جعلت التصريح باسمك . بل أنت جعلت نفسك كل الولايات المتحدة . وهذا ما تقضى به الملابسة والملامسة .. لأنك الرئيس الثانى الآن ، ولأنك الرئيس الأول بعدُ إذا ما نجحت فى الانتخابات .

تصريحك يقول :

أمريكا مصممة على الوقوف بجانب إسرائيل . أمريكا لن تجعل إسرائيل تقف مكتوفة اليدين ضد من تحدثه نفسه بتدمير إسرائيل .

الأمريكيون يقفون بشموخ لمشاركتهم بجزء بسيط فى معجزة إسرائيل !

إسرائيل دولة تمثل جزءا من تراث أمريكا الروحى ، ولذا نضحى من أجلها !

هذا كلامك ! فهل هو الجديد ؟ ليس هو الجديد منك ولا عليك فقد صرّحت بمثله من قبل أوجزنا ردا عليه فيما مضى من أيام .

فهل أجد من يعتذر لك بأنك لم تقل ذلك إلا كمرشح فى الانتخابات تشترى أصوات اليهود .. حربا منك على منافسيك .. كيندى ومكارثى العضوين فى حزبك ، ونلسون روكفلر ونيكسون من حزبك الخصيم صانع أسباب الحرب كالمحافظين فى بريطانيا ليتحمل أثقالها حزبك الديمقراطى كحزب العمال فى بريطانيا أيضا ، كسير التاريخ فى أكثر من حال .

وهب أنا نقبل هذا العذر الآن ! فهل نقبله لننسى أنك لم تقله إلا كمبادئ تطالب بها يوم تكون الرئيس ؟ إنك تعرض على الناخبين برنامجك ومبادئك كرئيس مقبل . فلا وجه للاعتذار عنك بمسؤولية الواحد المرشح . لأنك ستكون المسؤول الأول إذا ما نجحت فى الانتخابات .. لا عذر .. لا عذر ، إنا لن ندير الخد الأيسر .. فهذه دعوة قد نسخها ديننا .. « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

ثم أنت لم تقل هذا كرجل روحى مع أخلاق المسيح عليه السلام .. وإنما أنت وقفت تعزف على أوتار قيثارة نيرون يرقص على نغمها النشاز عصابة من طغمة اليهود .

وقفت على حريق فى الشرق الأدنى تغنى لليهود . ليس هذا من عمل الروح المسيحية ، وإنما هو عمل اليهودية الشرسة .

كل تصريح يناصر اليهود فيه كسب للعرب . فلسنا الغاضبين منك ولا عليك .

إن العرب بتصريحك يكسبون الزيادة فى المعرفة .. ليكسبوا أنفسهم .. وإنا سنكسب الشعب الأمريكى كما يكسبنا إذا ما تبرأ فعلا من قولك حينما يسقطك فى الانتخاب .. ساعتها نصدق الاعتذار عنك لأنهم صدقوا فى العمل ضد تصريحك ..

● .. وسمعت المخبر من إذاعتنا أمس الأول . يخبرنا أن حكومة سيلان الجديدة برئاسة السيدة « بندرنايكا » قد قطعت علاقتها السياسية مع إسرائيل .. أحسبه توقيفا على شرط أن تنفذ إسرائيل قرار مجلس الأمن الصادر بحكمه عليها بالجلاء عن الأرض العربية التى تحتلها ، بعد حرب الأيام الستة من شهر كهذا الشهر « يونية » حزيران قبل أعوام ثلاثة .

هذا عمل مشكور من ناحيتين إثنتين :

١ ـ فيه مناصرة للعرب تعلن الحرب على الباطل بالصورة التى استطاعت . فقطع العلاقة بين دولتين إعلان للخصومة ، بيان عن عدم الرضا من الحكومة التى أشعرت بقطع العلاقة على الحكومة التى تطغى وتهزأ وتتحدى وتصنع فى الأرض الموقف الصعب ضد السلام .

٢ ـ مناصرة سيلان لموقف القرار وعمله وتنفيذه . فكأنما تقول : إن قرار مجلس الأمن قد وضعت عليه موافقتى وتوقيعى ، فلكى أحترم هذه الموافقة والتوقيع فينبغى أن اكون معه بقوة أملكها دفاعا عنه . واندفاعا معه . لأبين لأعضاء الهيئة عموما . ولأعضاء مجلس الأمن خاصة أن يتخذوها من المواقف ما يؤدون به موافقتهم على القرار ، وما يدعمون به توقيعهم عليه .

إن سيلان دولة صغرى . لكنها بهذا العمل تصبح فى احترامها لتوقيعها أكبر من دول كبرى لم تفعل شيئا مساعدا لهذا القرار .

إن سيلان حكومة فيها أكثرية مسلمة فألزمت حكومتها صاحبة الأغلبية الحاكمة أن

تكون مع إسلام الكثيرين من رعاياها .

وإن سيلان شعب تعايش مع الإسلام والعرب فى التاريخ الطويل . فلابدع أن تبدى عواطفها من خلال هذا الموقف .

وإن سيلان تنفعل بالاسطورة ذات الحقيقة المتأصلة فى نفوس أهلها ، والتى لها سلطان مؤثر فى النفس العريقة من خلال الخبر والتاريخ .

هذه الأسطورة ، الخبر ، تقول : إن قدم أبى الانسان قد نزل فى سيلان . يعنى أن هذه الأرض كانت أما لأرض الناس جميعا .

ولا أظن العرب فى موقفهم اليوم إلا الشاكرين لسيلان على هذه العاطفة النبيلة والاتجاه المعين عن عقل مدرك لمشاكل الشرق كله .

تحيتى لسيلان . تقديرا وشكرا . ولا أكثر ولا أقل .

● .. وتصب إسرائيل طغيانها على العرب .. فى الأردن الصامد بقنابل النابالم ، فيشكو العرب إلى مجلس الأمن شكوى لا تطلب العدالة من مجلس الأمن ، وإنما هى تعم الدنيا بالعجز عن رد الطغيان .. كأنما العالم ـ بكل إنسانه ـ قد خلا من وجدان الإنسان ، فلا رادع بقوة ، ولا مدافع عن قانون !

حال لا يطاق .. من العجز أن نطلب العون أو العدل من أحد ، ومن شئ آخر لا أسميه ألاَّ نطلب من أنفسنا .. عن أنفسنا الدفاع عن أرضنا !

افهموها كما شئتم ، فلئن عتبنا على الدنيا فان هذه الدنيا ترد العتاب علينا بالقاء اللوم .. بالوصمة .. بالمعابة .. كأنما كل ما يصنع بنا نحن الذين صنعناه بأنفسنا !

الشكوى إلى مجلس الأمن أصبحت كقراراته « حديث خرافة يا أم عمرو » !!

لا نقولها هذه الأيام .. فالذين لا يعملون جدير بهم ألا يقولوا !

.. وإنما تقولها الأجيال القادمة تصب سخريتها لا على الطغاة وحدهم .. لا على إسرائيل وحدها وإنما على الذين حاربوا « موسيلينى » و« هتلر » . كان بعض ما أساءا فيه تحطيم عصبة الأمم .. بينما هم هؤلاء يحطمون الميثاق ، وهيئة الأمم ، ومجلس الأمن ، والقانون الدولى ، والاعراف الأخلاقية بأسلوب ناعم ..

لو كان لى من الأمر شئ لما شكوت إلى مجلس يقدم بعض أعضائه القرار الصريح .. يجمع عليه الأكثرون .. فإذا الأقلون يخضعون مقدمى هذا القرار إلى صيغ مائعة كهذا التصريح بلسان دولة تقول إنها تعارض خرق إيقاف القتال !.. أى كلام إنشائى هذا ؟!.. إنه لا يضيرنا بل ينفعنا .. نتعلم منه كيف تقهر الظروف الدول الكبرى !!

إن أى تصريح ، وأى بيان مشترك أصبح لا يفيد كقرارات مجلس الأمن ، حديث خرافة .. الفائدة أن نتلمس الخلاص بكل وسائل الخلاص ، ولكن باخلاص .. اخلاص الجميع .. نضع كل سبب للفرقة تحت اقدامنا .. لنعين أنفسنا ، وعلى الأقل لا نقف مكتوفى الأيدى أمام هذا الموت المقطر .. نأخذه جرعات فى كل يوم ضربة من إسرائيل . فلتكن الضربة الواحدة علينا أو لنا .. لعل الدنيا تتنبه .. لعلهم يعرفون أن العربى لا يموت كالمختنقة .. كالموقوذة .. كالمتردية .. يعنى فطيس !

فطعم الموت فى أمر حقير ... كطعم الموت فى أمر عظيم !

الذين يموتون بالأمراض خير لهم أن يموتوا بالقنابل !.

إن الشكوى لمجلس الأمن أصبحت المخدر الجديد .. بل هى أخطر أنواع المخدرات .. هو أخطر من الحشيش والأفيون ، والطاطورة ، والهيروين ، والكوكايين ، وحبوب الهلوسة ، وحبوب الكونقو .. كل هذه تخدر الأفراد .. أما قرار مجلس الأمن فمخدر الشعوب المستضعفة ، وهذا أخطر . ومن واجبنا أن نتجنب تعاطى المخدرات !!.

● حسبت إسرائيل أنها ملكت بوسائلها الرأي العام العالمى .. تثيره ضد العرب .. وقد نجحت فى ذلك إلى حد بعيد فى الأيام الأولى ، فهو على الأصح فى الأشهر الأولى !

شئ من وسائلها ، وأشياء ممن أعانها .. لكن الشئ الأكيد تقاعس بعض الرؤوس فى أكثر من دولة .. ليس أمام الضربة المذهلة ، وإنما أمام الرغبة الذاهلة !

لكن الرأي العام العالمى ـ ولا أستطيع أن أقول إنه خرافة ـ قد اتضح له ما تفعله إسرائيل .. ولم يتضح له ذلك بما جرى فى مجلس الأمن ، أو فى هيئة الأمم من كلام فضح إسرائيل .. إنما الوضوح جاء أكثر وأكثر من مواقف إسرائيل نفسها .. فكثير من الدول فى

أوربا تسأل نفسها بالحاح عن هذه المواقف من إسرائيل :

* اغلاق قناة السويس ـ اغلاق المطارات حينا بعد حين ؟

* أوربا تسأل نفسها الآن عن الشلل الذى أصاب المواصلات ؟

هذا الموقف من إسرائيل شاهد يفتح آذان الرأي العام العالمى عن طريق الصراخ فى أوربا ، وليس أبخس القيمة للكلام فى مجلس الأمن لأن هذا الصراخ فى الغرب قد أعطى الكلمة فى مجلس الأمن الأذن المصغية .. تسمع فظائع اسرائيل ..

من هنا .. جئت فى هذه اللحظة أشكر للباكستان ، وللسنغال موقفهما يتزعمان الشكوى فى مجلس الأمن ضد ما تفعله إسرائيل من فظائع وآثام .. فى الأرض المحتلة.

إن الباكستان والسنغال بهذه الشكوى قد منحتانا الفرصة لأن نفتح أعين أعضاء مجلس الأمن .. الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة .. الأعين فى التلفاز الأمريكى ليشهد الفظائع .. مصورة بالكلمة . والصورة .. ليعرف أن فظائع النازية كانت أقل من ذلك !

فالنازية قتلت رجالا .. لكنها ما هتكت نساء .. ما جزرت أطفالا .. ما هدمت بيوتا على أصحابها .. ما فجّرت فى المساجد والكنائس .. ما تباهت بما فعلت .. كنت أيام النازية أتمنى هزيمتها لحساب الإنسان ، ولكن هذا الإنسان حينما امتلك القوة أصبح يطغى .. بعين نازية أخرى .. هى نازية بالفعل ، وشيوعية فى المستقبل ، ولن تكون غير ذلك !

أشكر للباكستان وللسنغال هذا التمكين لنا فى إعلان الفظائع .. فلعل إسرائيل ـ إن لم تستح أو تخف ـ يستحى الآخرون إن لم يخافوا !!.

** فوضى عالمية .. كأن العالم قد خلا من العقلاء . فقد أخذته اليهود بما صنعت وتصنع من كل عاقل . إن حلم الصهيونية قبل أن تسود فى الأرض أن تفرض سلطانها على الفكر وعلى النفوس . وكثير من الشعوب والدول قد وقع فى ذلك .. فأهدروا إنسانية الإنسان ، أما نحن العرب فأحسبنا بالصمود فى حرب اليهود سيعرف الإنسان أنا مخلصوه من خدر اليهود وسلطان الصهيونية !

هذه الطائرات التى تفجر أحدثت فوضى عالمية . فى خطوط المواصلات ما صنعها إلا اليهود ، لو خسروا رجالا منهم . إن اليهود يريدون هذه الفوضى العالمية ، فهم يتهمون

العرب بأنهم قد فجروا الطائرة السويسرية ، والطائرة النمساوية ، والعرب أنكروا ذلك ، فلماذا لا يتهم اليهود أنفسهم بأنهم صانعوها ليثيروا الرأي العام العالمى كما فعل غيرهم قبلهم فى قتل السردار ، أو اغراق « كتشنر » ؟.. هذا احتمال راجح ، وهناك احتمال قد يزعم بعضهم أن الذين فجروا هاتين الطائرتين قد استأجرهم « البزنس » من بعض العرب أو من أنصار العرب . « البزنس » له فعله .. الأجر المدفوع له عمله .. لا تعجبوا فاذا كان أكابر الرجال فى الدول الكبرى قد طوعتهم الصهيونية لأغراضها بالأجر المدفوع « بزنس » فلا يبعد أن يغرى عامل فى طائرة .. حمال حقائب .. مهندس بأجر مدفوع .. ليضع المتفجر . فحينما فجرت أخلاق الرجال بالخضوع للصهيونية تفجرت أحوال الدنيا بهذه الفوضى ، أفليس هناك عقل يعود إلى شعوب كبيرة تقول للصهيونية : قد رفعنا يدك عن أكابرنا لينقذوا دنيا الإنسان من هذه الفوضى العالمية ؟ يحسب اليهود أنهم بما يصنعون يؤلبون الدنيا على العرب ؟.. لا ..



مواقف ورجال

● هو شاب لم يبلغ السابعة عشرة بعد .. جلس يسمع إذاعة لندن يشاركنى فيما أنا فيه ، أو يشارك الانسان في تلك اللحظة بكل ما هو له من الهتاف لانتصار العلم ، وما كادت الإذاعة تختم الأخبار عن سلامة الهبوط لعابرة الفضاء « أبوللو ١٣ » .. تبسط الفرحة الغامرة بجهد الرجال ، والغامرة بنجاة الانسان .

لقد سمع وسمعت فقال : هل تعتقد أن العطب أصاب المركبة بالمصادفة كحدث عرضى منعها الهبوط على سطح القمر ؟!

ـ قلت : نعم إنها مصادفة ، فما هى الا آلة يعتريها كل ما يعترى الآلات . بل إن كل البراعة في دقة ما ركب فيها ترجح كل الاحتمالات للاصابة بالعطب . فالتركيب المعقد الدقيق ، والموجه من الأرض ، والمدار برجال في الفضاء يحمل في تركيبه الخطر والخلل .

ـ قال : أنا أخالفك في ذلك ، إنى أعتقد أنه مخطط متعمد فيه ايقاع الاصابة بالعطب لامتحان الكفاءة في مقاومة الجاذبية على القمر لاختبار القدرة في صمود الرجال .. لابراز الحقيقة في اتقان العلم !.

أرادوا أن تصاب بالعطاب ليكسبوا التجربة الصحيحة في انزال سفينة تعطب للمصادفة .

ـ قلت : هذا كثير .

ـ قال : الذى كثره في نظرك هو الاخراج المسرحى في وقوع الحدث واخراج الأخبار يجعلون الانسان في رجفة .. يمتصون بها بعضا من النقمة ، ويمتصون بها أيضا كل النعمة .. نعمة المجد !

ـ قلت : على هذا تصلح أن تكون معلقا سياسيا . فكثير من التعليقات السياسية لها نفس الملامح التى تتكهن بها !

ـ قال : النجاح سيجعلهم يقولون أنهم صنعوا ذلك ، والفشل كان في مقدوره أن يتقولوا عليه فيزعمون أنها المصادفة .

ـ قلت : حوار اعرضه .. لا أنكره كل الانكار ، ولا استطيع أن اثبته لكنه أعجبنى كاثارة من ذهن ، ولو لم يصادف الحقيقة إلا أنه يوائم مشاعر الذين يألمون من سفك الدماء ، ويأملون في نجاح السلام حينما ينجح العلم !

ثم قلت : إن عملية السلامة بهذا الهبوط المتقن لا يفترق توقته إلا في ثوان خمس .. أمر عظيم . أشعر أنه أعظم من عملية الهبوط على سطح القمر !

● أحسن حكاية سمعتها عن البرلمانات جاءت من إذاعة لندن .. البلد الذي أشاع البرلمانات في العالم . فالانجليز استطاعوا أن يستخدموا البرلمان كصمام أمان ، وكضمان من الوقوع فيما يحذرون منه !!

لكن الذين نقلوها عنهم ما كانت توائم طبائعهم ، ولا تلائم حتى مصالحهم فتخبطوا بها واغرقوا شعوبهم التي لم تكن في حاجة الى خلاف أكثر .. فأوقعوها في الخلاف الأكبر !.

كثير هى المساوئ .. غير أن منها : الانحراف بالتعليم الى درجة أن كثر المحامون ورجال القانون ـ يعنى أرباب صناعة الكلام ـ من أجل البرلمان ..

الحكاية تقول : إن أقدم برلمان . أو هو أعظم برلمان كان في دنيا اليونان في احدى الجمهوريات الاغريقية .. صنعوا هذا البرلمان ، ومن تقاليده أنه يجب على النائب اذا ما عرض قانونا . أو مشروعا لقانون .. يجب أن ينشد أولا أنشودة ، ثم يطرح المشروع على المناقشة . فاذا لم تتم الموافقة عليه يسحب هذا النائب صاحب المشروع على وجهه ـ يعني يسحل ـ ويذهبون به فيقتلوه .. ويشنقونه لأنه رجل فاشل .. عرض مشروعا لم يوافق عليه البرلمان !.

هذا الوضع قد أمد برلمانه بعمر طويل .. مائتى عام . لكن ليس هذا هو السؤال .. السؤال : كم قانونا أصدر هذا البرلمان ؟!.

الاجابة تقول : في هذه المدة الطويلة لم يوافق البرلمان إلا على قانون واحد (!!) ..

حكاية لها مغازيها ، ومراميها .. يطرح سؤال بعد ذلك :

ـ هل كان الرفض من هذا البرلمان عن اقتناع ، ومعرفة ، وحجة ، ومصلحة ؟.. ام أن هناك سلطة فوق البرلمان اتخذت منه صورة للديمقراطية ونفذت عن طريقه الدكتاتورية ؟!.

أعتقد أن البرلمانات كلها واجهة للديمقراطية .. تستلب بها ثقة الشعوب ليكون من وراء هذا السلب التنفيذ لآراء معينة ، أو مبادئ معينة يخطط لها فريق من الناس المنتمين لحزب ما باسم هؤلاء الناخبين !..

حتى البرلمان البريطانى لم يخل من هذه السوآت ، وحتى الكونجرس الأمريكى أصبح الآن يتململ لأن كثيرا من الأمور تجرى دون علمه .. تستغلها جهات عرفت كيف تخرج من المأزق بتعدد السلطات المربوطة بمرونة !.

إن هذه الحكاية قد لا تصلح دليلا على الحكم بالسوء لأى برلمان . وإنما واقع هذه الأيام هو الحاكم بالسوء على برلمانات تسكت عن الذبح والقتل للانسان الذى صعد الى القمر .

● وأطبق اليأس على كثير من الفرنسيين حينما هبت النازية بالضربة العاصفة للخطوط والجسور والحصون فتقدمت بزحف الحاقدين الى أبواب « باريس » فكانت فجيعة عالمية !!

ولم تصل سحابة من وراء الأطلسى . صرخ يناديها (بول رينو) كأنما هو يقول : ـ أيها الشاكرون لفرنسى صديق أعان واشنطون فى حرب الاستقلال (لافاييت) ردوا إلينا جميلا صنعه لكم .

ولم تسرع السحابة . ولكن الفدائية فى دم الافرنس ، وقائد المقاومة (ديجول) ومن معه ثبتوا أقدامهم على الأرض وأطبقوا على اليأس يزيحونه من نفوس الافرنسيين فجعلوا السحابة من وراء الأطلسى تجد لها مكان نزول تضع ثقلها فيه . تمطر انتصارا على النازية ونصرا لفرنسا حققه الفدائى . وجاءت به المقاومة الوطنية حتى عادت فرنسا الدولة الكبرى

فى مجلس الأمن،والدولة الكبرى يقيم جيش من أبنائها فى أرض المانيا التى عادت محتلة بعد أن كانت زاحفة تحتل !!

وأطبق اليأس على كثير من العرب . فى أيام يونيه السته منذ عام حينما زحفت نازية ثانية بضربة عاصفة تحتل الأرض العربية وتقيم على أنقاض هزيمتنا نصرا لها فكانت فجيعة إنسانية !!

ورجونا سحابة من وراء الأطلسى لا تأتى من دولة واحدة وإنما رجونا وصولها من الدول كلها فى هيئة الأمم أو مجلس الأمن . فاذا السحاب جهام لا يمطر ما يغيث ، الظلة تعبث بالبائسين . ويعبث بنا بها الظالمون .

لكن الفدائية فى الدم اليعربى قد جعلت السحاب العربى يمطر العدو وابلا من القتل والخراب . يكون منه الغيث لنا والعبث بالعدو !

إن المقاومة والفداء هى السحابة المغيثة أمطرت التقاط الأنفاس ورفع الرأس . كأنما هى تطبق اليوم على اليأس تزيله ترمى به وراء خطوط الاعداء . ليكون الأمل فى النصر قريبا .

لقد اكسبونا رد الاعتبار ، فأعطوهم العون مقابل العزة ، ردوها اليكم مقابل ما يبذلون من نفوس . هم يبذلون دم الشهيد . فابذلوا أنتم العون للشهداء .

قرشا .. سلاحا .. لقمة خبز .. أملا فيه .

إن الثقة فيهم تجعل للعطاء قيمة . وإن البذل منكم يجعل للثقة قواما فى نفوسهم .

كونوا أفردا بالرفد والعون والعدو من كل ما تقدرون عليه .

إن اليهود قد تحدوا الفاتحين الأولين . يتحدون الاسلام فى أبى بكر الفاتح الأول . فى عمر الفاتح الثانى . فى خالد . فى صلاح الدين .

ايدوا الفدائية عونا وتطوعا وأملا وحفاظا تكسبوا اليوم الأبيض رغم السحاب الجهام يأتى من وراء الأطلسى ، ألا سحقا ليهود جنوا من جيشهم .. جيش « باتستا » فى الشرق ستأكله عاصفة ليست على اليسار وإنما على المتعسفين الظالمين .

● أسبانيا الدولة نفت ما ادعته ألسنة الصهيونية ودعاة إسرائيل . فقالت أسبانيا باصرار الرجال الذين يعرفون أقدارهم ، ولا يتلاعبون بالقيم الموروثة ، ولا بالمسؤولية المورثة .. قالت : لا .. لا .. لم ولن يكون هناك تبادل اعتراف ، ولا خطوات تعارف باسرائيل .. قالت : نحن مازلنا مع العرب لأنا نحترم قيمتهم فى تاريخ الانسان ، وقوامهم فى حياة الدنيا فيما سبق ، وفيما يلحق .. نرفض الظلم ، ولا نتصالح مع الظالمين !.

أسبانيا ما قالت ذلك لأن وارداتها ، أو مصانع الأسلحة فيها تود لها سوقا عند العرب ، أو أنها تغاضب السوق الاسرائيلية حتى تسحبها بنوع من التراضى لتشترى الواردات ، أو لتقتنى السلاح ، وما تقول ذلك لأنها تود أن ينصرها عرب فى المشرق على عرب فى المغرب ، فهى قد صفت الكثير ، وهى فى طريق التصفية لكل ما يضر بعلاقاتها مع العرب فى المغرب .. بل إنها بهذا الموقف تيسر للصداقة أن تعمل عملها .. يرسخ بها المجد القديم ، وتنمو بها الحياة الجديدة !

أسبانيا قالت ذلك بقوة جنرال لعله الأول قبل ديجول .. رجل ما كان خلقا تلعب به الرياح .. أثبت للدنيا كذب الظنون التى كانوا يظنون ، فلم يصبح لعبة فى يد النازية ، ولا دمية فى يد الفاشية رغم العون المبذول له منهم ، وهو الآن - أعنى الجنرال فرانكو - يثبت أن مصلحة أسبانيا هى التى تلزمه أن كان محايدا فى الحرب العالمية الثانية..لم تسقه عاطفة نحو موسولينى ولم تأخذه نزوة إلى هتلر .. كل عواطفه لأسبانيا .. كل عقله لها ، وحتى « صومائيل هور » وزير خارجية بريطانيا سابقا .. سفيرها فى مدريد أيام الحرب (لوردبن) لم يصنع شيئا ليكون فرانكو المحايد فى الحرب .. كان ذلك عمل الجنرال فرانكو نفسه سلمت به اسبانيا خلقا وسياسة ومستقبلا .. هكذا الرجل لا يبيع شعبه مخافة أن يتضافر عليه الأعداء ، ولا يهدر حق شعبه فى سبيل الكسب من مادة قد تجئ برخاء الشعب اليوم لكنها تنتهى برخائه غدا !!.

إن الجنرال فرانكو ، والجنرال ديجول رجلان لا يلعبان اللعبة القذرة من أجل إسرائيل ، وإنما هما قد جدا فى ذيل الصداقة العربية التى باعها أصدقاء لم يحكموا عقولهم وإنما قد حكموا بعقول مدمرة لشعوبهم .. لا خير فى رجال تمتلئ جيوبهم ، وتخوى قلوبهم !!

● بدت طلائع الكومنولث الجديد !

فهل هى تجربة تخضع للظروف ، أم هو مخطط يصنع كل الظروف ؟!

كل المعلقين ، وكل الأخباريين يذيعون أن « تشيكسلوفاكيا » قد انتصرت فى تحريرها الوطنى ، ونظامها الداخلى ، وحتى قوميتها !.. ولعلى أبدو شاذا حينما أزعم أن ما صدر به بيان المؤتمرين فى « بتسلانيا » لم يكن إلا انتصارا للامبراطورية السلافية .. امبراطورية الكرملين !.. ولم يكن ذلك تصرفا عاجلا .. صنعه المؤتمرون فى ٢٤ ساعة ، وإنما هو تخطيط مدروس .. صنعت من أجل تنفيذه احداث فى مقدمتها وجود الجيش الروسى فى تشيكسلوفاكيا ، وليس آخرها خروج الجيش دون أن يحدث أثرا ، أو أن يتولى ضغطا على شعب يبدو فى ظاهر العيان أنه يريد الانسلاخ عن الامبراطورية الروسية !.

قد يكون الدرس الأول ليس هو فيما وقع فى تشيكوسلوفاكيا ، ولكن فيما صنعته يوغوسلافيا من قبل ، أيام سلطان المذهب يفرض فرضا بالقسر . وفيما صنعته رومانيا !.. إن يغوسلافيا ورومانيا قد أعطتا للكرملين نهج المؤتمرين فى تشيكوسلوفاكيا .. تحقق به الانسلاخ عن الدمج بالقهر ، وعن سلطان المركزية إلى قوة التجمع بالحرية الشخصية فى إطار العمل الجماعى .. قد يكون فى هذا اضعاف للمذهب ، روسيا لا تمانع فقد فرغت من ذلك بالكلمة التى قالها خروشوف : « لقد وصلنا إلى الرفاهية وهذا ما نعنيه أو ما نريده من الشيوعية » . حينما وصلوا الى ذلك رجع الاتحاد السوفيتى إلى مجد الامبراطورية ليعمل بأسلوب الأباطرة !!

إن روسيا الامبراطورية فى احتلالها من قبل الشيوعية لبولندا وفنلندا ، وفى عدائها مع المانيا وفى غزواتها للدولة العثمانية لم ترد أكثر مما وصلت إليه الآن مؤتمر تشيكسلوفاكيا .. لقد حققت بذلك سلطان موسكو على هذه العواصم .. عاصمة للكومنولث الجديد ، وفى هذا يبدو الخطر فى أكثر من ناحية .. فقد كان هناك المطعن الأول والأخير ، والمحذور منه ، والمخيف هو : كفران الشيوعى بالوطنية ، والقومية مما أصاب الأحزاب الشيوعية فى إيطاليا وفرنسا بالعجز إلى درجة التقلص ، ولكن بهذا المؤتمر وبالنهج الذى أعلنه قد أزال هذه

المخافة .. فكل الشيوعيين الآن فى حلف وارسو أصبح لهم الحق بالاحتفاظ بالقومية والوطنية .. لا يغيرهم أن يكونوا الأعضاء فى الكومنولث الجديد ليكون غيرهم مثلهم .

إني اشتم رائحة الخطر من ذلك .. تقف المانيا الغربية على حافة المخافة . ولقد كان فى تصريح « كيسنجر » ما يلقى الضوء على هذه المخافة فقد جاء فيه : إنه بالرغم مما صدر فى هذا المؤتمر فانه حريص أن يكون على علاقة طيبة مع دول أوروبا الشرقية :

إن هذا العمل ـ وأجد فيه الخطر ـ خطر التوسع الروسى بالأسلوب الناعم ـ لم يكن مصنوعا فى دقائق أو ساعات وإنما هو صنيع الأيام .. صنيع الأحداث .. صنيع الضمانات .. ضمانات القوة أتاحت لروسيا أن ينتشر أسطولها وقواعدها العائمة .. فى كل المحيطات .. فى أعالى البحار .. فى البحار الوسيطة . فى الخلجان .. فلماذا لم نسمع تعليقات من الغرب ؟!.. ألأنه لا يعرف هذه الأخطاء .. أم لأن كثيرا منهم يرى فيها توازن القوى ؟!.. لا أحسبهم ليسكتون عن ذلك . ولكنى أعزو الصمت إلى الشعور بدقة الموقف . وعظيم الخطر لا يحسن إبداء الرأي فيه عاجلا !

لقد حسب بعضهم أن الجيش الروسى فى تشيكسلوفاكيا سيصنع من براغ سايجون ثانية لتكون بون هانوى أخرى ، أو هو العكس .. لكن الروس . وقد أطبقت عليهم الخيبة وكادت تضيق الشباك .. قد انفلتوا منها بقوة الرأي فلم يصنعوا ما تريده حماقة القوة !.. ولعل أحداث الشرق الأوسط قد أتاحت لروسيا أن تسلك هذا الطريق .. فهناك سؤال سأله طالب قادم من أمريكا طلب من أستاذه الاجابة عليه .. السؤال : من هو الذى انتصر فى حرب الشرق الأوسط ؟!

الاجابة : إسرائيل أولا . والذين أعانوها ثانيا . والذى خسر الحرب هم العرب !

وأجابه الطالب : لا .. إن إسرائيل لم تكسب الحرب . والعرب لم يخسروها بعد .. إن الذى كسب هذه الحرب هو الاتحاد السوفيتى . والذى خسرها هم الذين أعانوها ولا زالوا يعينونها !..

فهى للاتحاد السوفيتى فى الأمد القصير ، ولكن فيها كل التضييق على الغرب فى الأمد الطويل !..

فهل عرفنا بعد ذلك الخطر !!..؟ هى أراء أسجلها لا لحساب أحد وإنما لحساب الفهم والفهم وحده لا أكثر ولا أقل !

ولعلى انتظر معكم ما يعلق به رجال يقولون الكلمة الصريحة لقومهم كما « والترليبهان » !

● الأمير فهد فى الصومال .. وفى الصومال فهد !

فلو لم يكن فى الصومال فهد .. قد استأسد على الاستعمار لما استقل البلد الشقيق .. يرتفع فيه الآذان على المنائر المسلمة !

الأمير فهد فى الصومال يحمل أمانة التبعات .. لا تقود بها الاتباع ولا تسعى بها إلى الابتداع . وإنما لنكون مع الاخوة المسلمين المتبعين لكلمة التوحيد .. المبدعين توحيد الكلمة !

الأمير فهد فى الصومال يمثل الدولة فى احتفال الدولة باستقلالها .. رأيته وقد نزل من الطائرة يسير بين تصفيق الجماهير ، واستقبال الجمهرة من علية القوم ، فنظرت اليه أفتش عن المعانى فى اقباله من خلال المعانى فى استقباله وجدتنى أرى فأل خير .. أرى البشرى فى باقة من الزهر يحملها عطرا فى وجدانه .. كالرونق فى الاحتفاء به .. كالاعتداد والاعزاز فى تحيتهم له .. فى تحيته لهم !

باقة من الزهر تحملها الفطرة المسلمة فى يد المفطورين على هذا الاسلام .. طفل يقدمها إلى الأمير رمز محبة لتوثيق الفطرة .. عنوان صداقة من رسوخ التعاون .. صلة اليد المؤمنة باليد المؤمنة تصافحها .. تساندها .. تنصرها ليشتد شعبى المسلم فى الصومال برد كيد من حوله ممن هم الحول والقوة له .. الحول والقوة من الله .. الله يعطينا هذا الحول والقوة بالكلمة المؤمنة بالصداقة لهذه اللغة الشاعرة .. بالصدق مع كل ما ورثناه من تراث .. السابق فيه بلال ، سابق الافريقيين واللاحق فيه لا ينتهى باحد المنتسبين فى أروقة الجوامع المسلمة من « جبرت أحمد » أو « جبرت اسماعيل » .

الأمير فهد فى الصومال .. ذهب إليها يطل على افريقيا المسلمة كأنما هو يقول لها : إنا الحريصون على اسلامنا ، يعتز بكل المسلمين ، ولا يبتز العواطف للأفراد ، وإنما هو يكتسى

بها كالبز .. يتخذ منها زينة عند كل مسجد !!

إن الافريقيين لهم أمل كبير .. صهره الألم الكبير فما أحرانا أن نكون معهم نعالج الآلام ، ونسقى الآمال .. حينئذ لا نخاف أن تتكرر مأساة الصوت المرجح لانشاء دولة إسرائيل بالاغراء ، أو بالتهديد .. من شركة عجلات السيارات « فايرسون » .. وحينئذ يلتزم الدكتور باندا وأمثاله جانب الأدب مع العرب .. مع المسلمين !

كل هذه المعانى حملها الأمير فهد معه .. ممثل هذا الكيان الكبير .. حكومة وشعبا ، ومبادئ .. يعنى التمثيل الكامل للدولة كلها !..

إن الذين يمثلون بلادهم ينبغى أن يكونوا على المستوى الرفيع حرصا على مكان .. وثوقا بأنفسهم ، وصونا لقيمة .. ثقة بشعبهم .. والأمير فهد من هذا الوزن الثقيل ..

أما الآخرون الذين يمتصون المكان الكبير ، والقيمة المقدسة لأغراضهم .. فهؤلاء ينبغى أن يكون غرضنا الوحيد ألا يكونوا فى غرض لنا .. فنحن أكبر من إستغلال المغرضين ، أو الانتهازيين .

تحياتى للأمير فهد .. تحية المسلم لأخيه .. تحية واحد من السعوديين لسعودى أمير .

● الحياة .. حلوة جميلة .. يريد الانسان أن يحياها دون منغصات .. ويتمنى أن يصحو على خبر طيب مريح لينعم بصحوة هادئة ، ونوم لا يقظة فيه .. اليقظة منه على الخبر الطيب !

ولكنه لا يصحو اليوم ، ولا ينام إلا على صوت العجيج والضجيج ، والهرج والمرج .. كأنما الأرض جنت بأهلها ، أو أن أهلها أصبحوا الشياطين فوقها .. لم تعد الأرض جُنة ـ بضم الجيم ـ ولا هى جَنة ـ بفتح الجيم ـ يمرحون فى حدائقها الغناء !

وتحدث إليّ .. أو لعلها هى تحدثت إليّ .. قالت :

ـ ما بال أوربا ترقص اليوم على برميل من البارود !!.. أو يمسك جبابرة صغار فى صغار نيرون .. وجبروته يعزفون على قيثارة فوق فوهة بركان .. ليس هو حريق روما ، ولكنه الحريق فى كل روما .. أعنى أى عاصمة هى اليوم أغنى من روما القديمة بالزخرف والفن

والحياة والقوة !

ـ واجبتها : ليست هى أوربا وحدها التى ترقص على فوهة بركان . أو تقذف نفسها وسط الهاوية !.. كان « دلاس » يلعب .. يخوض التجربة .. يجعل منطقته على حافة هاوية ليتقدم خطوة يوطد نفوذه . أما اليوم ، فالدنيا كلها صنعت لنفسها الهاوية !.. لا يستطيع « دلاس » ومن اليه أن يتحرروا بالخروج منها .. كل هذا صنعته أوربا شرقيها وغربيها ، وشاركت فيه الولايات المتحدة .. أرادوا لمن حولهم أن يكون فى الهرج والمرج ليجلبوا الخبز والزبد والبترول .. فاذا الحريق يمتد إليهم .. فى كل مكان من الغرب والشرق زوبعة .. عاصفة .. تأكل القادة .. تخرج القادة .. تشيع الفوضى .. لا هى إلى اليسار المعلوم ، ولا إلى اليمين المفهوم .. إنما هى إلى الفوضى التى لا تفهم ولا تتفهم !

ـ قالت لى : وما السبب ؟!..

ـ قلت لها : ألم تقرئى « التجربة » لكولن ويلسون ؟.. دعينى لأشرح لك شيئا منها ، والتى أفهم بعض ما قال .. إن فيها الأزمة يصنعها المثقفون .. هم يعيشون أزمة التفكير فينشرون أزمة الفكر .. كل مثقف أمتحنته الأفكار أصبح فكره محنة عليه وعلى الناس .. لقد ساعدت وسائل النشر على انتشار الأفكار لتتصارع ، وهذا الصراع بين الفكرة والفكرة جاء به المثقفون .. رضع منها كل شعب .. فأرادوا التحقيق لفكرهم ، بالعمق والعنفوان !

الفكر صناعة الرأس ، وكثيرا ما يأتى بهذا الذى نحن فيه .. أما المبادىء حينما ترسخ ، والايمان حينما يتأصل فصناعة القلب .. كل الدنيا تعيش بالفكر لتعبث بالقلب (!) .. هذه هى المحبة فكر بلا قلب !!

فالكون ملحمة كبرى جوانبها دم ونار وأنصار وظلماء

● بعد ظهر الجمعة أذيعت النتيجة المنتظرة لنجاح المحافظين ، وسقوط العمال فى الانتخابات التى أجراها حزب العمال الحاكم ، فانتصر فى ظل حكمه خصمه حزب المحافظين .

والأمر الذى يعنى كاتبا قرأ النبأ ، وفهم الخبر ، وأحس بالتقييم لذلك كله .. هو هذه الصور البارعة فى الشعب البريطانى وتقاليده .

ولقد اكتوى العربى من سياسة البريطانى ، غير أن تقدير الشعوب واحترام سلوكها فيما تعمله لنفسها ، وتسير به فى حياطة حكمها ، شئ أخر يختلف ..

أعطونى حاكما فى أكثر من مكان قلد النظام الحزبى والبرلمانى فى بلاد الانكليز ، وعف عن التدخل فى الانتخابات تزيفا وضغطا إلى غير ذلك من الأساليب الطاغية والفاسدة التى تتنافى مع النظم البرلمانية .

الخصومة حادة ، واللسان ينطلق فى الطعن والتجريح والمغماز والمعابة ، والمعركة تحتدم .. كل ذلك فى الشوارع والنوادى ومجالات الانتخابات .. أما دوائر الحكم والقضاء والفرز فلا مجال لأثر من أبحاث الخصومة .

لا شكوى ، ولا مطاعن بعد الانتخابات تجرى فى المحاكم أو فى الشوارع ، فمجال ذلك أضحى تحت قبة البرلمان ..

فى اللحظة الأولى من ظهور النتيجة ، يذهب رئيس الوزراء العمالى إلى القصر يقدم الاستقالة . وفى اللحظة نفسها يذهب رئيس الوزراء لوزارة الظل أمس ، والوزارة العاملة غدا إلى القصر يعرض أسماء الوزراء ليتم النطق الملكى بالتعيين بلا ضجة ، بلا عقابيل ..

لقد نشأ عن هذه المواءمة كتقليد رسخ أن أصبح الأمر فى النتيجة ، وكأنه لا تغيير ، ولا فرق بين الأشخاص ..

فهناك ظاهرة اتضحت وهى فى هذه المفارقة المنسقة بين ادوارد هيث وهارولد ولسون .

إن كل شئ فى ادوارد هيث يجعله هو الرئيس الملائم لحزب العمال بحكم النشأة وما إليها .

وإن كل شئ هو لولسون يجعله هو الرئيس لحزب المحافظين بحكم النشأة وما إليها . فكيف تبادلا المقاعد ؟.

تلك ظاهرة الصحة وتقدير الظروف والخضوع لصمامات الأمان .

إن حزب المحافظين من أصحاب القبعات العالية لم يرفض هيث لأن الواقع يتطلب

هذا . ولأن التقرب الى الشعب ينبغى أن يعطى الشعب ملامح الترغيب كحجر لمزايا العمال . وإن حزب المحافظين الذى قاده السباك والفحام والصائغ قد رضى بأن يصبح هؤلاء لوردات من أصحاب القبعات العالية فى الوضع والانساب وإن لم يلبسوها ..

فالأمر هو الكفاءة . والأمر هو أن يتقاربوا فى الشكل . فى المظهر مع التقليد الراسخ والمنهجية ، التى تبلغ حد العجرفة .. فلا ينفر الشعب من أحدها لسبب لا يلائم طبيعة العصر .

فهل الذين يقلدونهم يطيقون أن يسيروا على نهجهم .. ادوارد هيث من طبقة متواضعة صار رئيس المحافظين ، وويلسون من طبقة عالية صار رئيس العمال ..

تخطيط لم يضعه فلاسفة ، وإنما وضعته يقظة الشعوب واحترام الشعوب .

وأخيرا .. هل سيكون فى السياسة البريطانية تغيير مؤثـر ! لا .. ولا .. كل التغيير وضوحهم فى تأييد إسرائيل .



العرب

● وسؤال آخر يشتد الالحاح به للافصاح عنه ، وقد لا أجد جوابا عنه الآن فى وقت زاحم تكاد الزحمة تأكل الرحمة . جهود عدة ومن سنوات بذلها العرب . كل عمل له ليكون نطاقا حولهم ، أو سياجا يصد عنهم ، أو قيمة ترتكز عليها مسيرة ما يسعون اليه كقضية فلسطين مثلا .

جهود ضاعت . فلقد ذهبت كأنما هى « قبض الريح » أو هى « حصاد الهشيم » .. ويرحم الله المازنى .

فمثلا ميثاق « باندونج » أين هو الآن ؟

لقد أطريناه . وكأنه لازمة النشيد يذكر فى كل بيان ويمجد على كل لسان .. لقد أصدرته دولة كبرى ووقعت عليه . هى الصين حينما أبرزت عضلاتها جنوب الهملايا وضد دولة موقعة عليه هى الهند .

فاذا الجميع يتركونه ، ومن بينهم العرب فلم يعد له ذكر عندهم . لأنه لم يعد له قوام يرتكز عليه ! .. كسر العكاز فسقط الأعرج المستند عليه . وكل الذين توسموا به نجاحا لم يلقوا منه أى فائدة تذكر .

إن هذا الميثاق وأمثاله كمواثيق المنظمات « إياها » أفريقية وغيرها . أصبحت كالثوب « الفضفاض » يدخله أكثر من لابس فلا يضيق على الداخلين ولا يستر لابسا ضاق به ذرعا من شدة أو كرب طرأ عليه يكاد يمزق الأثواب .. الأثواب تمزقت فعلا ! حتى الذين فرحوا بأفرقة شعوب عربية لم نجدهم الافريقيين فى محنة نالت العرب أسيويين وأفريقيين .

جهود أضاعت الفوز علينا ، وأشاعت العداوة لنا ولعل بعضها له دخل فى تأليب الذين خانوها أول أمرهم ثم عافوا الخوف منها بعداء صريح لنا ولأصحابها ، ولئن صرفتنا زحمة

النكبة فإنه ينبغى ألا نزحم أنفسنا فيما لا يفيد .

لا فائدة من ذلك ، بل هو أخس وأضر .. لا اعتراض على ما مضى ، وإنما الأمل فيما يأتى ..

● الارزاء التى تراكمت على الأمة العربية كثيرة ، ومنهكة ، ولكن هذه الأمة عاشت رغم ذلك .. غير أنها تركت عقابيلها ورواسبها فأماتت فينا صناعة الموت .. من موت الحماسة .. من سقوط الغيرة . وفقدان الشجاعة . ومن فئام تصدروا فلم يصدروا إلا أن يشربوا اللذة لنتجرع على أيديهم الغصص . لا أعنى بهم رعاع الناس ، وإنما أعنى بهم هؤلاء الحاقدين على الأمة العربية ، أو الخوانين لها فى كل حين .. حتى ابراهيم الامام لا أعليه من ذلك ، فلاحاسبنه فى كلمة على ضالة شأنى ، عن كلمة قالها لأبى مسلم الخراسانى : « وايما طفل بلغ شبرين يتكلم العربية فاقتله » عيب عليه أن يفعل ذلك ، ولكنها شهوة الحكم ، ونقمة الحقد ، ورزايا الانصياع الى الذين ليسوا من أهلك ؟؟.. فالذين انصاعوا امس ، أو ينصاعون اليوم لسبب أو لآخر .. لغير أهلهم .. هم بقايا الرزايا جلابة الرزايا .. هم يعرفون أنفسهم لا تستطيع أن تخوض معركة دونهم ، ولا يعطون الفرصة لنخوض المعركة معهم !

لقد فقد العربى حوافز الاندفاع فأفقده ذلك داعية الدفاع .. فانحاز الى نفسه .. يأكل لحم أخيه ميتا ، ويصنع منه أكلة دسمة للآكلين الآخرين ـ وهم كثر ـ والسبب ؟!.. ضعف اليقين !!

والسبب .. اضعاف الرجال !!

والسبب .. فقدان الرجال .. الذين يستحيون من الهزيمة لأنهم يخشون العار .

والذين يكسبون النصر لكسب الشرف من وراء الانتصار !

والسبب .. من طغيان عناصر واغلة ومنحلة لم يكبلها داؤها .. بالحقد المذهبى القديم . فافسدها داؤها الجديد بالحقد المذهبى الجديد .. سواء كانت مستغولة من خارج الحدود . أو غائلة فى داخل الحدود !

عناصر شتى .. كل تعلقها بشيء نشأت عليه . أو مكان نشأت فيه أكثر من تعلقها بهذا الشيء الذى يحتويها . وكل عيشة لها . وبها .. كم هى جميلة وجليلة . ونفاذة كلمة جبران : ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة ، ويل لأمة تأكل مما لا تزرع ، وتشرب مما لا تعصر ، ويل لأمة تقابل كل غاز بالترحيب والتهريج والتكبير . وتشيع كل منهزم بالفحيح والصفير .. وى!كأن جبران قبل أكثر من خمسين عاما يشخص هذا الداء الذى نغرسه فى نفوس شبابنا بهذه الأمثال : « إذا طاحت السما على الأرض ما ينوبنى الا قد رأسى . أنا عود من طرف حزمة . أردب مولك لا تعفر كيله تتغبر دقنك وتتعب فى شيله !!.. » وهكذا من هذه المخدرات المنومات .. قد يستمتع الواحد فيها بالسلامة ولكن الأمة لن تنال بها سلامة .

● عدوان عربى على أرض عربية .. فى وقت سبق للعالم العربى أن أجهز على عدوان مثله قتل فيه العربى أخاه فى الجبل الأشم .. فامسك العرب بخبائها المقطع .. فوثقوها ليصان الدم العربى لا يسفك إلا على ضفاف النهر .. أو على شاطئ الخليج أو على الهضاب لتتمكن اليد العربية من السلامة .. سلامة النفس والعرض والأرض من طغيان اليهود ومخططات الصهيونية وتنفيذات إسرائيل ومعونات الآخرين ، عدوان عربى سفكت فيه الدماء على الرمال من تراث محمد عليه الصلاة والسلام .. سفك الدم العربى من الجنوب . يشرع السلاح ليحتل أرضاً ليست له كدولة وإنما هى لنا وله وللمقاتلين على الخليج وعلى ضفاف النهر لأنها أرض عربية .

ليس هناك خلاف على حد فى هذه الأرض .. وإنما هو الاختلاف لا يجد من يحده من رجال يقولون للعادين : ارفعوا أيديكم عن أرض اخوانكم واملأوا أيديكم بدم أعدائكم .

ضاعت قيم الرجال .. هم أضاعوها .. لأنهم لم ينتصروا على أنفسهم .. كل همهم سواء كانوا الغافلين أو المغرضين أن ينتصر عليهم أعداؤهم .

كيف تتحد الكلمة العربية فى مكان يخضع الامكان وهؤلاء الاغيلمة يشغلوننا بحرب جانبية ؟! أهى غفلة ؟!

لا .. بل هو مخطط يريد أن يدمر توحيد الكلمة .. لأنه قد شبع من دمار فى نفسه لكلمة

التوحيد .

دماء على ضفاف الماء تسيل بسلاح اليهود .. على ضفاف النهر وشاطئ الخليج .. وشعب يقتل فى الأرض المباركة بسلاح عدو شرس بغيض مبغض يصب نقمة التاريخ قد رزح تحتها نقمة على أحفاد الذين كانوا نعمة التاريخ على إنسان هذه الأرض . كل الأرض . كل الإنسان .

نعمة ذاق الإنسان فيها الأمن فى الأرض المباركة .. وفى غيره حتى اليهودى أمن السبى والقتل بالألوف فى هذه الأرض التى يقتل فيها الآن الألوف ..

وفى الأندلس والمغرب العربى والأناضول ، ولكن اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا .. لا يرقبون فى إنسان إلاً ولا ذمة .

الأرض حول النهر خضبت بالدماء .. والأرض فى سيناء مرت بالدماء .. بينما التلال صامتة تعارك معركتها الكلامية من أجل ما صنعه راسبوتين الجديد .. لم يلبس ثوب القسيس .. وإنما البسوه ثوب القسيس .. يتزهد فى الصورة .. بينما قد أزهق الروح العربية .. تعطل فيها الجبهة الشرقية .



شخصیات

شخصيات

● دخل سعد بن أبي وقاص بعد القادسية التي كان فارسها المرجي وقائدها الميمون .. وبعد إمارته للكوفة ..وفي أردائه شيء عظيم خؤولة النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام والسابقة في الاسلام .. والحراسة للنبي .. والموقف العظيم في أحد .. وفتح الفتوح للمشرق كله .

دخل على عمر .. فاذا عمر يرى كل ذلك لسعد ، يحسبه قد دخل عليه مدلا به .. فرفع عمر « الدرة » على سعد .. لم ينله بها ، فرفع سعد يديه ، فاذا عمر يخاف الدعوة المستجابة من سعد .. واذا بعمر يثق بالدعوة المستجابة منه .

لا صراع في النفسين الكريمتين ، لم يبق إلا اللحظة الخاطفة ..

رفع سعد يديه ولم ينطق بكلمة .. بل ولم يزور الدعوة في نفسه .

وخاطبت نفس عمر نفس سعد .. وتكلم ايمان عمر مع ايمان سعد .. قال عمر لسعد :ـ أتريد أن تدعو .. اذن لن تجدني بدعاء ربى شقيا ؟!

سعد معه البراءة .. بدعوة النبى له .. لو دعا لاستجاب له الله (اللهم سدد رميته واستجب دعوته) فما دعا سعد على أحد إلا استجاب الله له .

وعمر في وجدانه الايمان بالله .. والثقة به .. كأنما هو دعا الله حين ذلك أن يستجيب دعوته .

من هنا أريد أن افقه الموضوع من فقه الموضع . فالاستجابة كانت لعمر .. ما دعا على سعد .. وإنما دعا الله ألاّ يدعو عليه سعد .. فصبّر الله سعدا عن الدعاء لئلا يصاب عمر ..

من هذا المعنى الدقيق يعطينا التأكيد لاستجابة الدعوة لسعد .. واعطانا اليقين أن عمر قد احتجب دعوة سعد .. حجبها الله عن اخوين أصبحا بنعمة الله اخوانا ، لم يلبثا لحظة غل حتى نزعه الله من بينهما « ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا » .

حال عجيب .. لو تمكن المسلم من ايمانه لانتصر على نفسه أولا .. ولانتصرت نفسه على الغل ثانيا .. ولاصبح في مأمن من الذين لهم سلطان سواء كان بالدعوة المستجابة أو حتى بالضربة الطاغية .

قال عمر لسعد .. يستحلب الصفاء من قلبه : رأيتك تتخطى رقاب الناس .. لا ترهب أمير المؤمنين .. فأحببت أن يعلم الناس أن سلطان الله فى الأرض ينبغى على المحبين لله المؤمنين به ألا يتخطوا سلطانه !.

ورضى سعد .. ذلك أن سعدا أحب الوالي لعدله .. وأحب الولاية راعية للأمة .. وأحب الولاء اخلاصا للجماعة .

من هنا امتنع سعد أن يخوض الفتنة .. فمات بالعقيق يحمل على اكتاف الرجال .. يدفن فى البقيع .. رضى الله عن عمر .. رضى الله عن سعد ..

● كان طه حسين الشيخ الدكتور العميد ينكر الارتجال . ويرى أن الحارث بن حلزة اليشكري قد زور الرواة عليه المعلقة الهمزية .

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

حتى اذا سمع الكاظمي عبد المحسن شاعر العراق يرتجل المئين بجرس ثابت اهتز انكاره .

وجاء الذي زلزل هذا الانكار فانقلب الى تصديق ذلك الشيخ عقل .

سمعنا الرواة يذكرون كيف ارتجل أمام المرحوم الملك عبد العزيز في منى ..

ثم زار المدينة ، فجاء يزور السادة امين الحسيني ورياض الصلح وبشير السعداوي وعزة دروزة في مجلسهم في بيت الأكابر السادة آل هاشم في الساحة . وكانوا منزلين ضيوفا على الحكومة .

وكنا نزورهم فجاء الشيخ عقل ، وأخذ مجلسه ثم انهالت عليه أبيات من الشعر .

يرسلون البيت .. فينشد على رويه الستين والسبعين بيتا قصيدا محكما رائعا .

وأخذت ارسل هذا البيت لابن معتوق الموسوي

هذا العقيق وتلك شم رعانة فامـزج عقيق الدمـع من عقيانه

فانشبد وانشد .. فما قدر واحد أن يسارعه يكتب عنه . ولم تكن الشرائط المسجلة قد وصلت .

ثم انشدت بيت الشاعر المكى « سحرا » :

ظبـي جـاوى قـد سباني لفـظـه الـدر الأنيـس

ثغـره كنـز اللآلـئ ريقـه انقـر منـيس

فاسرع كبارق يرسل الستين والسبعين على هذا الروى ونحن نسمع ولا نقدر نكتب .

وكانت ليلة فيها سمر لطيف .

ولم ادر من قال : هذا برهان الصدق فى الارتجال .. فما يصنع المنكرون .

أحسب أن المتكلم كان عزة دروزة يرحمه الله .

وهذا المبادع او المبادعة بين شعراء باديتنا قد نماهم اليه عرق فى صناعة الارتجال .

إن العربى قال الكلمة شعرا وهو أمي . وهذا يعني أنهم يرتجلون . يسمعون ويحفظون ويروون ويدون الرواة هذا الديوان شعراً .

فانكار الارتجال قد سقط . وانكار الحفظ ساقط ، فلا زيف ولا صناعة نسب بها صانعها الشعر لفحل من الفحول .

● أحمد بن أبى داود عربي ضاق بالشعوبية في بلاط بغداد ، صبر عليها حتى تمكن عند المعتصم . لكنها كانت قد ارضعته لبانها فتمكنت منه .. جعلته معتزلا يقول بما انكره الأكابر من علماء السنة .. من أمثال الفضل بن دكين أبي نعيم ، والإمام أحمد يصمدان أمام الباطل . فلا يداوران تحويلا له أو تحويرا ..

وأحمد بن أبى داود كان طليعة عربية فى فصاحة ولسان .. احترف المذهب للسياسة فاحترق قلبه فى أحبولة السياسة ..

صبر فى كراهيته لمحمد بن عبد الملك بن الزيات حتى أحرقه فى التنور . خلاف الساسة

ومحترفي السلطان !!

عذاب ، أي عذاب ، تصنعه شهوات الرجال ، تتخذ من مذهبها ذريعة .. تحرق لحم الإنسان في اتون نار !!

وكان الطليعة العبقرى أبو عثمان الجاحظ منقطعا عن أبى داود ، الى ابن الزيات .

وهذا لا يعجب قاضي القضاة ، لا يعجبه أن يكون قلم الجاحظ وفكره في خدمة خصمه ، فكرا بعد فكر ، ونزهة المجالس في ترف العبارة !!

وطلب الجاحظ يريد القضاء عليه ، ولا أحسبه أراد الهلكة له ..

أحسبه أراد ارهابه لينضوي تحت لوائه ، يجعله حاشية له ..

وامسكوا بالجاحظ يقدمونه في الحديد بين يدي ابن أبى داود ..

معتزلي جعله مذهبه في خدمة السياسة والذات

ومعتزله اسمه الجاحظ . جعله مذهبه في خدمة الفكر والكلمة والجماعة التى يريد أن تكون تابعة لفكره ..

وكانت جولة صيال بين لسانين وفكرين ونزعتين مذهبهما واحد ومطلبهما مختلف .

فاسترخى الجاحظ للسلطان ، وطلب المغفرة ، وبرع في لحن القول بلسان وقلم هما السلاح في يد الإمام في البيان والتبيين صانع الكلمة البيانية .. وعفا عنه قاضي القضاة ..

وعاش الجاحظ يعرج من كسر في رجله حين هرب من دار ابن الزيات ..

ومات الجاحظ ، فترك صيته لم يخفت ، وامانة في اللغة الشاعرة ادركها أحمد بن أبى داود .. ولو عاش لها ، ولكنها تركته ليكون الجاحظ حيا يعرفه كل قارئ حرف .. بينما خصمه لا يعرفه إلا قلة ..

● والشيء بالشيء يذكر .. فقد حدثني أستاذنا أبو تراب ، وقد جاء ذكر لتفسير هذه الكلمة : « لحن القول » .

ـ قال : انفلت من قلم الجاحظ غلطة في تفسيرها .. فقد كان يقول : يعني تكسر الكلام والثقة والأمانة به في نطق الكواعب الحسان والمغنيات .

فجاء صديق لم يسمعه أبو تراب ، فقال للجاحظ : إنك تخطئ في هذا ، إن المعنى هو

تخريج القول وتشقيقه وتفصيحه « لعل أحدكم ألحن بحجته » كما في الحديث !..

فقال الجاحظ : صدقت ، إنها فلتة ، ولكن ماذا أصنع ؟.. لقد ذهب الكتاب من يد النساخ الى يد القارئين ليعلق القول فى أذهانهم ، فلا استطيع ازالته .. دعها ، ولا عترف بذلك ، لعل من يقرأ التعديل يعتدل ..

هذه حصيلة الكتب التى تسمونها « صفراء » يا قراء الورق الأبيض !!.

● أستاذنا السيد أحمد مصطفى صقر علمنا الكلمة البيانية . فقد كان يرحمه الله على قلة احتفاله من انشغال باله طليعة ذكية . يعرف من تاريخ المدينة الكثير والخفى . حتى لقد كان الأمين على النسب وشجيراته . يرد البيوت الى أعراقها . خصوصا اذا كانت علوية . حسنية أو حسينية .

كان يطلب أن نكتب فى موضوع ما .. فلا يتركنا نمسك أقلامنا . إلا وامسك نفسه يمشى في صالون الدرس يتخصر . كأنما الكلمة تضع له التيه والزهو ، فاذا هو يتغير .. يتمعر وجهه ، فاذا اعطيناه الورق ، وقف يملى علينا وهو يمشى جيئة وذهابا ، يلقى ما زور في نفسه من كلام فى الموضوع الذى فرضه علينا .

يلقى الكلمة حرفا ، حرفا ، كل حرف من مخرجه بجرس أغن له رنين ، فاذا اكمله تصبب عرقا من راحة النفس ، جاء بهذا النفيس من القول .

وكأنه بهذا يعطينا التصحيح في الأذن والوجدان ، ثم يأخذ الأوراق يعيدها بأرقام الصواب والخطأ ، فلا تجدنا إلا وقد عرفنا الجيد من المخفق ، لا من أرقام الأوراق ، وإنما من الكلمة التى القاها علينا ، كتبناها وحفظناها .

درسه ليس كما يتدفق به ثم يمضه ، وإنما كيف يعرضه بالحوار ليسأل ، يسأل ونجيب .

يعرف التركية كلها ما اغرقت لسانه فيها ، فالأصالة وعمق الدراسة فى طفولته على يد العلامة أبيه السيد مصطفى صقر حفظت لفظه وجرسه وقاموسه .

ضحوك لا يتبذل ، غضوب لا يسرف ، كريم . كريم على قلة . لقد عاش أيام الشظف . فاحالها الى رغد فيما يظهر به علينا ، ما حجب مجلسه ولا مائدته عن طاعم . فلعله أحد الذين عرفتهم ، لا يحبون أن يأكلوا وحدهم .

طروب . لعل الرجل الثالث في المدينة اقتنى راديو . اهداه له تلميذه . ابنه وصفيه صديقنا ابو بكر ناظر رحمه الله . ولعله الثانى الذى اقتنى « الفوتوغراف » شراه من جدة . فقد كان وطيد الصلة بجدة واهلها . فقد كان مديرا لمدرستى فيها في زمن مضى تتلمذ عليه كثير ون .

أذكر نادرة فيها شقوة النفس المحسة . ونادرة أخرى فيها فكاهة النفس المرحة .

كان جالسا في « طاقة الصالون » يطل على « برحة » الباب المجيدى فاذا جنازة بدوى تحملها ثلاث نسوة ورجل . فانقلب الى القبلة يسترجع ويلبس مشلحه ويجرى يحمل الجنازة . كانت جنازة مجدور يوم فشا الجدرى فى البادية .. كان الناس يهربون منها . أما هو فقد أقبل عليها . تربية مسلمة !

● للتاريخ ارتباطه .. حلقة تلو حلقة . وله أسبابه .. حدث وراء حدث . كأنما الشئ متصل به . ناتج عنه . معزو اليه . مرتفع به . أو منخفض .. فيه عملية التوالد أو التوليد .. وضع يحتم وضعا . ومقدمة تتلوها نتيجة !

من هنا قالوا : التاريخ يعيد نفسه . ومن هذه قرروا حتمية التاريخ !!

ما لابد أن يقع لابد أن يقع .. خذ مثلا هؤلاء الرجال الخمسة وعلاقتهم ينساح فى الشرق من تخوم « كاظمة » الى تخوم الصين .. له مقدمات كان حتما أن تأتى بالنتيجة !

هؤلاء الرجال الخمسة فى التاريخ القريب من الفتح تلاحقت الأحداث بهم أو عليهم أو عنهم .. لا نريد أن ندخل قضاعة وما ملكت فى العراق . وما امتلكت من الأرض . ونريد أن نبعد عن المناذرة . وكيف كانت الركيزة لهذا الفتح فى بواطن الأمور رغما عن ظواهرها التى حاربت بها الفتح .

عدى بن زيد العبادى عرف الاكاسرة والقياصرة . وأراد أن يحدث شيئا فما مكنته الأسباب . أو تغلبت عليه الأسباب حتى فى مرثيته التى رواها خالد بن صفوان يتحسر على الضيزن .. كان يحذر من المناذرة مما فعلته ابنة الضيزن .. خانت أباها . وراء عشقها .. عشقت « سابور ذا الاكتاف » ففتحت له الطريق ليقضى على ملك عريض كان للعرب فى العراق !

حقيقة واقعة تزيدها الاسطورة جمالا .. التزيد فيها خير من التنقص لها .. فليست الحقيقة وثيقة نذهب بها الى محكمة العدل الدولية وانما الاسطورة توثق ، ووثوق ترتفع بها همم الرجال من جمال الشعر فيها ، وجلال الشاعرية .

وحاجب بن زرارة التميمى عشق الفرس .. أحبهم ، لعله كان يريد شيئا من وراء ذلك حتى انه سمى ابنته باسم فارسى « دوختنوس » أى « دوختنوش » تركيب مزجي دوخت : البنت ، ونوش : الحلو . أو السكر ، فلم يصنع شيئا لما طلب ـ أعنى الشئ المباشر لما طلب ـ أعنى الشئ المباشر له ، ولكنه صنع كل شئ غير المباشر .. طلبوا قوسه الوديعة عند هانئ بن مسعود الشيبانى ، فعز على هانئ أن يسلمها .. فصمد لقتال الأكاسرة .. لا أدرى كيف لا يكون موقف هانئ ، أعرق فى الوفاء من موقف السموأل .. السموأل صمد لحرب قبيلة .. أما هانى من أجل القوس صمد لحرب الامبراطورية .. انتصر عليها فى « ذى قار » .. قالها محمد النبى صلى الله عليه وسلم . (اليوم انتصف العرب من العجم وبى نصروا) وكأنما انقضى دور عدى ، ودور حاجب وهانئ ، ليأتى دور شيبانى آخر اسمه سيدنا « المثنى بن حارثة » الذى هون أمر الامبراطورية على أبى بكر « كنا نغزوهم فننتصف منهم وينتصفون منا قبل الاسلام » فتولى قيادة الحرب .. استغفر الله .. قيادة الفتح !

وى ؟؟.. حتى ان سلمى زوجته ، وحتى فرسه هما كالمثنى ابتا إلا أن تكونا فى القادسية من الفاتحين .. تلك كانت زوجة سعد بن المثنى ، والفرس كانت تحت أبى محجن فى اليوم الأبيض : الفرس فرسى .. والقتال قتال ابى محجن . قالها سعد .. سعد بنى أهيب ..

● خبر أذيع فلم أسمعه .. سمعته فجأة ، تلقاه الصديق عبد الله جفرى من الرياض .. من مكتب عكاظ حرصا من هذا المكتب ـ لا يركن إلى إذاعته .. وإنما هو ـ أعنى فهد العيسى ـ قد تلفن به .

الخبر عن وفاة الشيخ محمد بن ابراهيم مفتى هذه الديار ـ الكيان الكبير ـ المملكة العربية السعودية .

كان الخبر مفاجئا لنا جميعا .. لا عن إنسان يموت . كلنا صائر إلى ذلك .. ولكن موت

العلماء هو انتزاع العلم وفزع الدين . العلم لا ينتزع انتزاعا وإنما يكون الانتزاع له بموت العالم .

لقد ارتج على أن اتكلم .. برهة استوفى بها هدوءا .. استرجع فيه ذكرى الله بارئ النعم خالق الإنسان . قدر الموت عليه كما أعطاه الحياة .

وأرجعت النفس باسترجاع النفس حتى ذكرت كيف ينزع الرجال إلى الاشياخ يجدون عندهم الراحة فى حل معضلة أو فى ازالة مشكل فناديت : فناديت باسم الشيخ والغيظ جمرة تذيب دماغ الغيب والعقل ذاهل . وتذكرت دمعة حافظ على الشيخ السلف محمد عبده أرثى بها الشيخ الخلف محمد بن ابراهيم :

سلام على الإســـلام بعــد محمد سلام على أيامــه النضرات

لقد حملوا الفضيلة فى الثياب على الآلة الحدباء .. ورجعوا يخافون الرذيلة فى الاياب .. من فراق الاكارم الأوفياء .

لقد كان الشيخ من غراس الشيخ ، علمه واوصى به وتفرس له أن يكون من بعد يحفظ مكانه يقف على الثغرة التى كان هو فيها . فالشيخ محمد بن ابراهيم هو من غراس الشيخ الكبير عبد الله بن عبد اللطيف .. هو الذى صحت فراسته ليكون هذا البصير المبصر وريثه فى الإمامة .. إمامة الدين والفكر والفتوى .. تغمدهم الله برحمته .

كان هيبة تمضى على الأرض .. غرسها الله له فليس هناك ما هو الزم لحارس النفرة من الهيبة . فلقد كان قائما على الاتباع .. يدفع الابتداع لا يشد الحبل لئلا ينقطع .. ولا يتراخى به لئلا تنقطع أخلاق الرجال .. كان مناعا لكل ما هو شر من قديم أو جديد . لا يتمنع أمام ما هوصالح من طارف وتليد . مبغضا لاثارة الخلاف غير بعيد عن الألفة . لا يتكلف فى هذا ولا ذاك . وإنما هو قد عرف زمانه وإنسان زمانه فسار بالهوينا لا يشتد ولا يتراخى . لا يتحدث ولا يتزمت .

لست فى مقام الاطراء له .. ولست من العارفين لأجيد الرضاء .. وإنما أنا من المحبين .

● .. والرجال بناؤون اذا ما كملت أخلاقهم .. هدامون إذا ما فسدت ضمائرهم !

ولقد جربت هذه الأمة طرازا من الرجال ، وهم الغالبون فيها الأكثرون . كانوا البنائين .. اخلاصا فى ضمائرهم .. صدقا فى ايمانهم .. تبتلا فى أعمالهم .. رهبان بالليل .. فرسان بالنهار !

ومضى فى حياتها طراز أساء فأصبح اسمه فى التاريخ منبوذا !

وارسال الحماسة إلى الناس قد يكون فى الكلام عن البنائين ، والمخلصين خيرا من كلمة عن الآخرين !

هناك رجال لهم مواقف .. تذكرنا بهم لنذكرهم بالثناء ولنتخذ منهم المثل المحتذى !

عاش سهيل بن عمرو فى جاهلية . فلما أشرق نور الاسلام كان ألباعليه .. خطيبا بارعا يرسل الأذى .. يحارب الاسلام ، وأسر فى بدر مشركا ، اطلق بالفداء .. فقال عمر يخاطب رسول الله : « دعنى يا رسول الله انزع ثنية سهيل .. يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا..! » .

علم البشر ، ولكن علم النبوة قال : « دعه فلعله سيقوم مقاما تحمده ! » .

ولحق الرسول بالرفيق الأعلى فاذا هى الردة واذا هى الفرقة ، وإذا أصوات ترتفع فى مكة .. كأنما تريد اعلان الفرقة .. فيقوم سهيل وقد أسلم خطيبا يسكن النفوس .. يدعوها للثبات تبايع أبا بكر . واذا عمر يتذكر المعجزة فيقول : « الله اكبر » .. أهى بشارة من النبى .. باسلام هذا الكبير للموقف الكبير ..؟!

إنها بشارة فى دعوة لتكون معجزة :

وفى حنين يرتد الجيش اللجب .. لم تغن عنه الكثرة ، فاذا أبو سفيان يقول : إنها هزيمة لا يردها إلا البحر واذا صفوان بن أميه ـ ولما يسلم بعد ! ـ يرد على أبى سفيان .. يقول له :

ـ « أتبشرنى بظهور الاعراب ؟.. لأن يربنى رجل من قريش خير من أن يربنى رجل من هوازن !.. » .

أخلاق عالية ليست من العصبية ، ولكنها من الحصافة .. هكذا يفعل كبار الرجال .. حتى لو قتل آباؤهم فى بدر أو قتل أعمامهم فى أحد !..

سهيل بن عمرو يعظم فى الاسلام .. لا يسأل عن موقف له فى الحديبية ، ولا عن مواقف أخرى لأنه الكبير ، هداه إلى الخير عقل .. حتى أصبح أحد شهدائنا فى اليرموك .. رضى الله تعالى عنه ، وصفوان يكبر ويكبر حتى يكون مركز الثقل فى مكة .. كأنما هو شيخها !

مثلان .. نضربهما لايمان الرجال .. لا تأخذهما الاحنة ينتقمون لآلام ذاتهم ، وإنما هم ينتصرون بذات أمتهم .

وهناك مثل ضربه التاريخ العربى وقع على الأدنى من حدود نجد ، والأدنى من حدود العراق فى مدينة الزبير .. كان شيخها ابراهيم العبد الله مستقلا فيها يحوطها طوال أيام الحرب العالمية الأولى .. فلما قام حاكماً فى العراق راوده « سير بير سيكوكسى » أن ينفصل بمدينة الزبير عن العراق كيانه ، فأباها الرجل الكبير .. أى أنه رفض أن يكون أميرا على قرية ليكون مخلصا لكيان لا يرضى أن يتمزق .

ذرية بعضها من بعض يكثر فيها الصالحون ، وينبذ منها الطالحون من قوة الصهر بقوة الايمان .. لتقوى أمة عاشت على الدنيا منتصرة على الباطل .. ناصرة للحق .. ناشرة للهداية !!

● مارتن لوثر كنج .. قتله رجل أبيض .. الرجل الأبيض قتل إنسانا .. أما « مارتن لوثر » فقد مات ليقتل الحقد .. الحقد أراد « لوثر كنج » ألا يكون فى البشر لئلا يكون فى شعب الولايات المتحدة !.. ولكنه ما استطاع .. فقد قتله الحقد ليكون الحقد مقتولا به .. فى اللحظة التى أصيب فيها ! إنسان ماكان ينبغى أن يقتل لكنه كصاحب رأى ..داعية سلام .. كان لابد أن يقتل ! كلمات ثلاث سمعتها من الكلمات الكثيرات التى صكت مسامع الدنيا فى رثائه .. كلمة انديرا غاندى .. كلمة كارمايكل .. كلمة جاكلين كيندى . هذه الكلمات الثلاث لها طعم ومذاق . أحترمها .. حفظتها .. لكن سأدلى بفهمى وسأؤيد ما أراه

جديرا بأن يكون النتيجة أو الحقيقة لهذا الدم المراق .

ابنة نهرو قالت .. إن فى قتل لوثر النكسة .. تحول دون الوصول إلى الضوء ! كلمة مجنحة ، ومليحة . ليست بالغريبة على أنديرا .. بل هى من طبيعتها لأنها عاشت فى حضن أب تعلم من أستاذه غاندى اللا عنف !.. لكنى لست معها فى النتيجة عن الضوء .. إنى مع كلمة « كارمايكل » .. قال .. الآن قد بدأ الضوء !.. نعم لقد بدأ الضوء .. لقد شدت أعصاب الشعب الأمريكى على الكارثة .. ليست هى قتل مارتن ، وإنما هو القتال فى الشعب الأمريكى كله .. أبيض قتل أسود .. السود يقتلون البيض !

إن الزعيم الزنجى كان خصيا فى الاتجاه لمارتن لوثر .. لوثر كان يسير على اللا عنف .. وكارمايكل يريد العنف ، وقد انفتح له باب العنف ، ولا أحسبه يتخطاه . العنف المباشر ، وإنما يريد أن يتوطأه تهديدا لتستفيق نفوس البيض من أحقادها .. وجاكلين كيندى .. وهى أم أمريكية لا تحب الفناء لأبنائها ، ما أرادت أن تسير بكلمة مثل أنديرا غاندى . وإنما أرادت أن تفسر الكلمة لكارمايكل .. كأنما هى وهو فى خط واحد وإنما الفرق فى الأسلوب الأبيض والأسود ..

ـ قالت جاكلين .. إن الشعوب التى تعيش على السيف .. أى تبنى حياتها ومجدها بالسيف سوف تفنى بالسيف !

أليست هذه كلمة الزعيم الزنجى بأسلوب محذر لا بأسلوب يتوعد .. ليس من همى أن أرثى غاندى الزنوج ففى نفسى منه شئ .. كان يحارب العنف . ولكنه زار إسرائيل ، وهى الطغمة التى تمارس أقوى أنواع العنف ، لكنه على كل حال إنسان ما كان ينبغى أن يقتل ، .. لكى ينتصر كان ينبغى أن يقتل .

● فى كتاب « اعلام الناس عن أخبار بنى العباس » حكاية السقاء والأصمعى .. وفى جريدة البلاد أمس خبر قرأه كل الناس .. هو ذلك الاعلان فى الصفحة الأخيرة لا المتأخرة .. ولا أسميها الثامنة .. فالثامنة صفحة فى « عكاظ » .

حكاية اعلام الناس ـ قالوا : ان الاصمعى إمامنا الموسوعه أحد حفظة الذكر ولغة

الذكر يرحمه الله .. سمع سقاء يحمل قربة ـ يظهر أن القربة كانت شعارى ـ وأنتم يا جيل اليوم لا تعرفون القربة الشعارى .. قد أضاعها التنك أولا وأضاعتها المواسير ثانيا وأضاعها ضياع المهن اليدوية .. كل شئ « برانى » حتى القرب والمراوح والزنانيل أما « الجوانى » فذهب .. أضاعه أهله .

كان السقاء يحمل هذه القربة .. وينشد هذا البيت :

وأكــرم نفســى إننــى لو أهنتها وحقــك لم تكرم على أحــد بعدى

ويظهر أن السقاء الشاعر كان ذواق أدب .. عطشان كلمة .. ريان معانٍ ، وسمعه الأصمعى وهو ينشد فأقبل عليه .. قائلا سائلا : يا هذا .. أى كرامة لك وأنت تحمل هذه القربة ؟!

فأسرعت المعانى على السقاء الشاعر يقول للأصمعى : لقد أكرمتها عن سؤال مثلك .. وسكت الأصمعى ليرويها .. يلقن الدروس لسامعيه والرواة بعده والقارئين له .

ولعل صاحبنا الفتى المعلن فى البلاد بما نصه « بكالوريوس إدارة أعمال من الولايات المتحدة الأمريكية يطلب عملا لفترة الاجازة الصيفية تلفون « ٣٢٦٣ » لعله يحب أن يكرم نفسه .. جاء فى العطلة يشم تراب أرضه .. يضمه حنان أمٍ وأب فلم يرد أن « يتلقح » فى البيت .. أو « يتصرمع » فى طريق المدينة .. أو يفعل كما يفعل الفتيان اياهم فأحب أن يشغل فراغه بعمل ، قد لا يكون فى حاجة إلى الأجر .. وأنا باسمه ولا أعرفه أرفض أى عون له يأخذه وهو قعيدة البيت .. فوهم كبير أن هذا الفتى طالب عون .. إنه طالب عمل .

الذين تأخذهم هزة من النخوة .. متأثرين بالترف الفكرى بهذا الشاب والوفرة فى قوة أعصابه ينبغى لهم أن يفتحوا له عيونهم وآذانهم وقلوبهم لايجاد المجال .. مجال العمل لهذا وأمثاله .. كفانا مثلجات .. كفانا سلع استهلاكية .. المجال فى إحياء الصناعات اليدوية .. فى توظيف رأس المال .. فى صناعات ما أغنى التراب مجالا لها .. مادة خام .

تحيتى لهذا الفتى .. ومعذرة لعكاظ .. تنشر اعلانه .. دون أن تدفع قيمة الاعلان .. لكن المثوبة لقاء الدعوة الخيرة شئ لا يقدر بثمن .

● القاضى عياض يرحمه الله أورد فى ترجمته للإمام الشافعى محمد بن ادريس المطلبى الهاشمى .. ملحا ومواقف تخيرت منها ثلاثة ..

*** لما قدم الشافعى على الزعفرانى نزل عليه ، فكان الزعفرانى يكتب للجارية ما يصلح من الألوان كل يوم لطعامه ، فدعا الشافعى يوما الجارية ، ونظر فى الكتاب ، فزاد بخطه لونا اشتهاه ، فلما حضر الطعام أنكر الزعفرانى اللون الذى لم يأمر به ، فسأل الجارية فأخبرته ، فلما نظر فى الرقعة وجده بخط الشافعى ، اعتق الجارية فرحا بذلك .. أيهما الكريم .. أحسب أن الشافعى أكرم ، لم يأنف أن يأكل من بيت صاحبه ما يشتهى ، لأنه قادر أن يعطى صاحبه ما يشتهى ، ثم هو الذى أعتق الجارية بما صنع وهى اعتقت نفسها بما صنعت .. تلك كرامة المعانى ارجحها على كرامة المادة !!**

●●●

* وروى أن الشافعى كان عطيرا ـ يعنى يتعطر حبا فى الطيب ـ وكان غلامه يأتيه كل يوم بغالية يمسح بها الاسطوانة التى كان يجلس اليها . وكان إلى جانبه رجل متزهد ، فعمد إلى عذرة ـ القائط ـ فجعلها فى شارب نفسه ـ يعنى دهن شاربه وغاصه بالقائط ـ مضادة لما يفعل ويفعل غلام الشافعى بالاسطوانة . وكان يسمى الشافعى البطال ..

فلما شم الشافعى الرائحة ـ يعنى كانت اصص خراء ـ قال : فتشوا نعالكم ، ثم قال : ليشم بعضكم بعضا ، فوجدوا ذلك بالرجل . فقال الشافعى : ما حملك على ما فعلت ؟

ـ قال : رأيت تجهرك فأردت أن أتواضع لله !!

ـ قال الشافعى : اذهبوا به إلى صاحب الشرطه ليعقله حتى نتصرف ..

فلما خرج الشافعى أمر به فضربه ثلاثين درة وقال له : هذا أراه لجهلك ، ثم أربعين ، وقال له : هذا لتخطيك المسجد بالعذرة ..

●●●

* قال الشافعي : من ولى القضاء ولم يفتقر فهو سارق . ومن حفظ القرآن نبل قدره . ومن تفقه عظمت قيمته ، ومن حفظ الحديث قويت حجته ، ومن حفظ العربية والشعر رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ..

ملحوظة :

نقلا عن « ترتيب المعارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » ج ـ ٢ ـ تأليف القاضى عياض بن موسى بن عياض السبتى ـ نسبة الى سبتة ـ جبل طارق ـ المطبوع فى المملكة المغربية .

● قالوا : إن مالكاً بن أنس وصف أبا حنيفة بهذه الكلمة :

رأيت رجلا لو قال لك إن هذه السارية ذهب لقام بحجته !..

وقد أخذها المنفلوطى فوصف « فارس نمر » هذا الوصف نفسه ..

كاتب لو قال لك هذه السارية ذهب لقام بحجته !.

ويباح لنا أن نقلد هؤلاء الأكابر فأقول فى مشعل السديرى فى يومياته . وفى دفاعه عن شاكر النابلسى : إنه قال :

ـ قال لنا هذه السارية ذهب فقام بحجته !!

●فى عهد التدوين يضيع الكثير . وفى عهد المطبعة والكهرباء ودور النشر يضيع الأكثر . أما فى عهد الرواية والسماع فقد حفظت الرواية ودون السامعون فى نواديهم الأكثر والأجود والأصلح .

ويظهر أن الوفرة تسبب الاتكال فالتواكل . وإن الفاقة تحض على الجد والجهد والحفظ والصون .

فكم من خبر طريف ضاع ، وكم من ملحة ذهبت تذوب فى اهمال ، وكانت لا تذوب من نسيان .

وقرأت فى الأغانى فى أخبار المخزومى عمر بن أبى ربيعة . تحت عنوان « المفاضلة بين عمر بن ابى ربيعة وقيس الرقيات » ص ١١٣ ـ ج ـ ١ ـ طبعة التراث !

أخبرنى الحزمى ، قال : حدثنا الزبير .. قال : حدثنى محمد بن عبد الله البكرى وغيره عن عبد الجبار بن سعيد المساحقى عن أبيه .. قال : دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق .. فانه لمعتمد على يدى ، إذ مررنا بسعيد بن المسيب فى مجلسه وحوله جلساؤه .. فسلمنا عليه ، فرد علينا .. ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ، من أشعر ؟ صاحبكم أم صاحبنا ؟

يريد : عبد الله بن قيس ، أو عمر بن أبى ربيعة :

- فقال نوفل : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟.. قال حين يقول صاحبنا :

خليليَّ ما بال المطايا كأنما ... نراها على الأدبار بالقوم تنكص
وقد قطفت أعناقهن صبابة ... فأنفسنا مما يلاقين شخص
وقد أتعب الحادى سراهن وانتحى ... بهن فما يالو عجول مقلص
يزدن بنا قربا فيزداد شوقنا ... إذا زاد طول العهد والبعد ينقص

- ويقول صاحبك : ما شئت !!

- فقال نوفل : صاحبكم أشعر فى الغزل ، وصاحبنا أكثر أفانين شعر !!

- فقال سعيد : صدقت .. فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعد بيده حتى وفى مائة .

- فقال البكرى فى حديثه عن عبد الجبار .. قال مسلم : فلما انصرفنا ، قلت لنوفل : اتراه استغفر الله من انشاد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

- فقال : كلا ! هو كثير الانشاد والاستشهاد للشعر فيه !!

ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه ..

فهذا الإمام الجليل ، وبقية الناس ، قد أنشد الشعر وحكم فيه .

● كنت أقرأ فى تاريخ بغداد ترجمة لإمام المسلمين قاطبة « محمد بن إسماعيل البخارى » . فوقفت عند هذا الخبر : كان الامام يملى « يكتب » يملأ المحبرة تلو المحبرة . يبرى القلم تلو القلم ، والسامعون ، والناقلون يأخذون عنه .. يعجبون كيف يتحمل هذا

الرجل ما يصنع فى رواية الحديث ، وصون السنة ، وقتل الكذب على رسول الله (ص) !

ـ قال أحد تلامذته : لقد رأيته وقد أجهد نفسه .. ترك المحبرة ، والقلم ، والتحدث ، واستلقى كأنما هو يستريح ، فسألته : لماذا .. لم تكن هذه عادتك ؟!

ـ قال : يا بنى .. دعنا نستريح قليلا ، فلعل العدو يغامصنا ـ يشرع بعدوان علينا ـ فيجدنا وقد أعطينا أجسادنا الراحة لعلنا نجد دفعا فى مقاومته !

عجيب !.. هذا الإنسان الذى شغل عمره بالكلمة الصادقة يقولها ويرويها يأبى إلا وأن يعمل العمل الصادق ؟!. يصون به الصدق الذى يـ ع .. فهو لا يترك العمل وإن شغل بالعلم .. لقد كان عمله فى طلب الراحة صناعة الرباط كأنما هو فى كل ثغر مسلم .. فى كل أرض مسلمة .. فى كل سجدة مسلمة .. يحافظ على أن يكون مرابطا ليجاهد فى سبيلها لحمايتها .. لا يكفى الصدق فى القول ، بعض حماية الصدق فى العمل !

لو سأل الناس كلهم : هل يكلف محمد بن اسماعيل البخارى فوق ما يعمل فى صيانة السنة أن يحمل السلاح ليحارب ؟!

لو سئل الناس كلهم .. لقالوا : كلنا نحمله دون أن يحمله البخارى ، لكن الإمام يعرف أن هؤلاء الذين يحبونه أن يستريح لا يحملون عنه السؤال فى اليوم الآخر .. إنه يريد أن يحتمى من هذا السؤال .. يريد أن يزيد الأجر .. يريد أكثر من ذلك أن يعلم الناس معنى الرباط لمواجهة العدو إذا ما غزا ثغرا مسلما !

لقد أعطتنى سيرته هذا الخبر .. كما أعطته لغيرى ممن هم أدرى ولكننى أعطيه للناس أمانة الحرج أن أكتمها فى وقت نحن فى أشد الحاجة الى أن نكون كلنا المرابطين .. فإن الثغور المسلمة قد احتلت ، والعدو لم يشرع فى الغزو ، وإنما غزا واحتل . وانتهك ، وطغى .

هكذا الإمام البخارى كان جنديا يرابط فى كل أرض سكنها .. إنه يحمل السلاح لحماية العلم .. لحماية الدين !

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

●●●

● أنـــى لأغمض عينـــى ثم أفتحها على كثـــير ولـــكن لا أرى أحـــدا !

رجل واحد .. هذا قليل ، لا بل هو كثير !!

هنا يتحكم الكيف لا الكم ، والأمثلة كثيرة على ما يفعله رجل واحد أودع الله فيه قوة فائقة من قوة غير منظورة .

لا أريد أن أتحدث عن مثل من الشرق أو الغرب الآن .. من الصالحين والطالحين الذين آثروا فى هذه الدنيا بعض ما أعطوا من الخير ، أو كل ما زرعوا كثيرا من الشر .

المثال نضربه من تاريخنا : كان المثنى بن حارثة الشيبانى رجلا واحدا تمرس الحرب يغير ولا يمسكه عدو كأنما هو طليعة الفداء العربى الأولى ، أصبحت بفقه ابى بكر قيادة فاتحة تستخلص الأرض العربية ، وتنشر الهداية المسلمة ، هذا الرجل الواحد المثنى بن حارثة طلب من أبى بكر المدد ، فأرسل إليه رجلا واحدا . قال عمر : أيستمدك المثنى فتمده برجل واحد ؟!.. فاجابه أبو بكر : بالقوة غير المنظورة فيه .. الناظرة إلى كل القوة فى القعقاع بن عمرو .. قال أبوبكر : إن جيشا فيه هذا لا يغلب !

فراسة الصديق غلبت فراسة المحدث عمر .. كانت خبرا ثم صارت كرامة فقد قاد القعقاع مشاركة النصر فى اليرموك ، ومعركة كل النصر فى القادسية .. قال فى الرجل الواحد هذا القعقاع قائده سعد بن ابى وقاص يوم قاد ليلة الهرير ولا يلقى السيف من يده ليل نهار « اللهم لم امره ، فايده بروح من عندك » هذا خبر ينكر القائد العام ما فعل قائد الكتيبة لتكون الكرامة لسعد انتصار القعقاع .

تذكرت هذين المثلين عن واحدنا الأول المثنى .. عن واحدنا الثانى القعقاع .. لأنى قد رأيت الواحد فى الثورة الفلسطينية : أبو عمار ياسر عرفات . وى .! مالى غفلت .. كيف اجتمعت له هذه الأسماء الثلاثة ؟.. عمار .. ياسر .. عرفات .

عمار كان صاحب قوة غير منظورة .. كان أحد المعذبين فى الأرض ، من أول السابقين حمل العذاب لأنه سيحمل الهداية لبنات فى بناء المسجد ، ترابا ثقيلا فى حفر الخندق ، حملا أثقل فى صفين ، حمله ليقتل ، ولكنه حمله غيره حينما ظهرت بقتله الواضحة !.. ياسر : أول

شهدائنا ـ أبو عمار !.. كأنما الاسم يلتقى بالاسم لتكون القوة غير المنظورة فى قيادة فتح والعاصفة ، ثم لتكون الساحة فى فلسطين تكسب شعاعها من الساحة فى عرفات .. عرفات موقف الحج ، مدرسة تعلم الشهادة .. عرفات الساحة فى فلسطين موطن الشهادة .. فى عرفات السنة تعرب عن ايمانها فى الساحة ، فى فلسطين قلوب وأيد والسنة تعمل لايمانها .. الايمان فى فلسطين ألاّ يترك الفدائى سلاحه فان لم يقتله عدو فسيقتله قاتل غدراً النكول والكفر ما قال عمار .. ما استطاع أبو جهل قتله ولكن أبا جهل نال ياسرا ، وسمية .. ذلك ان عمارا كان يؤمن بعقل استطاع أن ينجو من براثن الختل .

أبو عمار الفدائى بالقوة المنظورة يتمتع بالقوة الناظرة .. عاطفة لا تسأل أن يسيل الدم ، وعقل يريد أن يصون الدم لا يبذل إلا فى سبيله .. لا يهدر من قبيلة . تلك حصافة الزعامة تجعل الرجل الواحد كل الرجال . أبو عمار يمسك القيادة يقول : « ألف بندقية تزيدها نفعا بندقية واحدة » من هنا اكتسبت أن أقول عن الرجل الواحد بعض ما أعرف من منال كل ما لبسنى من هذا الرجل فى زعيم الفداء أبو عمار ياسر عرفات !!

● لم أكن أعلم عن خبر وفاته ، لم أقرأه فى جريدة .. وعجيب أن يموت علامة .. أستاذ كبير تنشر له المجلات الكبرى بحوثه وتعرفه المجامع ثم لا أرى حتى الخبر عن وفاته .. ما عرفت ذلك إلا من رجل كبير له وزنه يعتذر للدكتور فاضل قبانى لأنه لا يعلم . وأخذ يواسيه بعبارات التعزية لفقده والده الدكتور خيرى القبانى رحمه الله .

عرفته أول ما عرفته حينما قرأت له فى مجلات كبرى بحثه عن الخط العربى .. مصورا الحروف التى يرى استعمالها خروجا من الالتباس .. تتضح الكلمة دون سباق ولا سياق .. وكان أيامها البحث حارا يقظا أمام المجندين والرافضين والمناصرين والمقبحين .

وقرأ صديقى فهمى الخشابى يرحمه الله طرفا من البحث فقال : إذا ذهبت إلى مكة يمكنك أن ترى الدكتور خيرى القبانى .. إنه سيبهرك بعلمه فى التاريخ واللغة والأدب ، ولم أذهب الى مكة فى تلك الأيام ولكنى رأيت الدكتور خيرى فى المدينة ثم طال اتصالى به فى مكة وفى الطائف .. فكان متعة لفكرى .. موسوعة .. ليست المصندقه فى الصناديق وإنما هى

المتحركة إذا ما أثارها طالب علم يسأل .. وكنا جماعة الأصدقاء .. نتمنى أن الدكتور خيرى يكون أستاذا فى جامعة .. لا طبيبا فى مستشفى .. فهو من الأطباء الذين فتح الطب عواطفهم كعلم بالانسان ليكونوا علماء بالإنسانية .. فالمبضع والروشتة علاج الإنسان .. أما الثقافة والأدب فوقاية الإنسانية .

لقد فتح الطب عيون السابقين والمعاصرين للدكتور خيرى على أمراض الإنسانية فأخذوا يعالجونها بتطبيب فكرها . دوهامل ، سومرست موم ، ديكنز ، حافظ عفيفى ، ابراهيم ناجى ، مصطفى محمود ، يوسف ادريس .

وكبرت السن بالدكتور خيرى فلم يعجزه فكره وإن ضعفت يداه .. هكذا عمل اليد قصير اليد .. أما عمل الفكر فرحب الامتداد .

يرحم الله الدكتور خيرى لم يستوحش من غيابه عن الربوة ذات القرار فقد استعاض بالأنس بهذه الربوة على السراة اسمها الطائف .. كأنما أنا وهو نتعشق الاسطورة فى الخبر تقول :

إن الطائف جنة من جنان الشام ، قطعت منها ، حملها الملك على جناحيه يضعها بين الشفا والهدا .. على سطح السراة .

يرحم الله الدكتور خيرى وعزائى الى أبنائه وذويه .. وأخص بالعزاء صديقه أستاذنا الحبيب الصديق الدكتور بشير الروحى ـ أمد الله فى حياته .

● لماذا لم يقتلوه ؟!.

كان فى امكانهم أن يصدروا عليه حكما بالقتل بدل السجن المؤبد فى محكمة العدالة البشرية التى صنعت فى نورمبرج !

ماذا يضيرهم لو قتلوا « رودلف هيس » كما قتلوا « جورنج » ؟!

تلك قصة ليس فيها عمد من الذين صنعوا هذه المحكمة ، وليس فيها وازع التاريخ الألمانى .. يأبى هذا الوازع إلا وأن يبقى مثلا حيا مكتوبا عليه : ومازال الاذلال مرسوما بالبقاء على المانيا المنهزمة . إن حياة هيس فى السجن هى حياة المذلة المرهقه .. كان بقاؤه

حيا اشارة باصبع منه تشير الى هتلر ، وجوبلز المنتحرين : لقد أضعتما كل تاريخ المانيا بهذا الانتحار . كانت اضاعة فيها شرف لانكما قتلتما نفسيكما ، لو قتلونى لكنت أقل شرفا منكم لكن سرمدية العذاب علىَّ هى فى الوقت نفسه سرمدية اللعنة على الجبارين قاتلين ومقتولين !.. كأنما أنا الشاخص تنتشر اللعنة من شخوصى حيا .

إن الذين حرصوا على الحياة فوقفوا أمام هذه المحكمة قتلوا بطريقة غير شجاعة .. هم فقدوها لأنهم لم ينتحروا ، والذين قتلوهم فقدوها لأنهم خافوا حياة المنهزمين .

ليس هناك جبن أشد من خوف المنتصر من المنهزم .. شعوره بالباطل يفقده لذة النصر . الحكم عليه بالظلم لعنة سرمدية .. أصبحت أنا المثل لها . لأسباب تافهة أبقوا على حياتى . لم يقتلونى أول الأمر كمعتمد على أرضهم .. افترضوا أنى لاجئ ، وافترضوا أن مشروعى للسلام بيننا وبينهم أنه صالح للاستعمال فى وقت ما ، وحينما لم يصلح افترضوا أنى أسير .. أرادوا الابقاء على لذلك .. لعلهم يستأهلون مدحة مؤرخ يثنى على أنهم لم يقتلوا أسيرا .

أيقتلون الملايين ، ويذلون الشعوب ثم يرغبون من مادح أن يرسل الثناء عليهم لأنهم لم يقتلوا رودلف هيس ؟!

من هنا جاء الوازع الألمانى من تاريخ هذا الشعب يمسك على حياتى ليعلم سعبى أنه مازال يعيش فى الهزيمة . لست المعذب بألم الجسد ولا بألم النفس ، وإنما أنا أصنع التعذيب لهؤلاء الذين قتلوا ألمانيا فى شخص المنتحرين .. المقتولين والسجناء من أجل لعبة يهودية !

هذه اللعبة أصبحوا يمارسونها فى الشعب العربى ، ويستمرؤونها لأنهم لا يتوقعون أن تصنع محكمة مثل محكمة نوربرج ..تصنع الانتحار والقتل وعذاب السجن .. لكن الشعب الألمانى لن يموت رغم الهزيمة .. لكن الشعب العربى لن يموت رغم الطغيان !!.

● .. ومات أبو رجاء .. أستاذنا أحمد حسن الزيات ..

يرحمك الله فقد أمتناك الموتتين .. ميتة بالخبر الخاطئ كان دافعها أن نسمع عنك . لنُسمع عنك ـ بضم النون ـ وفاء الأستاذ .. فكأنما أراد الله فى الموتة الأولى بالخبر الخاطئ

أن تعرف قدرك عند قارئيك . وأنت بكبرياء الحى كرجل ، وبفرحة النفس كانسان قلتها كلمة .. رأيت كلمات الرثاء .. إنه لخطأ كبير أن يذاع موت إنسان لم يمت ، ولكنه الخطأ المحبب الجميل .. شعرت بهٔ كانسان أن لك فى القلوب عيونا تدمع . ترثيك . وكنت أحد الكاتبين .. ففرحت بعدها الفرحتين .. فرحة الحياة لك . وفرحة الوفاء منى .. الوفاء .. أتت من أكثر الناس تفقدا له ، وفقدانا حتى لا أحسبك وقد مت الميتة الثانية يصدق الخبر عنها .. لا نسمعه الا أخيراً .. كنت تنشد وأنت على فراش الوداع بيتي « النواسى » :

ومـــا النـــاس إلا هالك وابـــن هالك وذو نســـب فى الهالـــكين عريق

إذا امتحـــن الـــدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

الدنيا ليست هى العدو ، فما أرادها أبو نواس إلا مجازا .. مكاناً للمكانيين فيها .. تجرعت منهم وفاء ولا وفاء فيه . أعطيتهم من وجدانك تعلمهم اللسان .. اللسان المبين ، فلم يعطك الأكثرون منهم شيئا مما فى أيديهم ، ولا الشيء من قدرتهم ، ولا المشاء من ألسنتهم .

وأردت نفسك فى الموتة الثانية أن تستريح من عذاب القلم .. كنت تسير به مالكا ، ولا تسير ـ بتشديد الياء ـ من أحد مملوكا به .

مملوكا به ! فأغلقت الرسالة ، وحطمت القلم .. حطمت القلم حتى لو كتبت به ! فليس ما كتبه الزيات بالتسيير هو الزيات باليسر !

لقد عابوا على المنفلوطى ـ فاتح الطريق أمامك ـ أن يكتب بأسلوب هذه البادية ، فجئت أنت ترسخ قدم البيان ليكون أكثر من كاتب عربا أعرابيين ، ولقد أراد صديقك طه حسين أن يكون الوسيط بين نهج لطفى السيد ونهجك .. خضوعا لرأي لطفى ، أو تخضيعا لمن حوله .. فاذا هو يكتب الشيء الكثير عن نهجك .. إخضاعا منك له .. من عمل العاطفة بينكما .. يرسخها الوفاء ، ولا يمسخها عدم الوفاء !

الذين عابوك يحسبون أن فى قدرتهم قصر لغة الضاد على أسلوب غير مبين .. فاذا هم بالمران والممارسة ، والمدارسة تقصرهم اللغة الشاعرة على أن يكونوا على الطريق .. لا فرق بين نهجك ونهجهم إلا فى بعض الشكول والألوان !

أنت اليوم من موتانا ، وقد أمرنا أن نذكر محاسن موتانا .

ولقد أحسنت إلينا كثيرا .. كنت تحب لغة القرآن .. تنافح عنها .. تكتب بيانك جاحظيا كصنوك الرافعى .. وحتى الذين نازعوك لم يكتبوا أسلوبهم جاحظيا فأرغمهم العلم أن يكتبوا مقفعيا . وعلى نهج ذلك الآخر « أبى حيان » .. كلكم نبع الدوحة الواحدة : لغتنا الشاعرة .. الدوحة الواحدة التى فقد كنهها أحد اخوان الصفاء « عزيز أباظة » حين قال ينافح عن اللغة : إن التطوير غير التدمير .. ولقد كنت مثله .. أو هو كان مثلك ، تريدان التغيير للتغيير بالتغيير .. ولا تريدانه بالغرور للتغرير .. لقد أبت وعلى سنان أقلام مثلك هذه اللغة التى تنتصر فيموج بيانها كما أبت بك وبأمثالك أن تتكسر فيموج لسان الكاتبين بها .. فاللهم زد فى حسناته لتمحو سيئاته فما هو إلا بشر .. لقاء ما أحسن الينا اذ علمنا .. لقاء ما أحسن الى اللسان العربى المبين !!



شعر وألغاز وأمثال

شعر وأغان وأمثال

● ونقلا عن الأغانى .. قالوا :

مات كثير « عزة » وعكرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد ، فاجتمعت قريش فى جنازة كثير ، ولم يوجد لعكرمة من يحمله !

اليوم الواحد كان فى سنة خمس ومائة .

هكذا ولع الناس بمن يدغدغ عواطفهم .. وهكذا ترك الناس لفقيه إمام يعلمهم .. يربى مداركهم وعقولهم !

حتى قالوا : مات اليوم أفقه الناس ، وأشعر الناس .

ـ وقالوا : مات عكرمة وكثير عزة فى يوم واحد ، فاخرجت جنازتاهما ، فما علمت تخلف امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما .

ـ قال : وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ، ويذكرن عزة فى ندبتهن له .

ـ فقال أبو جعفر محمد بن على : « يعنى محمد الباقر » : افرجوا لى عن جنازة كثير لأرفعها .. فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل يضربهن محمد بن على « على زين العابدين » بكمه .

ـ ويقول : تنحين يا صواحبات يوسف .. فانتدبت له امرأة منهن فقالت : يا بن رسول الله لقد صدقت ، إنا لصواحبات يوسف وقد كنا خيرا منكم له !

ـ فقال أبو جعفر « جعفر الصادق » لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئنى بها اذا انصرفنا .. فلما انصرف أتى بتلك المرأة كأنها شرارة نار !

ـ فقال لها محمد بن على : أنت القائلة أنكن ليوسف خير منا ؟

ـ قالت : نعم ! أتؤمننى غضبك يا بن رسول الله ؟

ـ قال : أنت آمنة من غضبى فأبينى .. قالت : نحن يا بن رسول الله دعوناه الى

اللذات من المطعم والمشرب والتمتع ، والتنعم . وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب ، وبعتموه بأبخس الأثمان ، وحبستموه في السجن . فأينا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟

ـ فقال محمد : لله درك ! ولن تغلب امرأة إلا غلبت .. ثم قال لها : ألك بعل ؟ قالت : لي من الرجال من أنا بعله !

ـ فقال ابو جعفر : صدقت . مثلك من تملك بعلها ولا يملكها ..

فلما انصرفت قال رجل من القوم : هذه زينب بنت معيقيب .. أو هو معيقيب ..

حلم الامام .. وترف في البيان .. ورجعة الى جواب في ظاهر اللفظ .. وإلا فالتحية جاءت من يوسف بما صنع الرجال .. وبما امتنع عنه من عطاء النساء .

كلمة طريفة ليس فيها فرض الحقيقة .. وإنما منها افتراض المران لصناعة الكلام .

● المعرى شاعرنا البصير المتبصر .. لا أعرف ـ وهو لم ير نجما واحدا ـ كيف ملأ شعره بالكلام عن النجوم ؟! .. لعله قد اعتصف نفسه بعاصفة حجبت عنه النسمات فاشتهى أن ينجم .. لا بطريقة المنجمين ، وإنما بطريقة عشاق النجمة !..

المعري أحسبه عاشق نجمة .. كأنما كان يجري وراء الزهرة .. يطرد عنه زحل !.. لكنه لم يستطع ، فقال :

وقال السهى للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل

أعمى ويرى السهى .. نجم صغير لا يراه المبصرون .. تمهل قليلا ، بعض المفتحة عيونهم كما يقول المتنبي لا يرون الشمس !.. لا يعرفون عنها أنها نجم .. لكن لأنه يحرق يهربون منه !

كثير هي النجمات التي تحرق .. « بس بعضها يحرق على الناعم » !!..

وقال :

لا تطلبن بآلة لك رتبة قلم البليغ بأى حظ مغزل

سكن السما كأن السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل !

كم منا نحن المبصرين يعرف السماكين ؟!.. دعونا من معرفة الرؤية ، ودعونا من معرفة العلم .. أريد أن تعطونى معرفة الوجدان .. يناغي النجم .. هذا الزينة في السماء !

القمر أصبح وقد « تبحلقت » عيناه يهرب منه الحالمون .. لكن النجمة ساهية غير لاهية .. وإنها آمرة ناهية تسمع منها حلو اللاغية .. تشتم منها فى وهدة الليل شذى الفاغية !.. حلوة هذه النجمة عشقها حتى العميان !!

ليس ضروريا ان أكون أنا الأعمى ، فلا زلت والحمد لله مبحلق العينين .. لكني حينما أرى بأذني ، وأسمع التعابير بعينى ، وأتعلم الوجدان من الوجدان لا يعنينى أن أكون فى عماية عنها لأنى فى صحوة منها .. « بس يا ليت ما توريك النجوم في الظهر » !!

ويظهر أن القاضي عياض رحمه الله لم يلتفت الى القمر إلا أنه ذكرى لها .. فهى في نظره أجمل من القمر ! .. قال :

رأت قمـــر السماء فذكرتني ليالي وصلهـــا بالرقمتين
كلانـــا ناظـــر قمـــرا ولكن رأيت بعينهـــا ورأت بعيني !

على فكرة .. القاضى عياض الامام لم ير الرقمتين ، لكنه حن إليهما حنين العلم والمعرفة !

● « يا قمرنا يا مليح شد حصانك واستريح ..» .

ولا ادرى بما أجاب القمر ، فالذين كانوا يسمعون همسات الأقمار ذهبوا ..

والذين يناغون القمر شحوا بالخبر عنهم .. أين هم ؟ ما لهم ؟ هل تناولتهم الفزعة من الذين زعموا أنهم قد كشفوا القمر ؟!

هم كشفوا . وما كسفوا .. البديل لا يصلح إلا « يدك » « واستبن » يعنى تصبيرة . تسلية .. لقد جربوا حينما هانت عليهم الكلمة التى قالوا ، أو يقولون . كأنهم فى مكان الشموخ من المتنبى ! وما دروا أن شمخة المتنبى ليست في الحب ، حب القمر .. وإنما هو كان عتابا للصداقة مع الشمس . كان صديقا للسيف والقلم والقرطاس والشمس .. فما رأى القمر ..

كانت « خولة » هى القمر .. ولكن المتنبى صادق الشمس بديلا أو دليلا فما ظفر إلا بهذا يسير فى دنياه الشاعرة به .

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون همو

كلام فخم لجرسه رنين . وينفح فخرا . ولكن ليس فيه أنين الحنين . وإنما فيه رنة الذى خسر البديل .

ولكنه لا ينفع عتبا ولا وعيدا .. فعاشق القمر لا يتوعده . هكذا قالوا : « لنا كهنة الليل . سدنة الحب . سمار القمر . الذين لا يتبدلون . ولا يستبدلون » .

حينما يصبح الوعيد لفظة بين جبين ، يسمج حتى الصدى والندى والمكان والليل والسكون .

الصلة فى هدأة من ظلمة نيرة فى ليلة مقمرة ، همس ، مناغاة ، صدى مناجاة يعنى : السكون ، في حركة الشعلة التى تسعرت في قلبين .. السكون يتحرك . وحركته تسكن بقدر يوقته الوميض المرئى لهما . المحجبون عن غيرهما ، فاذا نفر نافرهما بكلمة أخرى ذات موضوع على غير موضوع الوميض .. الحب فإن السماجة تصبح هى الحركة لا سكون فيها ، يسقط الوميض ، يذهب النور ، فى ظلمة دامسة عليها « برجكتور » يحدد أبعاد البعاد طويلة المدى .. الوعيد ، والبديل ، وهزالأكتاف غشاوة ارسلها وهج لم يحبس بعداد خطاب القمر .. أسلوب ذهب مع أهله ، وبقى أسلوب وقح فاضح كعملية الكشف بسفن الفضاء .

● « يا عيني ع الصبر .. » .

أصبحت على لسان المكلومين بالحرمان .. الواجدين كل ما يجدون .. المحرومين المتعة بهذا الموجود ..

عذاب أن تجد ، وأن تفقد في الوقت نفسه !!

وعذاب آخر أن تتفقد ما لا تجد حتى اذا وجدته فقدك هو !!

« يا عينى ع الصبر .. » .

صبها في آذان المكروبين .. في قلوبهم .. في ألسنتهم .. في الوجود المفتقد هذا المغني الخشن المتمرس « وديع الصافي » ..

الصبر قوة ، القوة وحدها قد لا تكفي .

الصبر برهان الحق ينتصر به ، أيما حق لك ليس برهانه شهادة أحد عليك لأن الباطل يمتلك أقوى البراهين .. بسرعة يتحكم لأنه ، وقد أنهك الحق ، قد امتلك كل الوسائل التي جعلته يتطاول على الحق !.

الصبر يعطيك الفسحة ، والتروي .. يفطنك بالغرة .. يحتفظ الحق بوجود لأن انتصار الحق استمرار ، وفوز الباطل مؤقت .. كالحب .. الحب كالحق استمرار لأنه حقيقة نفسين ، وما يعترى هذا الحب من شوائب باطل ، وعجل .. فالصبر علاج لهذا الحب الحق !!

ـ قالت لي ، ومن زمن بعيد : لوكنت تقدمت لما كنت لغيرك !.

ـ قلت : أنت لست لغيري الآن .. فامتلاك الزوج لك يعنى الحرمان ، لكنه حرمان الشخوص .. اما الوجدان .. القلب فيعيش مع الحقيقة المستمرة .. مع الحب !.

من هنا .. لا الوم ، وإنما اقدس..

الكبار في الحب يعيشون في رهبانية الشخوص كشيء « برانى » لكنهم يحيون « بجوانية » السلوك الممتص لخيال يتجسد.. المقتص من حرمان يذوب !.

وخطرت على بالى .. لو بقيت حية لكانت في وهم الشخوص مثل « كرامة بنت عبد المسيح » فى نظر الصحابى شويل .. أعنى حياة التجسد ، لكنها مازالت حية في صومعة راهب أمام محراب يستكنه .. يشتم يذوق حتى ليعربد نفسه مع نفسه ، كأنه هى .. كأنها هو !..

ـ« أشوف خيالك في الوحدة دى قدامي أكلمك واسمع حسك واشكي غرامي وأقوم أضمك .. مالقاش غير أوهامي » !! في قلب الرهبة قداسة ليست أوهاما .. يصنع ذلك الصبر !

ما أجمل « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .. إنها مشاعر طهر فيها شيء من القهر لكن ليس فيها هذا الشيء من الهزيمة !! .

● جعلني أطبق جفني .. أطرق حسرة من فجيعتي على الكلام الفصيح والرجيح كيف يظل محبوسا في صدر شاعر ، أو على أسطر قرطاس !!

جعلني أتحسر كأنما أراد أن يكسر شيئا من الفرحة في نفسي .. به ، وبأمثاله ، وحتى بنفسي !!

جلس يقرأ لي كلاما لغيره .. كأنما هو يفاخر به نفسه .. حينما تعجب الكاتب المفتن الكلمة البيانية تكون لغيره يصبح من اعجابه بها كأنما هو قائلها .. لأنه - على الأقل - يحفظها .. ينشدها كالمشائين .. بينما صاحبها لأسباب لا يستطيع ان يكون مشاء بها يكتمها .. هو لا يقتلها ، وانما هو يذبح نفسه أجزاء أجزاء .. فالحبيس وراء قضبان قد ينطلق الكلام منه على لسان مشاء ، اما الحبيس كلامه فليس هو بالمنطلق .. حين ذاك لا يكون الجسد وراء قضبان إنما يكون القلب والوجدان وراء هذا القضبان التي يصنعها غيره له ، أو هو يصنعها لنفسه .. لأنه ليس هو مصنوع زمانه ، وإنما يريد أن يكون صانع زمانه .. هذا القسر يحترفه .. لا يستطيع أن يغترف منه إلا الصمت الناطق لأن الفنان تصنعه الروعة التي تملك وجدانه ليصنع بها الروائع يملك بها وجدان الآخرين .. فالفنان - أي فنان - هو مصنوع بالفتنة ، وصانع الافتتان !

الفتنة .. في صورة .. في اسطورة .. في لقاء .. في وداع . بعض الوداع لا يرخي الستور على شيء . وإنما هو يفضح المستور .. هذا الوداع الفاضح حينما يكون اللقاء فيه لا يعنى إلا أنه حب الحب .. أما اللقاء السرمدي فهو ملالة للحب ، وإن امتع المحبين !!

حتي في اللفظة العامية تجد سحر البيان لأن قائلها أحب الحب حينما أرخى عينيه للحظة الوداع .. يتكلم بما جاش في نفسه حتى انه ليرى في البعد ساعة الوداع قرب الغرب !!

اللفظة العامية التي تناغي هذا « المصندق » في اضلاعه .. المهندم بكل مشاعري .. هو قلبي .. يرفع يديه تحية لما أسمعني صديقي المفضض من شعر لشاعرين .. ما اباح لي ان أذكراسميهما .. كما يصفق ساكن الجوانح لهذا المعنى جاء بلفظ عامي في قصة سيد درويش .. حوار بينه وبين البطلة هكذا !

- جليلة تقول لسيد - أعني الموسيقار العظيم - « يعنى انفتح لى قلبك يا سيد ؟! » .

فيأتي الجواب من الموسيقار بمسكنة المحبين ، وعظمة الواهين يقول : « هوا بقيلوا ضرف يا جليلة ؟! » أي أصبح قلبه دون باب ، ينفتح بالجروح .. جروح الحب للفتنة القاتلة حتى يسمع اللحن الفاتن !!

أي بيان في هذه الكلمة العامية ؟..

● وهذه صورة رائعة من مناظر المخابر في نفوس شاعرة نقلناها من الذخيرة ، لتكون ذخيرة قارئ راوية .. قال :

ومن أحسن ما جاء من توقع أهل التمائم ، والاحتيال لكتمان الدموع السواجم ، لا سيما وقد أزف الفراق ، وعصت بما فيها من الدمع الآماق ، قول بعض العرب :

ومما شجاني أنها يوم ودعت ... تولت ودمع العين في الجفن حائر
ولما أعادت من بعيد بنظرة ... إليّ التفاتا اسلمتها المحاجر

وقال آخر :

ولما أبت عيناى أن تحبسا البكا ... وأن يمنعا در الدموع السواكب
تثاءبت كى أبقى لدمعى علة ... وكم مع لوعاتى بغاء التثاوب
أعرضتانى للهوى ونمتا ... علي ، لبئس الصاحبان لصاحب

وأنشد ثعلب :

ومستنجز بالحسن دمعا كأنه ... على الخد مما ليس يرقأ حائر
ملأ مقلتيه الدمع حتى كأنه ... لما انهل من عينيه في الماء ناظر
فعيناى طورا تغرقان من البكا ... فأعشي وطورا تحسران فابصر

وقال آخر :

وقفنا والعيون مثقلات ... يغالب طرفها نظر كليل
نهته ريبة الواشين حتى ... تعلق لا يفيض ولا يسيل

وأنشد :

ومن طاعتى اياه أمطر ناظرى ... اذا هو أبدى من ثناياه لى برقا
كأن دموعى تبصر الوصل هاربا ... فمن أجل ذا تجرى لتدركه سبقا

والبيت الأول من هذين البيتين كقول المتنبى :

تبل خدى كلما ابتسمت	من مطر برقه ثناياها

وقال أبو الشيعى :

وقائلة وقد نظرت لدمع	على الخدين منحدر سكوب !
أتكذب في البكاء وأنت خلق	قديما (قد) جسرت على الذنوب
قميصك والدموع تجول فيه	وقلبك ليس بالقلب الكئيب
نظير قميص يوسف حين جاءوا	على لباته بدم كذوب
فقلت لها : فداك أبى وأمى	رجمت بحسن ظنك فى العيوب
أما والله لو فتشت قلبى	يسرك بالعويل وبالنحيب
دموع العاشقين اذا تلاقت	يظهر الغيب السنة القلوب

● أهدانى الموسيقار الأستاذ طارق عبد الحكيم كتابه عن مشاهير المغنين من العرب . فشكرت له التذكر والتأليف ، فتح به طريقا لأمثالنا من المحجمين عن مثل ما صنع .

ثم وجدتنى أتذكر طارقا وما أعطى !

لقد أعطى للغناء في هذه الحقبة التى عشناها ونعيشها ما أعده من أجله رائد الموسيقى في هذا البلد .. منح زمانه ومكانه واخوانه فرصة أمسك بها فلم يفلتها حتى نشر الآلة ، كل الآلة ، فجمع الهواة ليصبحوا المحترفين . كنا لا نعرف ضارب القانون إلا سعيد شبانة وتلميذه حمزة ، ونادر أن نجد غيرهما ، ومثلهما الضارب على العود ، والعازف على الكمان .

كان هذا الشيء من الموسيقى خاصا وخفيا ، يمارسه علية ، ولا يعرفه إلا جماعة من صحاب كونوا لأنفسهم شيئا من ذلك فجاء طارق فاذا هو يعطينا الكثير من هؤلاء وهؤلاء .. ولا أحسبه حينما ترجم لكثير ممن ذكرهم الأصفهانى في موسوعته الكبيرة « الأغانى » إلا وقد أعطى للعين ما تقرأ كما أعطى للأذن ما تسمع . وللسان ما يهندم بالنغم .

طالعت الكتاب فاذا هو تراجم فهرست . لا أمثلة . لا تاريخ . هو فهرست يحمله قارئ ليهتدي الى الأصل . ولقد أهمل كثيرين من أبناء القصور . كما نسى أن يضع للأثر من

المجتمع واحواله الأسباب التى جعلت الغناء أول ما يطلع فى فترة ما فى المدينة ذلك من أثر الدعة والترف والفراغ والارزاء .. والحقن العمد تعطى جرعـات على صورة من بدرات الدنانير وما اليها ، ثم الأثر للترف وما يجره في قصور بغداد .. واللقاء الفارسى بالعربى وما الى ذلك من لقاءات مع ثقافة اليونان والهند . هذا ينبغى أن يذكر . ولعله يتبعه بعد .

والشىء الثانى ألذي أحسبه سيأتى به في جزء تالٍ .. هو الكلام عن البارعين في الغناء هنا ممن عرف أو سمع عنهم . من أمثال : حسن جاوى ، أحمـد شيخـو ، الحلوانـى ، اسماعيل كردوس ، سعيد أبو خشبة ، الخطابين آل شاكر من مؤذنى مكة ، حسن لبنى ، محمد على سندي .

وفى المدينة كان هناك من يعرف النغم على أوسع وأسد من القبانى وسلامة حجازى وزكريا أحمد وعلى محمود . من أمثال : البنانى وكامل توفيق ، اسد توفيق ، عبد الستار بخاري ، عمر عبد السلام ، محمود نعمان ، عبد الرزاق نجدى ، وطالب توفيق ، عقيل توفيق ، حمزة حبش .. وغيرهم هنا وهناك ممن كتموا غناءهم فلا يعرفون إلا عند حملة الأسرار وكاتمى الأخبار .

كما لا أنسى ضاربى العود والكمان .. حمزة شحاتة . طلعت وفاء ، عثمان خميس .

● قرأت الـ « قطوف » أمس .. أورد فيها أستاذنا ضياء الدين رجب شعرا حلوا للشاعر الإنسان .. شاعر الناس للناس « بيرم التونسي » .. ذلك الذي يمتعه أن يرى الحق مزهقا للباطل ويرهقه أن للباطل سوقا رائجة ..

ويهمنى من ذلك فى تعليقى اليوم هذا البيت .. ورد فى مختارات الأستاذ :

يصمـت الطائـر المغـرد في الدو ح اذا كـان تحتـه ثعبان

لعل طائر بيرم كان من الطيور الزقاق المترفة .. بلبلا ، أو عندليبا ، وهي ليست من طيور أرضنا ..

الصورة رائعة من شعر بيرم .. غير أنى أريد أن ادافع عن بعض الطيور كالعصافير ـ مثلا ـ فإنها لا تصمت حينما ترى الثعبان .. بل تهيج به .. تهيجه .. يتلمظ .. تهاجمه وهي

[illegible] أول ما تبدو [illegible] المسافة [illegible] كأنما كل عصفور يلبي النداء ، ويسكن الثعبان كلما اقترب عصفور منه [illegible] أن يدركه ابتلعه . والعصافير تشاهد صرعاها في فم الثعبان ولكنها لا تبالي [illegible] تطير [illegible] لتنبه إنسانها أن يعينها على [illegible] .. أعني لا تهرب لأنها لا تخاف [illegible] تعرف الجبن .. حتى اذا انتفخ [illegible] أعصابه [illegible] في الحركة [illegible] وتتفتق أضلاعه ، وينتفخ كرشه [illegible] الإنسان [illegible] لم يكن الإنسان [illegible] العصفور النجدة ذلك الطائر الأسود [illegible] أسود [illegible] يحرك [illegible] كأنه [illegible] يابانية من صناعة هيروشيا !.. [illegible] هذا العصفور النجدة على الثعبان .. لا [illegible] أمامه وإنما هو يعلو فوق رأسه [illegible] ويطير [illegible] أكثر من مرة .. يسلط منقاره إلى رأسه يحفره حفرا حتى يقتل الثعبان !!

[illegible] العصافير [illegible] أمام [illegible] لا [illegible] الطائر عند بيرم !!

[illegible] التي [illegible] ولم [illegible] ليس فيها الصداع ، وإنما [illegible] في النهاية لتعيش آمنة في [illegible] .. والعصفور [illegible] يحسب النقر على رأس الأفعى [illegible] لا يبالي بالموت وإنما هو [illegible] الحياة لجيل من العصافير قد [illegible] الثعبان [illegible] هو أضعف السلاح أمام الثعبان : منقار [illegible] ..

[illegible] الحيوان [illegible] الإنسان [illegible] أمام العدو صمود [illegible] ولو بأضعف السلاح .. أضعف السلاح لا [illegible] السلاح [illegible] الإيمان ، والتصميم ، ومنقار [illegible] !

[illegible] الألحان .. أغاني الوجدان !!

[illegible] العصافير .. كان [illegible] يتخذ من اليمامة ، أو الحمامة أو [illegible] من هؤلاء [illegible] الغرفة .. [illegible] الملامح .. لا يتغير

منهن شيء عليه !! فلم يعر العصافير التفاتا .. العصافير لم تضع أمام المشاهد من الناس صورا من حبها كما تصنع الحمامة ، ومن اليها .. لأن العصافير سريعة التحرك .. تقفز من غصن الى غصن .. تنتقل من مكان الى مكان .. تتعمد اخفاء الرؤية على الإنسان .. كأنما كل حركة فيها مفرضة للتعمية .. فالعصفور المشهور بالحرص يعرف فضول الانسان .. يريد أن يعجزه بالتخفى .. تبعد الرؤية عن الناظر بسرعة الحركة ، ويحكم التشابه السرمدي في العصافير .. لا يستطيع أن يضع علامة على واحد ليعرفه حتى اذا رأى عصفورا وعصفورة ، وإن استطاع أن يميز بين الذكر والانثى ، فإنه يحكم أنهما ليسا زوجين في علاقة دائمة بينهما .. بل إنهما يزدوجان فى لحظة .. يحكم عليهما باباحية لا تعرفها حياة الطيور ، ولا حتى حياة بعض السباع !!

يرى فى كل عصفور يطارح عصفورته أنشودة الصباح .. يناغيها .. تساعده فى بناء العش إنه عصفور طارئ عليها ، أو هى عصفورة طارئة .. حتى أنكر إنسان ما أن العش لا يضم زوجين ، وإنما هى عصفورة تائهة .. تاهت فبرز لها عصفور ناجاها .. جاءت تبرك على بيض تلك التى شاركت في بناء العش ثم تاهت .. حتى لعلها ، وفى اللحظة نفسها ، قد احتضنت بيض التائهة الأولى !

إن رؤية الإنسان لن تعطيه الحكم الصحيح على هذه العصافير .. لكنه لو عرف أن السرعة ، والتنقل . والوصوصة كلها قبل بناء العش عش حياة مزدوجة بين عصفورين حبيبين !

لقد ضاع حكم الإنسان برؤية غير صادقة .. يأنف الاجرام الكبيرة ، والحركات البطيئة ، والجمود الثقيل ، فيصدر حكمه على تلك بالرضا ، وعلى العصافير بالملامة !

العصافير أصدق من الحمام .. بين الحمام أحمق وبليد ، وليس من الحماقة والبلادة صدق .. أما العصفور فذكي ، وسريع ، وحريص ، ومتقن لبناء العش .. يعنى أنه « حريف » حياة !!

● وكنا لا نفهم السبب في جريان هذا المثل على السنة أهل الطائف وأحبابه .. « الطائف رخا » .

اليوم فهمتها تاريخا مضى وحالا يحكى عنه باسلوب الرضا ..

لقد كان الطائف قرية يصل اليها بعض ما هو ضروري وكل ما هو كمالى أو ضروري عند الصاعدين اليه بطريق « القدو » قافلة الجمال ، وبطبيعة الحال لا يطلب تاجرها أو لا يرسل تاجر اليها إلا ما يباع بكثيرة وما يصبر على الحمل والشدة والزمن ..

أما اليوم فأصبحت مدينة كبيرة .. وخاطىء من يقول إنها من صغرى المدن فى بلدنا .. لقد استطالت واستعرضت وكثر سكانها وكثر القادمون اليها .. سواء من اتخذها طريقا ، أو من صاف فيها ..

فى عصر الخميس الزمتني ضرورة أن اطلع ببعض ولدي الى الطائف فلمحت الخربز .. فتلفت أشتهى أن اشتريه هدية للطائف .. ثم انتهيت الى أن الخربز فى الطائف موجود مثلما هو فى مكة وجدة ..

وقلت لولدي : أصبح الخربزْ لا يهدى الى الطائف .. فقال : وحتى السمك الناشف فالأخضر أغنى عنه .

وهكذا ، تقارب المدن بالمواصلات والسرعة بالسيارات اراحت الطـائف من تكاليف التفضلْ عليه بهدية خربز ، أوحوت يابس ، او غير ذلك مما كنا نحمله معنا الى المصيف .

إن الطائف رخا كل يوم الآن .. فذاب المثل وصفا لحال واقع الآن .. وإن بقى اشارة فى التاريخ على وضع كان قبله ..

ولكنى رأيت فى طريق الهدا « بكس ونيت » يسوقه طفل تعثرت السيارة وراءه ، عجزأن يدفعه بسرعة لازمة وقوة لصعود النقب الأحمر .

فلما مررت بجانب « البكس » ورأيت الطفل اشرت الى أبيه ، أمسك ذقنى ، اشارة أن هذا عيب .

وسرت .. فاذا بى أجد « البكس » يلحقنا بسرعة يسوقه الأب .. سمع النصيحة ..

● شـــدت القافلـة وشـــد خالى معاهـــا ..
وأصبحـــت فى القـــريش ياليت عينـــى تراها

أغنية شعبية سمعناها أطفالا فلما أفقنا لأنفسنا بالإغماءة فى بحبوحة من الولع والشدو والألم والبوح والنوح والضحكات فاذا بنا نصحو على شئ مليح ومريح .. يسوقنا الى التمسك بتراث ورثناه من أعراق أصيلة ممتدة الى زمن بعيد .. نمسك به ابقاء على حياته وتنويعه بالارتفاع .. لا نرفض أغنية عربية هى للجميع ، ولا نميت الشعبية .. فإنا حينما نحييها ونرتفع بها تصبح شاملة منتشرة يسمعها الجميع من كل الناطقين باللغة الشاعرة .

آذان من أجيال لم تألف هذا الأسلوب الشعبى « الفلكلورى » قد لا ترتاح اليه ، لأنها لم تتعود السماع له .. نعذرها تساهم ، ونكرانها لا نرفضه دون معالجة .. فالتكرار عليها يثقل فى مسامعها ما لم تألف لتتآلف ، فستسيغه بعد . وأجيال أكثر تعرف ، سمعته من قبل ، فلماذا نهملها فلا نسمعها هذه الألحان ؟ .. إن محمد على سندى ومن غنى بعض ما يغنيه له ولهم آذان تسمعهم ، فهم فى سوق رائجه وقبول واسع ..

شاهد بعض النابهين من المخضرمين ومن جيل بعدهم الحلقة ، الأغنية الشعبية ، ترجيع أهل الهدا ، أو ترجيع الحاضرة فى مكة ، فصفقوا لها ، مسرة بنغم ، احتراماً لتراث ، مباهاة بأنموذج يمكن أن يعرض فى عالم غير عربى دليلا على حضارة وذوق .

هذا شئ .. وهناك أغانى البحارة .. والنماذج يمكن تسجيلها فى الرويس أو فى ينبع أو فى الوجه .. ولا أنسى جيزان ، فهناك فى العشاش فى جيزان وصبيا وعريش فن ، وحضارة ..

فلو دخلت عشة لرأيت ديكورا بسيطا ، عودا ، كمنجة ، طبقا .. كل أعصاب الساكنين هناك نفس سامعة أو أنشودة ، كل هذا إذا تكون بأسلوب فنى وتلحين متقن موائم لا يخرج عن الأصل ليضم مع العرضة وأغانى القصيم وأغانى الخليج .. إنه سيكون عندنا فنا نباهى به .. ونغنى .. ويصلح بعده نواه لشئ أكبر ، يأتى به الزمان من الأغانى الرفيعة والتمثيليات والقصص ..

إن الأغنية هذه ، نواة أسطورة ، روح شعب ، ثمرات أمة ، فحبذا لو عنى الناجحون من المغنيين والمطربين ، فعملوا لذلك يجمعون ويزينون ويستحلون وينشرون ..

إنهم إن فعلوا ذلك كسبوا الشئ الكثير حتى المال الوفير .. ولربما بيعت « شرائط لبلاد بره .. » .

● ونكتب اليوم عن وادى « آش » .. جاء استطرادا فى « كلمة ونص » فلْاخذ السائلون يتراسلون بينهم هامسين ، أو جاهرين : من ابن زيدون ؟ وما هو وادى آش ؟!

وجدير بى وأنا أحب الحب ، ولا أنغمس فى أخبار الحب .. فالحب ليس خبرا ، إنما هو ـ الخبر ـ بضم الخاء وسكون الباء !

وابن زيدون .. كان حب الحب حينما يقول :

أمـا رجـا قلبـي فأنـت رجاؤه ... يا ليتنـي أصبحـت بعض رجاك
يدنـو خيالك حـين شط مزاره ... وهـم أكاد به أقبـل فاك !

كان نظيفا .. فحزنت أن يتسخ شارع لاسم نظيف !

وابن زيدون .. شاعر الفردوس المفقود « الأندلس » ، وفى هذا الفردوس « جنة » بستانا فى الأرض اسمه وادى « آش » .. لا أريد أن أصفه من ياقوت . ولا أريد أن أرجع الى عاشق الأندلس .. شكيب أرسلان ، فإن الصورة يجلوها شاعرنا الذى يقول .. ويصف وادى آش :

وقانـا لفحـة الرمضـاء وادٍ ... سقـاه مضـاعف الغيث العميم
نزلنـا دوحـه فحنـا علينا ... حنـو المرضعـات على الفطيم
تروع حصـاه حالية العذارى ... فتلمس جانـب العقـد النظيم

أى صورة أبلغ من هذه ؟.. تخيلوا كيف أن العذراء ترى الحصى وسط الماء كأنما هو حبات من عقدها ، فترفع يديها تتلمس عقدها .. تحسب أنه هو الذى انتثر !

أليست هذه نظافة فى جمال أنيق ؟!!!

إنها نظافة فى وجدان الشاعر .. من نظافة من وجود الأرض .

الانسان ابن بيئته .. جمالها جمال فى نفسه .. جلالها جلال فى كبريائه !

ولوادى « آش » قصة أخرى .. جلس أستاذنا ابو ابراهيم عبد الوهاب آشى إلى أمير البيان .. حفيد ابن ماء السماء شكيب أرسلان . قال الأمير شكيب لعبد الوهاب آشى بفرحة عاشق الأندلس : هل أنت من وادى آش ؟! كأنما هو يريد أن يقبض عليه فقال عبد

الوهاب : لا .. أنا من آش الأخرى : في الشرق الأقصى .. لا في الغرب الأدنى .. آش الذى أنتسب إليه هو فى سومطرة ! وضحك الأمير ، وضحك عبد الوهاب ، ولكن عبد الوهاب لا يدرى أن صلته اليوم كرجل بيان هى الأعمق لآش الأندلس كما هى العميقة لآش سومطرة وهكذا .. لا تمنع قرابة النسب قرابة السبب .. السبب دين واحد . ولغة شاعرة .. الأمير وعبد الوهاب فيها شاعران !!

● هما كلمتان فى كلمة .. أولاهما عن مثل .. والثانية عن رسالة من لبنان !

المثل يقول : « والولد اللى ما بال على كراعى ما أخليه لثماتى راعى » ! سمعته من صديقنا فهد المارك .. فى تلافيف حديث ذى شجون .. على طريقه : ولا بد من شكوى الى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع ! قالته عجوز من جداتنا المكتويات بنار التجربة ، والظامئات الراويات من عد القلوب الخيرة .. فاعجبنى كأنما هو كية أصابت المجنون .. كان يحس بوخذ من ذات الرئة « [illegible] » .. فلما وضعوا المسمار الأحمر المشتعل على الوخزة طرقع لها صوت .. فسمعها مثلى [illegible] .. فقال : قم .. قم سالما ، وقمت سالما أتلمظ المثل .. أذوقه .. أشربه .. أشبع من معانيه حتى عدوت وكأنى حامل الفصعة .. أطوف بها على أصدقائى أرويه لهم .. لأن [illegible] .. هو أحد وأشد وأوقع من المثل الفصيح :

« ما حك جلدك مثل ظفرك » .. فتول أنت جميع أمرك .. وهو أصدق وأدق من المثل أخيه :

« النار ما تحرق إلا رجل واطيها [illegible] » .

لأن فى تلك صرخة بالذات .. أما فى هذا فصرخة الذات ونداء الالم ، وترف التحسر ، وتحديد الحاجة ، والنص على [illegible] .. أمنا على هذه الأرض !

أترك لكم تفسيره على طريق [illegible] يغنى على ليلاه .. منهما ليلى من الناس أو ليلى من الخشب .. كاد العكاظيون أن [illegible] .. سالة لا أراها فى أيديهم .. تواضع جميل .. ولكنه [illegible]

الجميل ألا يبخس الناس أشياءهم .. [illegible]

الممارسة لبخس النفس على أن [illegible] الناس .

● فتاة من لبنان كأنما هى أملت من قلم « فارس الشدياق » أو « اليازجيين » أو « الخوريين » أو من قلم أبى محمد « مارون عبود » !.. لترجع الينا تقرؤنا ..ثم تكتب لنا .. تشيد بما تقرأ .. عددت الأبواب والأسماء . واشتكت بكبرياء أنها لا تقرأ عكاظ إلا مجموعة فى أسبوع . وليته كل الأسبوع .. نريد أن تقرأها يوميا . ولدينا القدرة على ذلك .. أريدها أن تتصل بالخطوط السعودية . فيرسلون لها نسخا توزعها على صديقاتها من عكاظ ! أنا فرح بهذا .. لا من أجل عكاظ . ولا من أجل الكاتبين فيها .. « ظلاليين » و « موقفيين » و « فجريين » ومقطرى « قطرات » و « قطوفيين » حتى أنها لم تنس الاشادة بالصفحتين السابعة والثامنة .. وإنما من أجلها هى قارئة رجعت الينا ! أحييها وأستزيدها أن تزيدنا من عدد القارئات لنا !!

● إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس الى حسن الثناء سبيل

ليست هى وقد أنشدت هذين البيتين .. مطلع القصيدة من قصائد اللغة الشاعرة .. كأنما هى احدى المعلقات .. قائلها عربى تهود . أو يهودي تعرب اسمه « السموأل » هكذا عرفه العرب .. لم ينطقوا اسمه بالعبرانية « صومائيل » وأنا مع العرب فى ذلك فلا أحسب السموأل فى مروءته ووفائه وفصاحته يهوديا تصليب. وإنما هو عربى تهود . وكثير من العرب دخلوا فى اليهودية .. لأن اليهود كانوا فى حاجة الى تكثير سوادهم فى وادى القرى . وما اليه . وفى المدينة . وفى نجران أن يقبلوا العربى إذا تهود . وأن يدخلوا فى ظل حلف مع القبائل .. اعتزازا وصونا لهم .

ليس من همى ذلك . وإن قدمت بعض الشرح . وإنما همى أن أتكلم عن اللؤم والضيم !

الرجل اللئيم لا مروءة له .. لا نجدة عنده .. لا كرم .. لا وفاء .. كل هذه أخلاق المروءة . والمروءة ضد اللؤم حتى أن اللئيم ليبخل على نفسه .. يأكل موائد غيره .. واغلا يلحس كل صحن حتى اذا شبع ذهب الى الصحن الآخر ليلغ فيه . فهو الواغل الوالغ .

وصاحب المروءة هو الذى يحمل الضيم إذا ما انصب عليه صبرا فى كبرياء الرجال ، وارتفاعا عن الشكوى ، فلا يجهر بها الى أحد !

الرجال الذين يتحملون الضيم عافون .. من شيمة الصبر فيهم ، ويعفون من سيمة الكبرياء !

الذين يتحملون الضيم فى سبيل الهدف الكريم دفاعا عن عقيدة .. دفاعا عن وطن .. اندفاعا لنجدة صديق ، أو اغاثة مكروب ، أو عونا لضعيف ، هم الكرام .

إن هؤلاء الرجال يصبحون على الألسنة .. كل لسان يثنى عليهم ، فالسموال تحمل الضيم والحرب ، والحصار من أجل الوفاء ، والوفاء مروءة بل هو فى الذروة منها :

الذين لا وفاء لهم لا خير فيهم ، لا يؤتمنون على شئ خشية العقوق ! فإن الجفاء عدم الوفاء .. يجلب الأذى ؛

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة

من أين تأتى مضرة الصديق ؟ لأنه لا يعرف كيف يتحمل الضيم فى سبيل صديقه ، أو من صديقه .. لأنه قد حرم نعمة الوفاء !!

● يقول أحمد بن الحسين شاعر الدنيا المتنبى :

ستألف فقدان الذى قد فقدته كالفك وجدان الذى أنت واجده

ولكنى ما ألفت غيرها ، ولا كلفت إلا بها !!

هى .. يا بنات الهنود يا فاغية فى العمائم

الفاغية زهرة الحناء .. هى التى تكلفنى كثيرا فيما تحملنى من النظرة الى بياضها ، والروحة الى روحها .. رخيصة الثمن والتكليف ، غالية العطاء . شذا . عطرا . ما أحلاه . لها رائحة جمالها فى التجمل بها . ولاسمها فى أذنى جرس لاحرفها كأنها المناغية بالفتنة المليحة .

أحبها .. اسمى الغوالى باسمها إذا ما كتبت عن واحدة منهن لا تريد أن تصرح باسمها .

عرفتها .. هذه الفاغية طفلا فى أحواض فى المبارك ، الخيف فى سفح رضوى من ينبع النخل .

أحواض يجملها أهلها بزراعة الحناء .. يتخذون من ورقها خضابا ، ومن زهرها عطرا ، وشارات على العمائم .

الخضاب فى اليد نقشا ، نقشا يساوى فيه النقش حتى تسود « كأنها » « الروميل » فى اليد لا فى العين . فالعين العربية لا تحتاج الى سواد .

والخضاب فى القدم تحت الخلاخيل والحجل يحمر . حتى لتحمر خدود الناظرين .

زينة كانت مغنية من الأحمر والأسود والأزرق الجليب المجلوب بالدولار .

وسرقتنى هذه الحلوة المحلاة بالحناء تلوينا لجمال ، وتلويحا بشذى العطر جمالا فى الجميلات .

سرقتنى وأنا راكب جملا يتهادى راكبه من ينبع الى بدر ، فالمربع الأخضر الفواح فى وادى الصفراء ، أعاد الله اليه بالغيث ماءه إليه .

شنفت سمعى بخرير الماء فى عين بعدها عين .. وفاحت باريجها الفاغية ، فاذا هى تسرق النوم ، وتعطى الوثن .

حلم غرقت فيه « جوانيا » اغتسلت نفسى بعطر الفاغية فى ليل صحا فيه النسيم ، وصمت هامسا النغم .. يعطى نسمة تناغى من بعيد ، كما يناغى صداح باغمه . نسمة تلمس منها البوح ، لأنها لا تكتم الفوح .

وصافت نجمة بخيط من شعاع بين سعيفات النخيل ، نخيل نصف .. لا هى بالباسقة ، ولا هى بالواطئة إلى مستوى اليد الجانية « القاطفة » .. تنحسر عنها العاصفة ، وتتكسر عليها روائح النسمة .. بسطر نور لا يفضح ، ولكنه ينفح بشئ عجيب الفتنة ، تكون لك فيه « فيك » المؤنسة من وحشة أثارتها عاصفة أبعدت عنك النسمة فجاءت النتيجة تقرب إليك البعيد عن نفسك .

وحينما أيقنت بدورة الفلك هذه النجمة ، أرسلت نورها فى عطر الفاغية .

اجتماعیات

عادات وعيوب اجتماعية

● ونشأ الفتى في قرية ذاق فيها حلاوة الطبع ، وصراحة العشراء ، ورقة القساة .. هم قساة من قسوة الحياة فى القرية . قساة على أنفسهم من تذوق الصبر على مكاره الحياة . فالقرية دائما تعطى المدينة كل ما تعيش به . بينما المدينة لا تعنى بأى التفاتة الى القرية . كأنما هى السخرة المفروضة على القرية تعمل للسارحين فى حلكة الليل . الناعمين فى أضواء خافتة . كأنما هم في حلم . يصحون فى تذوق الملاذ ، ويغفون عن صانع الترفيه لهم .

وذاق متعة جارمة فى صحوة الفتوة . فندم ، يذهب الى القس في الكنيسة !

واعترف أمام كاهنها بالزلة ليعطيه الغفران .. لعبة الكهنوت . يسخرون من الناس ببيع الرحمة ، ويسخرونهم عبيدا بشراء الجريمة ، فهم وهما ودجلا .

وتفرس رجل الكهنوت في هذا القس ، شام فيه الذكاء .

وعرف بذكاء الكهنة أن لهذا الفتى شأنا بعد . فالكهنة لهم حساسة الفيران ، يشمون الخطر من تطور الأحداث . فهم قراء الأمانى والأفكار من كثرة ما علموا من أسرار الناس .

فطلب أن يكون الاعتراف مكتوبا لتكون المغفرة سرمدية لأن القس يدعو له كل يوم ما دام الاعتراف في ورقة لديه .

وكبر الفتى حتى أصبح من أبرز الرجال فى المدينة . يقترح ، ويقدم المشاريع للاصلاح . ومنها ما يمس الكهنوت .

وكبر القس حتى أصبح سيد الكهنوت فى الدولة ، وما كاد يسمع بمشروع الفتى حتى جاءه في ليلة .

ـ أيها الفتى المحترم . إنك ستلغى هذا المشروع .
ـ فقال الفتى : لا .. لا .. سأمضى به الى النهاية !
ـ فقال القس الكردينال : أى نهاية ؟ إنها نهاية المشروع فى قبر هو صدرك . ألم تقرأ هذه الورقة ؟. إنها بخطك .
وصرخ الفتى : سأذهب ماضيا فى انجاح مشروعى لأقتل هذا الدس والخداع فى الكهنوت .
أبرز هذه الورقة . ستكون دليلى على خسة ما تفعلون .

● خبر غريب ، ارتحت اليه ، أنشره مع التعليق .. وأرجو أن يحظى بنقاش واستيعاب وفهم له .
ـ قالوا : إن بلدا كبيرا ومسلما كثير السكان لا يبيع الكماليات أو حتى الضروريات بالتقسيط .. وإنما هي برسم الأجرة .. فمكائن الغسيل والمراوح والثلاجات وما اليها تؤجر بتعريفة معينة لطالبها .. وهذا يعني أن المستأجر ينتفع بها طوال حياتها معه ، عنده ، ثم هناك معنى امتلاك الشركات لها بأنها مطالبة باصلاح ما تملك من هذا المستأجر فالمنتفع سالم من الاصلاح والصيانة والمصاريف العارضة لذلك .. لأن الشركة تؤجر وتقبض الأجرة .. وهي التى تصلح وقد يكون هناك مبلغ اضافي للاصلاح اذا كان الخراب بفعل المستأجر .. شيء لم يتم له به علم .
فالخلاصة أنهم سلموا من شبهة الربا فى التقسيط ، فبعض الخيرين يستوحش من رفع القيمة على السلعة المبيعة لاجل ..
ثم هناك السلامة من الشكاوى والدعاوى الناشئة عن البيع بالتقسيط .. وأكثر من ذلك حصر الاستعمال للضرورة الملحة لا للمفاخرة والتباهى ..
وهناك أيضا التعميم للنفع بهذه الآلات والأدوات والزينات وما اليها .. ففي قدرة الفقير والمقل أن يستأجر ويدفع الأجرة .. حلالا يدفعها .. حلالا تقبضها الشركة والمحلات ..
أنا لا أقول بالغاء التقسيط ، وإنما ادعو الى وضع نظام للتأجير ..

لقد اتبعنا التأجير المؤقت للكراسي وما اليها .. فاذا وضع نظام بشكل لطيف وحازم أمكن ادخال الحضارة لكثير من البيوت والأسر دون تضخم الآلة المدنية بهذا السرف .

صحيح أن الأجرة ستطيل الأمد حتى تستوفي الآلة قيمتها ، لكن التعويض سيكون بالكثرة المستعملة المنتفعة بهذه الآلات ..

ومرة أخرى هناك السلامات من تبديل التيار وقطع الغيار لا يرهق بها المنتفع ، لأن الشركة تعرف ما يصلح وما يكفى وما تصلح به أدواتها .

● الذباب ناقل لكثير من الأمراض .. نسأل الله السلامة منه ، فقد أصبحت الحرب الساخنة التي كانت بيننا وبينه .. المتمثلة في حرقنا للقمائم ، وقتله بالغازات الخانقة .. « كالفليت » وما اليه أصبحت هذه الحرب رغما منا ، وبانتصار الذباب علينا المعايشة الاستسلامية .. فقد استطاع أن ينتصر هذا الذباب لأن المحاربين في الجبهة وقيادة هؤلاء المحاربين قد أصيبت بنكسة .. كثرت القمائم واتسخت الشوارع فشبع الذباب وأمرع ، وهو يستطيع أن يشكل في كل بيت منصة فضائية !!.. لأنه بالنسبة لنا نحن سكان البيوت هو من رواد الفضاء .. يهبط على موائدنا كيف شاء .. يسقط على ملعقة الشاي .. في زبدية الشوربة .. فوق الخبز .. فوق السكر .. هو يحب الحلاوة !.. سواء كانت طعاما أو هذا الدم الزكى النقي فى الإنسان .. يمتص ، ويقتص .. يمتص الحلاوة ويقتص بزراعة الميكروب ..

ما دام هذا الوضع أصبحت المسؤولية على وزارة الصحة أكثر من البلديات !

إن الذباب يستملح الحلاوة حتى إنه ليلطم الخدود الناعمات .. ويتغازل مع السوق المنقرسات .. تصوروا خدا ناعما تلطشه ذبابة فتلطشها اليد الناعمة ؟.. تعقص الذبابة فوق هذا الخد .. يعني هذا ذوقا ؟!

رفقا بالقوارير من هذا الذباب .. ورحمة بالمصابين بالنقرس يصرخون كما كان يصرخ الجاحظ ، فلا يتخلصون من الذباب إلا بالأغطية !

تصوروا أن الخد الناعم اذا ما أصابه « القرف » كيف تصبح الحياة في شهر العسل ؟!!
غلطت وجبت سيرة العسل .. هذه من اخطائى كإنسان .. يسمع الذباب سيرة العسل ،

فيسقط على العروسين لأنه يحب العسل !!

الذباب .. لو عرفنا ـ وبجد أقول ـ وسيلة من وسائل الهزيمة في الشعوب المحاربة !

تصوروا لو فشا مرض من الأمراض التى ينقلها في المحاربين أو فى من وراء المحاربين .. كيف يكتسب العدو النصر ؟!

حاربوا الذباب بغير « الفليت » فقد أصبح « الفليت » لا ينفع لأن الذباب قد اكتسب المناعة كما تكتسب الشعوب المرهقة بطغيان الأعداء المناعة ضد الخوف !

أرجو من رئيس البلدية ، ومدير الصحة أن يأخذانى معهما .. نلقي نظرة على النظافة في البلد ، لعلهما قد صانا بيتيهما من الذباب لكنها صيانة لا تحمي أحدا ما لم تكن صونا للجميع ، فالعدوى لا تعرف الحجز ، والوباء لا يحجبه غطاء .. لكنها رحمة الله تجنبنا ذلك بما أودعته فى هذه الشمس المحرقة تقتل الميكروبات ، لو كان هذا الذباب في أرض لا شمس فيها لفعل ، وفعل !!

● إذا حرص واحد منا على أن ينال حقه ، أو أن يمتع نفسه بما يريح فإنه ينبغى له أن يحرص على حق الآخرين ، وألا يشقيهم بما يتعبهم من تصرفاته .

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ».

« خالق الناس بخلق حسن ».

« عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ».

فقد عملت عصر أمس جندى مرور . والسبب هو حرص البعض من راكبى السيارات . سائقين أو متفشخرين . أن يقفوا حيث شاءوا .. وأن يمروا قبل الآخرين . فلا يفكرون بما يضر غيرهم ، أو يحول دون غيرهم أن يسيروا كما يحبون هم السير لأنفسهم .

فى الشارع النافذ من أيسر الشارع الجديد المدخل من حارة اليمن الى حارة الشام . الموصل الى باحة البيت الكبير ، بيت نصيف ، والموصل من وسط المظلوم الى دكان « الشلبى » أبيح للسيارات أن تذهب وأن تروح . شارع ضاق بالناس . فمن العسير أن تمر فيه سيارات ذاهبة راجعة لكن سد الطريق الى باب مكة وما اليه الزم بذلك . ضرورة

يمكن استخدام الشارع من أجلها لو أنصف السائق ألا « يدور » سيارته فى مدخل الشارع .

سائق كان يمكنه أن ينفذ من زقاق الى المنشية . لكنه أبى فدور واستدار . وراءه سيارة . أمامه « فيسبا » السيارة التى وراءه واقفة . والفيسبا واقفة . وانسد الطريق فهو لا يستطيع الحركة . سيارات ذاهبة توقفت . سيارات راجعة توقفت . وليست منها سيارتى . فقد أوقفتها فى براح فى الشارع الأوسع ومشيت على رجلى .

ضقت ذرعا بحيرة الناس . سألت لماذا لا تتحرك الفيسبا . خاطبت راكبا فيها بجانب السائق . نزل دون أن يرد جوابا كأنى طلبت منه السير ؟!

ـ قلت لسائق الفسبا : تحرك مترين . يستطيع المدور أن يلف وتنتهى الأزمة . فسكت ولم يجب وتبرع المشاة : « ما أنت شايف هى خربانة » .

ـ قلت : لأنها خربانة . يجب أن يدفعها صاحبها الى البراح ويفسح المرفق العام . فليس هو اعنى الشارع بالمكان المتسع للخربانين والخربانات .

● هل تصدق اذا قيل لك أن الخبز فى الرياض والقصيم أكثر من خمسة أرغفة بالريال ؟.

لم أصدق ذلك لأن الفرق فى أجور التحميل يجعلنا نعتقد أنه إن لم يقل عدد الأرغفة بالريال عن جدة فعلى أكثر التقدير يكون المساوي لا الأكثر ..

صدقوا أو لا تصدقوا .. فاليقين أن خمسة أرغفة بريال في جدة أصبح مبدأ ثابتا لا يتغير نتعلم منه الثبات ..

فقد وصل كيس الدقيق الى أكثر من ثلاثين ريالا أو فوق العشرين بما يقارب الثلاثين ريالا .. والخبز خمسة بريال .. ونزل السعر الى أقل من خمسة عشر ريالا أو ستة عشر ريالا للكيس من الدقيق ، والخبز خمسة بريال .. أو أن الرغيف الواحد من خبز الحنطة الكبير اسما بستة قروش ..

ما سبب هذا الوقوف والثبات ؟.

اهمال من الرقابة ، وتواكل من الذين لا يراجعون البلدية !!

أضع هذا أمام بلدية جدة لتسأل .. لتراقب ، لتحل مشكلة ..

إذا كان هناك ادعاء بما يفرضه الأجر للفرن والدكان الكبير والعمال .. فإن التعويض لهذا الأجر وما اليه في القدر المبيع من الخبز .. الفرن الكبير قالوا له أن يعجن أكثر من خمسين كيس دقيق .. هذا القدر جزء من ربحه يكفى النفقة التى يحتجون بها ..

وهناك وعن الخبزأيضا الدقيق .. فبعضه مرذو رائحة .. لقد رأيت فرنا كنت اشتري منه الخبز قد وضع أكداسا من أكياس الدقيق فى العراء تحت الشمس والريح وربما المطر ، فعدلت عن شراء الخبز منه .. والسبب مرارة الرغيف .

دقيق رخيص فاشترى هذه الكمية .. فهو إن لم يخبزه صرفا يخضعه للخلط بدقيق آخر يستر عيبه بقدر يلزم به الغش .

حاسبوا ترى شيخ الفرانة من أعز الناس عندي سببها صلات كبيرة وغالية ..

أرجو من البلدية أن تتحرك قليلا فتنظر في سعر الرغيف ودقيق الرغيف .. فرمضان غدا أو بعد غد .. والصائم يحب أن يأكل ما يستأهله برياله .. ولا يرضى أن يؤكل جزء من هذا الريال ..

ويريد أن يشتري لعياله خبزا حلوا لا مرارة فيه ..

واضيفوا الى ذلك الكنافة .. صانعها أصبح يغش .. دقيقها مر ..

يا ناس ذوقوا لتعرفوا ..

وهل أسأل الغرفة التجارية .. أم فرع التجارة بجدة ؟..

كلهم لو تحركوا بذوق لطردوا الدقيق المر والقوا به في البحر ..

● التسعير مرفوع ، فلا تفرض تسعيرة على سلعة ، أو على بائع .

هذا مبدأ أساسى من حرية التعامل ، لكن هناك تسعيرة تذاع فى الإذاعة .. يظنها بعض السامعين على أنها تقنين لسعر مفروض يلزم به بائع السلعة المسعرة ، وهم معذورون في هذا الظن الحسن بالتسعيرة المذاعة .. أما غيرهم وقد اكون واحدا منهم فلا يظنونها ، أو

لا أظنها إلا خبرا يذاع لاعلام السامعين بوجود السلعة المعلن عنها ، والأخبار عن ثمنها ، وذلك بدليل هو أن الأسعار المذاعة تختلف بين سوق وآخر ، وبين دكان وآخر ..

يعني أن فرض السعر يدعو الى عدم الاختلاف .. أما الخبر عن السعر فلا يمنع الاختلاف ، ولا يعد عيبا منتقدا ..

لكن عندي سؤال تحيرني الاجابة عليه !!

حينا تنجم أزمة في مكان ما ، وهذا المكان ما نجلب منه مأكولا يوميا .. بصلا ، ثوما .. بطاطس وما الى ذلك .. وتحدث فيه أزمة يشم البائع بالجملة يعنى تاجر البضاعة رائحة الأزمة ومنعها للاستيراد من هذا البلد ، فلا تكاد تمر دقيقة على سماعه خبر الأزمة إلا ويرفع سعر البصل والبطاطس !!

الخبر عن الأزمة أذيع في الليل ، وتذهب صباحا الى « الحلقة » والسوق وتجد المخزون الوارد قبل الأزمة ، قد لبس سعرا فاحشا .. ليه زاد ؟.. ما هو ما يجي من لبنان ؟..

بكل هذه الجرأة يقول لك .. أصبح ما يجي البصل من لبنان ..

لم يتذكر لأن غيره لم يذكره بأنه مستورد قبل الأزمة .. فلا ينبغى له ان يستغل المنع المتوقع فيرفع سعر المخزون !!

الأزمات أكثر مما تحصر ، وقد يأتى غيرها ، فلعلى لا أبالغ اذا ما طلبت تدخلا لحصر كل ما هو موجود من أي سلعة حتى نعرف على أي أساس نتصرف حينا تدعو الحاجة ..

إن ترك الخزانة والمستغلين سواء كانوا تجارا أو أن أكثرهم من غير التجار يتحينون أخبار الأزمات فيدخلون السوق شارين بسعر ليحجزوا ويبيعوا بسعر فاحش .. فما اظن ذلك إلا أنه ضار بالعامة التي تسأل عن زيادة قرش فى السلعة فكيف بمضاعفة السعر .. لو كان مجلوبا بهذا السعر لهان الأمر .. لكنه موجود في البلد فقبل ساعة اشتراه واحد بسعر ، وبعد ساعة يتضاعف السعر !!

العامة تحتاج الى حماية من شيء هو أسوأ من تلقي الركبان ..

إن تلقي الأخبار هو من نوع التلقي للركبان ، النتيجة منه غلاء الأسعار .. والتلاعب بها .

● حينما تدخل الى مكان ـ أى مكان ـ على صاحب ، أو أصحاب ، تعرفه ، أو لا تعرفه تقول : السلام عليكم . تحية مسلمة .. تتبرع بها أدبا لدخول المجالس ، ويفرض على واحد منهم الرد نيابة عن الآخرين .

هذه الطريقة تجدها عميقة ، وعملية في عامة الناس ، ولكن بعض الخاصة من الناس يدخلون على مجلس فيه صحاب لهم ، ومن أوزانهم ، أو معهم غيرهم ، فلا يلقون التحية السلام .. كأنهم يريدون أن يتمثل لهم الناس قياما !.. إن تعجب فاعجب بأنهم من الذين يفترض فيهم اشاعة الدعوة الى الخير ، ومنها افشاء السلام .. هم يعلمونه في دروسهم ، لكنهم في تعاملهم ينسونه .. شيء من الورم ، أو هو الشيء من الورقة البيضاء اعطوها لأنفسهم كأنها صكوك غفران تحميهم من العتاب ، أو مما هو أعظم .

أسلوب كنسي ، وكهنوتية لا يليق بأمة مسلمة !!

أو هو أسلوب عنفواني على طريقة : نحن هنا .....

عجبت .. لكني ترحمت على الذين كان لا يفوتهم ذلك ، وسألت الله أن يصلح الأمر لهؤلاء .

كنت مرة أجلس في مكان ، فاقبل شيخ لباسه من السواد لأنه من أهل السواد .. دخل مجلسنا ، وجلس على كرسيه في صالة الأوتيل تكاد أيدينا تلمس يديه ، كأنما الركبة تحتك بالركبة .. أردت أن أترك الموضوع لا أسأله : لماذا ؟!.. لكن ورقة سقطت عرفت منها اسمه ، فقمت توا لأعود لحظتها فأجهر بالسلام ، فكاد أول من رد هو !

عجيب ؟!.. إذن هو من العارفين ؟!.. كان كذلك ..

هو السيد الجليل العلامة النبيل .. أحد شعراء العراق .. عضو مجمع اللغة « محمد رضا الشبيبى » .. قلت له :

ـ دخلت علينا ولم تسلم .. لماذا ؟!

ـ قال : لا أجد عذرا ، فمعذرة !

ـ قلت له : أولست القائل :

فتنة الناس ـ وقينا الفتنا ـ باطن الحمد ، ومكذوب الثنا

هذا رجل كبير يعترف أنه أخطأ حينما لم يرد السلام .. حين وجد من يناقشه .. كانت المناقشة حبا في أن يبقى هذا الخلق ـ السلام ـ وكانت الكرامة منه حبا لهذا الحب .

ما أجمل الكبراء حينما يتواضعون !!

● اليوم صنعت لنفسي عملية جفاف أو تجليف .. على طريقة صديقنا « أحمد لاري » ـ يرحمه الله ـ كان يقول لنا : ينبغي على الساكن فى جدة أن يغيب عنها شهرا الى بلد جاف .. يابس لتزول هذه الرطوبة .. ليس عن الجلد فحسب .. وإنما عن العظام !!

وكان رحمه الله يعمل بهذه النصيحة .. إذا لم يستطع أن يسافر يصعد الى مكة فينام تحت السماء في الصيف .. يفر من الرطوبة والمكيف .. ويظهر أن « أمين المميز » سفير العراق السابق قد أخذ هذه النصيحة من « احمد لاري » وذكرها في كتابه .. وهى لم تذكر من الاثنين عن طريق المعابة .. ولم اسر على هذه النصيحة غير أني اليوم شعرت بصحتها .. فقد طلعت الى مكة فشعرت بشيء من الجفاف على الجلد : بشيء من الترطب في النفس !..

ولو أمكنتني الفرص لسلكت أسلوب اللاري .. ولعلها تمكن فيما بعد ..

ونزلت الى جدة فرأيت ظاهرة أعجبتني .. فقد انصرف كثير من الناس عن طريق المدينة المزدحم والمضطرب بسلوك السائقين فيه .. فذهبوا عنه الى طريق مكة ..

فمن بعد الخزانات ، ترى السيارات ، والأطفال والأمهات والآباء ينسربون على الرمل .. يسرقون الجفاف من فوق الهشيم .. لم تعد تصلح لهم أبحر .. لأنها أصبحت « زحمة » أكثر من اللازم بالناس .. بالجدران ، بالاستحواذ الحوشي .. كل حوش طوله الف وعرضه الف كأنما هي حواجز عن البحر .. فانصرفوا من الزحام ومن الرطوبة ومن ضيق الصدر بالحواجز الى طريق مكة .. عملية توزيع صنعها الناس لأنفسهم .

حبذا لو تنتشر هناك ملاعب للأطفال .. حديقة كبيرة .. وراءها خزانات مباحة للجميع على قسميها .. قسم للنساء والأطفال وقسم للرجال .. وحبذا أكثر لو عملت توزيعة أخرى في الساحل الجنوبي يخف به الضغط على أبحر .. والزحام عن طريق المدينة !..

● وكم مرة كتبت عن التسويق للناتج الوطنى ! ولا ينبغى أن أمل الكتابة عنه ، فالواجب يقتضى منى أن لا أنط وأعرض ، لعلى أجد أذنا مصغية ..

هى إذن ثلاث .. وزارة الزراعة .. وزارة التجارة .. ملاك الثلاجات الذين يصونون المستورد من خارج البلاد ، ولا يساهمون بالدخول الى السوق شارين ليحفظوا السعر عن الهبوط المجحف ، والتصعيد الفاحش ، مساهمة وطنية وتجارية ..

فمثلا الفلفل الأحمر ، وهو غذاء ، ومادة أساسية يحتاجها كل بيت على مائدته ومطبخه .

فقبل أيام شرينا الصندوق .. وزن خمسة كيلو أو أكثر بريال واحد ، لأن الوارد عرض فى السوق بأكثر من العادة ، بأكثر مما اشتراه « الخضرية » يوزعونه بالقطاعى !!

وفى يوم بعده لم يبعد أصبح هذا الصندوق بخمسة ريالات .. أى أن الكيلو أولا بيع بربع ريال ، وفى هذا دمار للزارع ، لا تفى القيمة بأجور الحمل وما الى ذلك ، فكيف بقيمة ما أنفق عليه حتى نزول السوق .. وفى المرة الثانية بيع الكيلو بريال ، وهو سعر متزن أقل من سعر الوارد المحجوز فى الثلاجات .. وحين نقص الوارد أصبح الكيلو بريال ونصف وأكثر ..

هذا الاختلاف سببه عدم التسويق فى السعر والتوزيع على المدن والتصدير لكل جهة ومقدار ما تستهلك ..

ومثل آخر أخبرنى من لا أكذبه .. رجل كبير القيمة قال : نزلت الى السوق كمية من التمر ، فعرضها الدلال فى المزاد ، فكانت سبعين كيسا تمرا .. فرسا المزاد بقيمة الكيس خمسة ريالات .. ثمن بخس معناه القضاء على عمتنا وزادنا نحن العرب .. النخلة .

ذهب صناع الخل ، ذهب الحيوان المعلف تمرا ، ذهبت الشيكولاتة والحلويات المستوردة بالتمر تلقى به بعيدا ..

والسبب يرجع الى العمالة ، والعمال ، والتسويق والتصنيع ، الاستيراد المفتوح . لنضع خطا مشيرا الى هذه الأمور كحالات ثم نخطط لها علاجا ..

أحسبنى لا أنسى الجبن ..

هو القليل الوارد ، يحظى بفرض تسعيرة جبرية عليه .. إنكم لا تسعرون أى منتوج

وطنى غير الجبن فى رمضان حينما يشتريه الناس كموسم له ..

اتركوا الجبن مثل غيره يربح جدتنا الصانعة . الباقية من صانعات الخير ..

وأحسبنى مرة ثانية فى نظر بعضهم متجاوزا ما يفرضه واقع الحياة !

لا .. لا .. نحن الذين نصنع كثيرا من الواقع القاهر لثروتنا وجهدنا .. إن الاستسلام لشئ اسمه الواقع . لن يكتب السلامة لاقتصاد وزراعة وصناعة .

شئ من التنظيم يرفع عن كاهل الزراع والمستهلكين !..

الاجحاف والفحش .. لاضرر ، ولا ضرار !

● القصيم .. القصيم .. يتحدث كل قادم منه عن وفرة الماء ، وعن نجاح الزراعة .. يضيفون اليه شيئا جديدا إنه بدأ يصدر ما ينتج الى الرياض والى إخوتنا فى الخليج ، وحتى صدّر الى بيروت .. يصدر أكثر من مائتى سيارة كبيرة من الخضروات ، والباذنجان ، والبطيخ والثوم ، والبصل .

هذا خبر يرويه كبار وصغار ، ولكن هل هو الجديد .. خبرا عن القصيم ؟

.. وإذا لم يكن هو الجديد فى الخبر فما هو المتجدد للأثر ، أو التأثير ؟..

القصيم على حوض نهر جوفى فيه الماء الغزير الوفير المتدفق .. رأيناه اليوم نستخرجه بالآلة ، ورآه آباؤنا من زمن بعيد ، فهناك مثلا فى الجاهلية الأولى يقول: « إذا سالت الرمة ربعت العرب » ، والرمة عودنا أن يسيل فيرتع طلاب الكلأ .. أهل النجعة ، واليوم .. الرمة بدأ ينبع من الأرض لترتع الجزيرة كلها فى خيرات القصيم .

كنا قبل سنين وسنين نسمى القصيم « اوكرانيا » بلاد العرب .. لأنه الأرض الخصبة .. فيها الماء الخصيب كأنها هى حوض النيل ، أو حوض المسيسبى ، أو حوض السند والكنج .. هذا النهر فى الأرض .. أعطانا الخير من قبل ، وقد كتبت أكثر من مرة عن ذلك .. أعيده اليوم لتعرف السبب الذى سمينا القصيم من أجله « اوكرانيا » ..

فلقد شهدت شبع قومى فى المدينة المنورة ومن حولها من حنطة القصيم .. تأتى الحنطة منه بوفرة تغنى .. كانت المدينة فى مجاعة .. فى حالين مضيا .. فى الحالة الأولى : لم تكد

تفتح للحاكمين الجدد إلا والجمال السود تحمل « العدل » الأسود .. العيبة السوداء ملآنة « باللقيم » والحنطة . .. فنأكل بعد جوع ، فلا أدرى أين ذهب ذلك الخير ؟.. هو لم يذهب من النفوس ، ولا من الأرض وإنما أذهبه صارف من هذه الصوارف .. يجعلنا فى بعض الأحيان نأكل « الدردى » ! دقيقا مسوسا معطفا .. مخزونا ، وبالأحرى مرتفع الثمن .. فوضى الاستيراد ، والغفلة عن حماية الزراع .. بل وأسميه التقاعس عن معونته ، ولا أتهم الدولة فقد صنعت للزراع الكثير ، وإنما أريد أن أناقش فقد صنعت للزراع الكثير ، وإنما أريد أن أناقش رأس المال .. ماذا صنع من معونه .. لهذا القصيم ؟..

لا أريدها مالا يصب فى الأرض ، ولا قروضا تعطى ، وإنما أريده الاستثمار .. بالتعاقد والتوثيق .. أريد من أصحاب الثلاجات أن يتوجهوا نحو القصيم ، فلا عذر لهم بعد تنظيم الطريق وتمهيده بخط مسفلت .. أصحاب الثلاجات عليهم أن يكونوا المسوقين لهذا الانتاج ، وليس هناك ما يمنع وزارة الزراعة ـ ولا وزارة التجارة أن تتفاهم مع أصحاب الثلاجات .

قبل عام أو عامين اشتريت كيلو الثوم بثلاثة عشر ريالا .. وهو فى القصيم « بلاش » ومثله البصل ، والقوطة أصبحت فى ارتفاع وانخفاض كأنما أصابتها أزمة الاسترلينى أو أزمة الذهب !..

نستطيع فى هذه المدن أن نستهلك إنتاج القصيم بسعر أقل من هذا المستورد ، وبسعر مناسب ينعش المزارعين فى القصيم ، قد لا يتحرك فرد واحد لهذا الأمر .. فالرجاء أن تتحرك وزارة الزراعة ووزارة التجارة لتحرك الذين لم يتحركوا بعد !!

● الالتزام ما هو ؟

كثير من الكلام يقال عنه . حتى لقد عدوا منه هذا السؤال فى باطنه جوابه ..

والسؤال فى باطنه جوابه هو ..

هل الأدب للرغيف ؟ أم هو لآكل الرغيف ؟

الرغيف مادة بها حياة معدة . وقوام حياة الجسد . ولكن أكل الرغيف هو حياة الحياة ،

ومادة العيش ..

آكل الرغيف الانسان ليس كله معدة . وإنما هو فكر وقلب واتجاه وعمل ومصير وعراك وفشل ونصر . حتى الموت حياة جديدة بعمله الذى أقامه . أو بعمله الذى ينتظره فى معاده ..

كثير من الكلام عن الالتزام قرأته . وحاورت فيه .. وكل الخلاف بينى وبين هؤلاء هو .. أنهم يفهمون الالتزام على أنه مثالية تنسف الواقع . وتطرد الحاضر وتضع دستور المستقبل .. كأنما المستقبل هو الشئ الجديد بذاته لذاته .. لا تكون دعائمه على ركائز من ماض وخلق وتراث وتاريخ .

هذا لا أقرأه . فالالتزام أعرفه . هو اتخاذ الموقف الملائم لمواجهة الخيال المثل مع الواقع العمل .

الالتزام يعنى الثبات على دعائم من مبادئ الجماعة . تشد أزرها وتوائم ما تريده لها من تطور وتقدم . فلا تعصف ولا تنسف ولا تطفر .

الالتزام اتجاه الفرد فى اتجاه الجماعة . وتوجيه الجماعة للمثل التى يراها الفرد صالحة لحاضره .. عملا لمستقبله .

أما الانفرادية أو هى الشذوذ بدعوى الالتزام فهذا شئ لا يطرح نفسه مادة عمل .. وقوام أحياء .

أنا ملتزم فى اتجاه الجماعة لتوجيه الجماعة .. لا لتخوينها أو تهوينها أو الحرب عليها .

● وكنت أحد المرحبين بنظام العمل والعمال ، ظهر فى حينه كدعامة من دعائم التنمية والتقدم ، فقد منح نظام العمل والعمال المجتمع بجميع أشكاله وأسره ومرافقه الواجبات ، لأنه حدد مسؤولية العامل ، ومسؤولية المعمل .. فردا وشركة ومؤسسة ووسيطا .

ونظام التأمينات المكمل دربنا لنظام العمل والعمال قد أوضح الحقوق للعمال ، فأعطاه الرعاية فى أشكالها المتنوعة ، والمتعددة ، والناجمة عن العجز والمرض والشيخوخة ، والتقاعد والعطب وحتى نتائج التعاقد .

فأمسكنا البداية المتطورة لمجتمع تام .. لأنه جعل الجماعة كل الجماعة مسؤولة عن تطبيق هذا النظام المتكامل !!

فلا فائدة من نظام لا يخضع للتطبيق ، إما لأنه غير ملائم أو غير واف ، وإما أن يكون هناك رفض من أناس يريدون أن تسير الجماعة على هواهم ، يكسبون التشريف والثراء ، ولا يعطون التكليف حق الوفاء بما ينمى المجتمع حضاريا فى عصر تزاحمت فيه المصالح إلى حد مربك ومزعج ومثير ، وتراكمت المفاسد إلى حد موجع ومرهق .

إن المجتمع يشعر بصحة ورشاد حينما يخضع لنظام يحدد الواجب ويصون الحقوق .

والدولة عرفت ما تريد ، وضعت ما يحسن ، وأفلحت حينما سبقت بهذه الدعامة المنمية لبداية التنمية .

إن التنمية تتم بأمان حينما يشعر العامل بعدم الاجحاف .. وحينما يشعر صاحب المال بضمان الاستقامة والأمن بهذه الواجبات التى أعطيت له على العامل . هى عملية أخذ منه لعطاء . يعنى يعطى هو مقابل ما يؤخذ منه .

وإن الذين فرحوا بهذا النظام لم يفرحوا لأنه كسب للعامل فحسب وإنما لأنه تأسيس لضمانات مؤكدة كصمامات أمن .

أما إذا كان هناك من لم يغتبط بظهوره وابرازه بهذا الشكل والموضوع المتكاملين ، فإنه فى ظنى خاطئ فى حق الأمانة التى هو مسؤول عنها .. سواء كان ذلك بالنسبة لعمله الخاص ، أو هى للعمل المسؤول عنه كمدير أمين يمثل الشركاء والمؤسسين أو بالأحرى من حق الجماعة التى هو عضو فيها .

العرضحالات ، أو المحامين المستجدين لذلك !!

السطح بعد أن كانت مغطاة !! إن هذا الابراز سيشعر الجماعة بصحة وسلامة ووقاية . الوضوح . الوضوح . والجهر . الجهر . انصاف للجماعة لنفسها ، فلا يأتيه المغطى بما يفاجئ !!

وصحيح أنه هناك ستكون عقابيل ومشاكل وتأثيرات ، فإنها ستأتى من وراء الجهل ، ومن عبث المغرضين .. ومن استغلال كتاب العرضحالات ، أو المحامين .

ولكن التحديد الصريح . والسلطان اليقظ والقوى سيحدد الحواجز التى تمنع التلاعب والعبث والنكول والفوضى .. فالنظام كلمة تعنى القضاء على الفوضى .

أرحب بهذا النظام المتكامل دعامة من دعائم التنمية لمجتمع نام .. يسعى جهده أن يعمر . وأن يحول دون المرهقات سواء كانت من أحلام المراهقين أو من تصرفات الذين لا يفرحون بالتنظيم والتجديد !!

وأسأل الله أن يمنحنا الرضى والقوة لتطبيق هذين النظامين على مستوى المسؤولية كواجب وعلى مستوى الطموح كتحقيق .

● ونسأل الله أن يتم على جميع العرائس والعرسان نعمة الفرحة فى ليلة العمر ، وفى أيام العسل ، وفى الأيام التالية من عمر مديد وحياة سعيدة . يغلبها بالمال وتغلبه بالعيال .. ويتغلبان على حياة زاخرة بالمتغيرات والمتناقضات بالعلم والمعرفة والصبر والشكر ..

مقدمة لابد منها .. ندخل بها على الأمهات والآباء .. فهم يأبون إلا « الزيطة والزمبليطة » تكثر فيها المصاريف ذاهبة هباء . لو صانوها لصانوا الكثير من المربح والمفرح والمعين .

تسأل الجدات والجارات : « كيف ما توسعوها ! إيش يقولوا الناس ؟!! » .

والمسألة ليست فى قول الناس .. وإنما هى من قول فارغة تريد أن تشغل نفسها بقتل فراغ .. سهرة ليلة تأكل النوم من عيون الجيران الى مسافة كيلو متر مربع . أى مليون متر بالميكروفون المصرخ فى أذن النائمة .. كأنما الفرحة بالغناء لا يكفى سماعه على الضيق فى مكان الحفل .. وإنما الشهرة ما تجئ الا بازعاج الناس بالميكروفونات .

فى ليلة أمس وفى « الكندرة » أكثر الناس ما ناموا من إزعاج المكبرات سهرة صباحى .. والصداح الوطنى شرع الله يا زيد ..

من الجيران المريض إما من الحمى من ردود الفعل بالتطعيم . وإما من الأنفلوانزا « أنف العزة » المستشرية فى الدنيا . كأنما الأرض أصبحت مرتعا لهذا الداء الناعم النجس ..

بسيط فى مداخله .. خبيث فى معاشرته .. ما أكثر شروره فى عقابيله ومضاعفاته . رفقا بالجيران افرحوا . وغنوا « بس » بلا مكبرات تزعج سكان المحلة ..

● وعلى فكرة .. كم مرة نصحنا المذيع ألاّ يدخل أمام الميكروفون بجريدة الأخبار إلا وهو يقرأها قبل أن يذيعها يعنى يأخذ « بروفة » ولو على نفسه .. فقد أعجبنى « ماجد الشبل » فى هدوء أعصابه !!

وأزعجنى الآخرون عدا « بدر كريم » الغلط كثير ، والخوف أكثر . كأنما المذيع فى ربشة . أذكياء ويفهمون . « بس » الأعداد ناقص من عدم الكفاية .. يتمشى المذيع فلا يأتى إلا قبل دقيقة من قراءة الأخبار .. الحظوة لا تكفى .

● أبوها لا يريد أن يزوجها الا لدكتور لأنه مضمون الدخل .. دكتور يدفع مهرا كبيرا ، ويشترى لها سيارة ، ويسكنها فى « فيلا » ملكه !!

كلام عقلاء يعيشون هذا الزمان ، فعلى حد إدراكه ، أو كاشباع لمطامعه كل شئ بقيمة اسمها الريال ، أو الدولار ، أو السيارة ، أو « الفيلا » ولم يدر أنه بهذا قد جعل ابنته سلعة أغلى ثمنها كأنه هو يطرد الشارين لها .. فهذه الاشتراطات لا تمكنه من التخيل . وإنما هى تستمكن منه باعلانها على كل خاطب .

إنه يعطل الحياة .. يعضل فتاته ، بينا فتاته قد تعلمت ونضجت ، وهى حريصة على أن تتزوج . كانت ترضى بواحد من الذين ردهم وأقصاهم بهذه الشروط . وزاد شرطا عندما لامه بعض أصدقائه هو أن تتعلم شؤون البيت .. ينبغى أن تجلس فى البيت عامين حتى تصبح ست بيت .. أضاف هذا الشرط على ابنته لئلا تكون عليه حجة بالشروط الأولى !

وتكلمت الفتاة مع الراحمين لها ، وتكلموا معه ، ولكنه لم يبد أى حجة .. هى شروط يفرضها هكذا ، وإذا ما غلبوه برغبتها قال : « بنتى ما تدرى عن شئ .. أنا أبغى أضمن لها مستقبلا حتى تعيش فى غنى !» .

ـ قال له واحد : هل المال هو الضمان للزواج ؟!.. لنفرض أنه طلقها لأنها لم يجدا راحه . ولم يتم لهما وفاق . فهل تجد فى المال تعويضا عن الزوج ؟.. إنك تتخير لنفسك

زوجا تباهى به ولا تتخير لابنتك زوجا يسعدها !!

ـ فقال الأب : « أنا أعمل بكيفى .. هى بنتى وأنا أدرى ...! » .

ـ قال له صديقه : هى بنتك أمس ، ولكنها بنت نفسها ومستقبلها اليوم . لا تجدف ضد التيار إذا جاءك خاطب اسألها هى فهى تعرف الناس لأنها وصلت الى السن التى تفضل فيها معرفة ما يطيب لها !

وسمعت الفتاة هذا الحوار فسكتت أياما ، وجاءت لأبيها تقول له .. لا أريد « فيلا » .. لا أريد سيارة . أريد زوجا طيبا أعينه على الحياة ، ويسعدنى فى الحياة !

فسمع الأب ، وذهب لأصدقائه .. كلهم قال له : الحق معها . فخطأ من الآباء أن يفرضوا ذوقهم ، ومباهاتهم على مصير الأبناء والبنات .. يكفى أنك أحسنت التربية .. يكفى أن تعطيها فرصة .. تهبها لها الآن . فإنا نخشى أن تفوت عليك وعليها .. فإما أن تبقى البنت عانسا ، وإما أن تزوج نفسها على يد القاضى !

لا زالت المشكلة معلقة . ولكن الأمل فى حب الآباء أن ألاّ يكربوا الأبنـاء على ما يضطرهم الى شئ من الخروج أو العقوق !!

● وما آفة الأخبار إلا رواتها ..

مثل عن حكمة تقبلناها أول الأمر آملين أن يرتدع رواة الأخبار .. رواة الأخبار حينما ينخفضون قد يفرقون بين المرء وزوجه ، بين الصديق والصديق ، وقد يرتفعون على مقاس الحجم .. حجم الأخبار التى يرونها ، وحجم السامعين الذين يتلقونها فيخربون العامر على هذا المقاس أيضا .

والشئ الذى أريده الآن ، وقد عمت به البلوى ، ألاّ نلوم رواة الأخبار ، ولا نرفضهم ، فهم من الكثرة ، تعينهم الأوضاع الممزقة فى البيت والأسرة والعمارة ذات الشقق ، والحارة والمدينة ، والمجتمع .. فالتمزيق فيها ما هو الا معمل لتفريخ الأخبار ونشرها والعمل بها والشتات منها .. فالبغضاء (ونز العسل) أو زيد الشيخ كأسه .

الواجب الآن أن نغلق آذاننا عن السماع .. نرفض المخبر قبل الخبر لنهدأ .. لنستريح ..

إن الرفض لهذا كله يعنى نماء الثقة .. قتل الشك .. حين تنمو الثقة يفقد التمزيق كل مادة يمزقها .. ينمو الحب تطمئن النفوس ..

هذا الرفض .. علمنا كيفية أن نرفض .. قال سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل :

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة » صدق الله العظيم .

بعث الرسول وليد بن عقبة الى بنى المصطلق يجبى الزكاة منهم فنظر فاذا جمع لم يتثبت .. ظنه الجمع المناوئ له .. المحارب ، فرجع الى النبى يخبره أن بنى المصطلق تجمعوا لنكر فخاف أن يفعلوا به شيئا فرجع ، وجزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ظنوه إلا أمرا بشد الحملة عليهم ليرجعوا عن نكرانهم ، فأدركت رحمة الله رسوله أن ينتهى الأمر به الى خبر كاذب ، وأن يدرك المؤمنين ألاّ تنتهى حياتهم بخبر كاذب ، فاذا طليعة من بنى المصطلق تفرست الأمر فعرفت ما يجلبه رجوع الوليد دون تبيان الأمر ، فأسرعوا الى رسول الله يتقدمون بالطاعة ، ويعلنون التمسك بالايمان ، ويكذبون ما أخبر به الوليد ، فنزلت هذه الآية تصدق المؤمنين وتفسق العجلين الذين يخبرون الخبر الكاذب بسوء الظنة .. سواء قصدوا الفتنة لتعمل عملها ، أو جاءت الفتنة عاجلة بالفعل العاجل منهم وهم لا يريدون !!

أحسب أن رفض السماع للأخبار من تقوى القلوب !!

● هناك مثل يقول : من أحب نفسه كرهه الناس !

مفهوم ومعلوم .. بينما هو لا مفهوم ولا معلوم عند الذين يمارسون الحب لأنفسهم طارحين وراء أظهرهم كل الاعتبارات واللياقات والتراكات على حد المفهوم لدى عمنا وصديقنا القديم يرحمه الله الفنان الصيدلانى الشيخ « جميل ودل » .

أنت تحب نفسك هذا صحيح ولازم ولا نكران عليه . فمن لم يحب نفسه لن يحب الآخرين . حتى حب الولد هو من حبك لنفسك . لكن المقصود هو ألا تكون « الأنا » « وبس » عنزة ولو طارت من سرداب ، فى خندق ، لا يستطيع أن يتحرك فيه إلا

الخفافيش .

فمثلا إذا جاءك رب أسرة . يشترى الثلاجة بمفتاح ويضع المفتاح فى جيبه . أو يربطه على « التكة » كما قالوا عنه . فهذا أحب نفسه وحرم عياله من الماء البارد .

إنه قد غرس عقدة فى نفس كل من عطش وشرب من "الزير"!

ومثلا ذلك الذى يشترى المحمر والمقمر والعنب والتفاح ، فيغلق عليه الثلاجة ، أو الدولاب ، ليأكل هو ولا غيره .

فإن الذين معه سوف لا يحبونه . لأنه أحب نفسه ـ الأنا ـ فعقد العقد فى نفوس !! نحن ..

والعناد برأي رغم التبصير بالخطأ ، والدوام على الزلات رغم الدقات والضربات . هو شئ من حب الذات « الأنا » يجعل الناصحين والمشفقين والراعين ومن إليهم فى عقد من كراهية هو صنعها ، ولم يحيلوها عليه ، ولم يجتلبوها لأنفسهم .

حذار حذار ، من فرحة تطغى على الاعتبارات ، ومن ترحة ترزأ بها اللياقات ، والتراكات .

● حمار ، بلغت القيم المدفوعة ثمنا لبيعه أكثر من خمسة آلاف جنيه ذهب مسطرة على سندات مكتوب فيها مبالغ متعددة .. قرضا حسنا يرد عند الطلب .. كل سند بقيمة ثمن الحمار .. إشتريت وقبضت الحمار بمائة جنيه ، باقية فى ذمتى لصاحب الحمار فلان .

وهكذا بلغت خمسة آلاف جنيه قيمة الحمار وهو لم يخرج من العزلة .

بيع الحمار بمائة توثق بسند مشهود عليه .. محدد فيه الأجل ، أو مذكور فيه القرض الحسن .

وبعد توثيق السند يقوم شارى الحمار يمسك برشمته ويجره أمتارا ثم يعود به قائلا : ـ عدلت عن شرائه .. أبيعك الحمار وتعطينى الثمن .

ويشتريه صاحبه بقيمة لا تبلغ الربع أى خمسة وعشرين جنيها يقبضها الشارى الأول « المدين » من صاحب الحمار الفاتح بنكا متنقلا يقرض الناس ويدينهم على طريقة بيع الحمار بثمن فاحش ويشتريه بثمن مقرر لا يتعداه حمار آخر !

حيلة على الربا . يضطر لها من يستدين حتى موسم الحج ..

هى ربا ومقامرة واستغلال .. وأخيرا توقف كل مدين لا يدفع .. ذلك شئ باهظ .. ولكن الوثاق مشدود ، سند مضبوط . ويدخل أولاد الحلال بالحل صلحا .. يدفع النصف .. وهذا أيضا كسب بقيمة كبيرة قيمة حمار .

والحمار أمثاله كثيرة وكثيرة .. تلك طريقة قديمة فى الربا والاستغلال .. ولعل الزمان أثبت طرقا جديدة فى هذا الشأن .. والحاجة أم الاختراع .. « والشبعان ما يفت على الجيعان ، وإن فت فلأمر ما باعت سمسها مقشورا بغير مقشور ..» .

وصور أخرى من التى ينبتها الزمان . صور العم « جعيدان » كان فى الحوش ، ويسكنه المتحضرة أى دلالو الفحم ، فيصدف أحيانا أن يهبط جلابة ..وليس عند الدلال ما يقدمه عشاء لهم ، فيذهب لعم « جعيدان » يستقرض أرزا وسمنا ولحما ، أو دراهم .

ويتم الأمر بشراء فحم تعدد أكياسه عشرة أو أكثر ، بأكثر من خمسين مجيداً .. ثم يبيعها الشارى المقترض كعملية بيع الحمار بمبلغ عشرة مجيديات يقبضها نقدا . يشترى عشاء الضيوف ويكون قد كتب السند بالخمسين ريالا ..

صور بدائية . حمار وفحم . فهل هناك صور حضارية ، ارتقت وسائلها وتساوت غاياتها ؟..

الفرق فى الأسلوب ، أما النتيجة فواحدة .

● قلت له : ما هو الشئ الذى بدل حالك ؟.. لقد كنت تستر محاسنك .. لا تطيق ثناء عليها . ولقد كنت تتخفى بمساوئك .. تخاف مذمة الناس ، فأصبحت الآن تجاهر بما تحسن ، وتعاهر بما تسئ .. من بدلك ؟!

ـ قال : ليست هذه شجاعة ، كما أن الحالة الأولى لم تكن إلا شجاعة الجبن . أتشجع لأخفى محاسنى ، وإخفاء المحاسن مرهق ، وأجبن أن يرى أحد مساوئي .. حتى ظهر « فلان » فأعطانى أن اكون أشد وقاحة من جبان ، وأقوى وقاحة من شجاع . فمن الضرورى أن أظهر المحاسن لأتحدى الذين يعيبون مساوئي . ومن الاحسان الى نفسى ألاَّ

أبالى بما يقال عن المساوىء . فانا بما أظهر منها أتحدى الشاتمين .. كنت لا أستطيع ذلك قبل أن يظهر فلان . ولكنه ـ حفظه الله ومتعنى الله بطول لسانه ، وزاده فضولا على فضول ـ قد أخذ يجرى وراء أخبارى .. يظهر الاشفاق علىّ حينا عند الذين يحبوننى . وحينا آخر لا يكتم الشماتة .. إن أحسنت تأول الاحسان الى سيىء ، .. يقول : اتركوه كذاب ، مراء .. يريد أن يضحك على الناس .. انظروا ماذا فعل بعدها ، ويعدد المساوىء ، والأخطاء ، ويبالغ فى تجسيمها ، وكان كل ذلك يبلغنى .. تحاشيته أول الأمر .. حزنت .. رجوت أصدقاءه أن يكفوه عنى ، وأخيرا تنبهت .. عرفت أن كل مذمة قد قالها ، وكل الناس قد سمعوها ، فخرجت عليهم أعلن حالى .. لا أخفى حسنة ، ولا أدس سوأة . بل أتعمد أن أجاهره بكل ذلك .. كأنما أصبحت أنا شاتم نفسى لأفوت عليه سوقه الرائجة .. كنت أتعمد كل مجلس هو فيه .. أبدأه بالسؤال : مالك قد فرغت من أخبارى ؟ .. اليوم فعلت كيت ، وكيت .. أنا أزودك بها . اذهب إلى مجالس أخرى وأخبرهم عن ذلك .. اتعبته .. فوت عليه كل الفرص . أنا مدين له بهذه الشجاعة ، قد قطعت لسانه . واستمرأ الناس ألا يسمعوا منه . واستمر الناس ليكذبوا الأخبار الشائنة عنى .. أصبحت بينهم انسانا يخيف .. يقولون إن وراء هذا سرا ، لو لم يجد من يحميه ، أو ما يحميه لما فعل ذلك .

إن الحقائق قد لا تنفع الناس عنك ، أو بك . فاذا استطعت أن تصوغ لنفسك الأوهام بمثل هذه الشجاعة التى فعلت فإنك تكسب الاحترام .. فالناس قد لا يحترمون من يحسن إليهم بقدر ما يحتملون قاهريهم !!

بهذه الوسيلة لو كبرنا صورتها لوجدنا أن كثيرا من الناس قد وجدوا السلامة فى إذاعة معايبهم ، واشاعة الشتائم عنهم .

● وكنت أشترى السمك !

فوقفت أفتش عن المقشر حول الضحل يقشر فيه . فاذا بأكوام من الزبالة على الضحل . وإذا واحد من هؤلاء يفتش فى القمامة فوجد سمكة من النوع الفاجل ملقاة على الزبالة . أى إنها زبالة فأخذها يشمها . ثم مضى يضمها كشىء طيب وصرخت فيه : ـ ماذا

تصنع ؟ ارمها .. ارمها . وقال : هى ناشفة ..

ـ قلت : إنها من القمامة . تغش بها مسلما أو تأكلها أنت ! وخاف منى كأنى مفتش بلدية أو هو استحى . فألقى بها فى الزبالة .

وعزمت ألا أقشر السمك فى هذا المستنقع .. أقشره فى البيت .

***

● الحجر الكبير يضعه صاحب بيت فى جانب الشارع المسفلت يحمى جداره .. يصنع العجب فى ارباك السيارات .. وكلما رفعته البلدية أعاده .

شئ من الشعور باحساس الآخرين ، وشئ من الرحمة بعدم الاضرار بالآخرين .

***

● قال له صاحبه : ولدك يصل غدا الى جدة .. فلوى رأسه وقال : أدرى . أدرى .

ـ وقلت له : الا تسعى لتقابله فى المطار .. إنه قادم مع الكبير .. الكبير .. فقال : لا .. لا .

ـ قلت له : قسوة . لقد كتب الله على ولدك الرضا لك وكتب عليك الرضا منك .. الطاعة منه ، والرحمة عليك له . فارحم يرحمك الله ويرحمه .

ودمعت عين الأب ونزل يقابل ابنه . فاذا هما على صفاء بعد جفاء كلمة خير تذكر بها .. لها أجرها ولها أثرها .

● سمك يأكل السمك .. أما السماك فيأكل الأسماك ، والحيتان ، والديدان ، وقد لا يتورع عن أكل بعض السماكين ..

صراع الحياة فى البر والبحر . آكل ومأكول .

السماك ليس هو السارق ، ليل وفجر .. يصطاد ليأكل ، أو ليشترى قوت عياله بالثمن الذى باع به صيدا .. السماك الكبير هو غير من يصيد .. هو الذى يتصيد الصائد بأى أسلوب . السماك الصائد قد يكون هو العجوز صائد الحوت .. عجز عن حمله فى « الهورى » فربطه وراءه يجره ، فجاء القرش ينهش مزقا حتى إذا وصل لم يجد شيئا !

مأساه أن يضيع جهد فى ساعات مظلمة إذا طلع النهار طلعت الخيبة معه !

تلك هى سخرية « هيمنجواى » بالحسرة القاتلة له ضد القوى الناهشة القاتلة لحياة الذين لا يجدون سمكة يصيدون ، أو هم إن وجدوها أكلها ناهش مسعور . أو هى عاطفة قد برزت من عتمة الظلمة تعيش فيها حياة قومه هو منهم فى كل حين ، وهو لهم حتى إذا غضب منهم .. ذلك أن الانسان لا يستطيع أن يتخلص من الذين هو منهم حتما أن يكون لهم !

عاطفة ساقته الى ذلك فى استرخائه .. جاءته من اغفاءة النزوات والشهوات الى صحوة الإنسان .. يصحو ضميره لحظات .. يرتكب فيها الخطأ الكبير وهو التعبير عن إنسانية الإنسان !..

الضمير عند الاخلاقيين خلق ولو تمزقوا به لكنه الآن هو نقطة الضعف .. لا يمزق الأخلاق فقط وإنما هو قد مزق الخليقه حين أنكره بعضهم كشئ فى وجوده ، وحين حاربه بعضهم كشئ لا ينبغى وجوده .

حينما سخر « هيمنجواى » أسرع الناهشون الذين كربوا بهذا الكاتب فساقوه الى « القرف » منهم .. « فالقرف » من حياته .. فإلى الشرف ـ كما يزعم ـ فى ميتة منتحرة !.. انتحر الجسد وبقى الكتاب ، ولازالت الكلمة تصارع .. تنهش الناهشين .

إن هيمنجواى صوت كبير لم يستطيعوا صيده .. فصاد هو نفسه باستلقائه على الساحل يتمرغ فيه لينتحر كاعلان عن السوءة التى حدثت فى مرقده داخل مغارة الحيتان ، فى جوف البحر حوت ما أراد أن ينتحر فى البحر فالنهش فيه طبيعة .. أراد أن ينتحر فى البحر لأن النهش فيه صناعة ابتكرها الإنسان فغلبت على طبيعته !!

● فى أيام زمان كانوا يختتون أولادهم الذكور وهم فى سن كبيرة ، بعد الخامسة أو حتى السابعة ، يخافون على الطفل الصغير .. وهم معذورون .

أما اليوم فالختان فى يوم السابع عند الطبيب بدلا عن الحلاق .. الطب تقدم .. والطبيب موجود !

وفى حفلة الختان يعملون « زيطه وزنبليطة » على طريقة ما يدونه « الجبرتى » وهذا لا يهم الآن ! فالمهم هو أن الطباخ المشهور لعمل الأرز بالحمص كان ماهرا فى طبخة الأرز. فمهما بلغ من كيس أو مد ومهما كثرت خلوف الضأن فهو مجيد .. غير أن فيه واحدة فهو غالبا ما يحرم عن غذائه من هذا المطبوخ بيده . يتركهم يغرفون ويذهب هاربا . لماذا ؟

إذا أحد الخبثاء علق وراءه بدنجانة « حمراء » أو لفظ اسمها . فانه يجن ويترك المطبخ ويجرى هاربا ، يضرب كل من هو أمامه .

كانوا يقولونها أو يفعلونها قبل أن يبدأ عمله .. فيتركه ويعطل الحفل .

فبرعوا فى التنكيد عليه ، يعاملونه بها بعد الاستواء .. اسمه « سعيد » . ولقبه « شرشورة » يا سعيد ، لبيك ، شرشورة ، هاه ، ايوه .. بدنجانة حمراء . يلعن .. كلاب ، ويهرب ..

عنده عقدة من اسم البدنجان !

كما العقدة التى عند بعض الناس من اسم « شوقى » إذا ذكر اسم شوقى . جنوا الجنون البدنجانى كما شرشورة !

من يطبخ لكم مثلى .. من يعرف مثلى .. أنا أبو الحفلات الختانية . والأعراس غير البدنجانية !

وقد فعلها « شرشورة » فى ختان قريب لنا . فلم يأكل الآكلون الا بعد العصر ، حتى راقت زحمة البدنجان فى أعصاب « شرشورة » وحتى وضع صاحب الحفلة حرسا يحرسه يمنع رؤية البدنجان عنه .

وحين قال : تكمبل . زعق شيطان .. بدنجان .. بدنجان .. فألقى بالعدة على الأرض ، وخرج يجرى . ولكن الناس غرفوا وأكلوا .

هكذا العقد تفعل فى صاحبها ما يفعله الجنون حتى لو كانت العقدة آرية عن شوقى !.

كما هى العقدة عن غيره فى نفوس تتوهم أنها نابحة القمر !

● قال أحد القادمين من المدينة المنورة :

إن الصيف ويعنى الرطب سيتأخر شهرا عن كل عام مضى !

قلت له : إن عهدى به أن ترطبوا من صيارينكم ، أو صيرانكم فى أول يوم من السرطان . يوم ٢١ يونية . ويتوالى كل يوم فى الزيادة فبعد الحلية يأتى ما هو أطيب وأمتع وألذ .

ـ قال : إن شيخا من العارفين بأحوال عمتنا النخلة هو الذى ذكر لى عن هذا التأخير . وما العلة ؟

السبب هو الربيع . الغيث . المطر . فلم تعطش نخلة . تستجم . تستجمع فى الجفاف قوة العطاء فقد شغلها المص والهتها الرضاعة من الثرى أن تعطى ما يكمل به النضج للسدى فالزهو فالرطب .

أهكذا يفعل المطر ؟

وأخذت أنظر حوالِيّ وفى جدة فوجدتنى أتطلع الى شجرها .. النيم ؟ ليس فيه الدلالة فهو الأخضر كل يوم !

ورأيت البنسيان قد ازدان خضرة كأنما هو الورق الجديد نبت بعد أن حت ورق قديم .. إن هذه الشجرة شجرة الشتاء ، تمرع ، وتزهو فيه ، خريفها الصيف . فكيف بقيت خضراء فى الصيف على غير ما عودتنا ؟

أهو المطر إن عبث به ، كأنما هو قد بدل البيئة تحتها وفوقها وبها وعنها ولها ؟

سؤال أطرحه على العالمين بالزرع والشجر . أرجو الاجابة عليه .

فلقد زرعنا الذرة وهى صيفية ، فلما حصدناها وجدنا تحتها فى ظلالها من الحنطة وهى بنت الشتاء ما يربو عن أربعين كيس حنطة صاحبة صلبة كأنها فى وقتها . كأنما الذرة ومن ظلها وبردها قد صبرت الأرض المنثور فيها القمح بقية « الجرين » بيئة صالحة نبت فيها الحب .. حب الحنطة .

النتائج أمامنا ، والعلة واضحة . فهل هذه من تلك .

الحمد لله على الغيث . أغاث النفس والأرض والحيوان حتى الأبدان أغاثها بهذه

اللطافة ، قهرت الجوزاء أن تكون كأعوام سبقت .

● وتفاءلت بما كتبه « العكاظيون » عن الرشوة .. كأنما أمسكت يدى النهاية الحتمية لها .. فشئ طيب وحسن أن نعالج الداء .. نعرفه .. نصارح المريض به .. نصنع العلاج نشفى به المريض .. نصنع العلاج يشفى به المريض ، ونخطط للوقاية منعا لتفشى المرض .

ولعل بعض المرضى - ولو أزمن مرضهم - يفتشون عن الشفاء بالتقوى .. بالتوبة .. بالخلق . بالرحمة .. بهذا الإسلام حرم عليهم الرشوة ليكونوا المسلمين .. يسلم إخوانهم مما تفعل شهواتهم وتستبيحه أيديهم !

السرقة ملعونة .. كبيرة ، والرشوة سرقة ، بل هى شر منها لأن فيها العلنية المتبجحة .. فيها التفشى الوقح حتى لينام بعض الجهلاء من كثرة ما يرونه من آثارها إنها الشئ المباح !..

هى سرقة جيب من يد طمعا فى المزيد ، وإغراء لصرعاها .. يتساقطون حولها كما يتساقط الذباب على القذارات ، هى سرقة الواحد من أخيه حتى لتكبر لتكون سرقة الواحد من الجماعة .. أى من المال العام حتى لكأن الراشى هو الرائش فى الوقت نفسه لأنه وسيط الصفقة .. لا دافعها . هو يدفعها شكلا لأنه الوسيط فيها موضوعا وفعلا أما الخاسر بالفعل والنتيجة هى الثروة العامة .. فكأنما الدولة التى أقامت الأمن مضرب مثل فى الدنيا كلها أخونها اذا ما ارتشيت ، وهى التى تأمننى بهذه الرشوة أصنع من الفساد افسادا !!

الخاسر بهذه الرشوة هى الأمة كلها يسرق أبناؤها مال أبنائها .. مال بنائها ، والخاسر بعد كل ذلك هو المرتشى نفسه يعيش فى مخافة وعذاب من هذه الأصابع تشير إليه .. حتى ليندس فى نفسه من نفسه !.. يخاف صورته فى المرآه .. ليست مرآه من زجاج إنما هى عيون الراشى والمشاهدين والسامعين ، والرائشين والحيارى يرجون .. يرجون الهداية للجميع !

تفاءلوا مثنى .. فمقاومة الرشوة ، والقضاء عليها جاهز نظامها .. موجود سنته الدولة ، والأمل كبير أن يتم تطبيقه .. هو نظام ! من أين لك هذا ؟!!

إن نظام « من أين لك هذا ؟ » ليست بدعة ، وليس هو تقليدا لأحد فيه الا للدولة الآمنة المطمئنة .. آمن شعبها بها ، وما أحسن ، وما أكبر أن يأمن كل شعبها .. هو سنة الخليفة الراشد سيدنا أبى حفص الفاروق عمر بن الخطاب .. الامام العادل رضى الله تعالى عنه .. الذى حكم بنظام الاسلام ليعطينا الدرس كيف ساد نظام الاسلام .. ليمحو الكذبة أن الاسلام دين فقط .. سلطة روحية فقط . إنه دين ودولة ، وعمل ، وسيف .



حديث الجدات والعجائز

● يظهر أنني منذ زمن ما سمعت كلام العجائز .. لا لأني فقدتهم ، وإنما لأني بعيد عنهم نوعا ما !..

لكن العجائز من الرجال يظهر ـ مرة أخرى ـ أنهم تركوا كل شيء وانشغلوا بأنفسهم .. أما جداتنا فأكثر ثباتا على « الدقة القديمة » !!.

ـ قالت إحداهن لواحدة من البنات : « اعقلي يا بنت .. ترى المرعة ما تنفع !! » .

ـ قالت البنت :« ليه يا ستي .. أنا مروعة ؟!. » .

ـ قالت : « فيه أكثر من هادي مرعة .. تكسري كلامك زي ما تكسري أجفانك .. هوا لسانك اللي يتكلم ولا أجفانك ؟!! . المرعة ما تصلح .. ترى اللي يشوف بخته .. لا يسويها تحته !! » .

ضحك غيري حينما سمع ذلك حتى الفتاة ما بكت .. اعتبرته كلام جدة « مخرفة » وراحت تلعب الحبلة ، أو تتكلم في التليفون .. تسأل زميلتها سؤالا في الجبر .. اليوم البنات جدهن جد ، ولعبهن لعب !!.

لهذا .. النجاح أصبح ظاهرة فيهن .. أما أنا فحين سمعت كلام العجوز تذكرت بعضهن .. تعطي احداهن الفرصة لتفعل ما تجيد ، وهي تفعل ذلك وتجيد اذا ما بقيت على ما تحسن .. أما إن تخطت ذلك لتقلد غيرها .. إما برغبة في التفوق ، أو بدافع من الغيرة التي هي في المرأة أكثر .. فإن هذا يصبح « مرعة » أكثر !!

لتدع أن تكون ظهرة .. فإنها حينما تدع ذلك تصبح ظاهرة .. بالوقار .. بالاجادة .. بالسلوك المتزن !..

وذهبت استقرئ حالات أخرى .. وجدت الكثير لكني ما زلت في الكبير أعيش .. ذلك هو حكمة العجائز .. حكمة الجدات .. أما الرجل العجوز فأصبح خاوي الوفاض لأن « الدوشة » والقلق النهاري أضاعا منه حكمة الليل .. في « البلوت » حينا ، أو في أى شيء آخر ..

لقد سلمت جداتنا إلا من الجد .. فهن أشد صرامة ، وأشد ملاحظة للحكمة ..

إن الجدة فى البيت رحمة وصيانة .. لقد رحمت فتاتها حينما انتبهت الى أن « المرعة » ما ترعى .. « المرعة » ما هى صنعة .. يمكن تكون صرعة تتستر بها القرعة !!.

● بعد ظهر أمس رن جرس التليفون ، وجرى الكلام بين جدة وجدة ..

ـ قالت الطالبة للجدة في بيتنا : « من العائدين .. كل سنة وأنتم بخير !..» فأجابتها :

ـ « محرم خلص ، فبأي عيد ؟!.» قالت : « بابريل .. أنت لا تعرفين أن اليوم أول ابريل ؟!. » .

ـ قالت : « وما شأني بابريل ؟..» فأجابتها العجوز الطالبة التي تقلد أحفادها في تفاهات أول ابريل : « ألم يكذب عليك أحد اليوم ، أو لم تكذبي على أحد ؟!. » .

ـ قالت جدتنا : « الكذب حرام .. أعوذ بالله ، أتريدين أن اكذب تقليدا لغيرنا واتصرف بهذه الرقاعة ؟!. » .

ـ قالت لها : « ما هو ضحك ، أنا اليوم صحيت من النوم على التليفون وجدت فلانة تنادي : تعالي يا استيته أنا وجعانة جدا .. ماني قادرة اتكلم .. فأسرعت اليها فاذا هي تضحك .. كذبة ابريل !. » .

هذه المحادثة التليفونية جرت حقا بين جدتين .. لم أتزيد فيها ، لكن المفجع أن تأتي كذبة ليس فيها مثل هذه الدعابة .. كذبة مفجعة تصيب بالصدمة العصبية ، أو بالشلل ، أو بالاغماء ، أو بالنكد المفزع ، فمن الظلم أن نكذب هكذا ..

سمعت ما وقع للأخ « يوسف شابو » .. ناداه أحدهم بالتليفون وقال له :

« الاتوبيس العائد للمدرسة اصطدم ، واتكسروا البنات ، وقالوا إن بناتك نقلوهم الى المستشفى !..» فصعق الأب يوسف شابو ، وصعقت الأم ، واغمي على الجدة ، وخرج

الأب والأم لا يعرفان طريقهما .. يطرقان أبواب المستشفيات يسألان عن الأتوبيس المصطدم والبنات .. لم يجدا شيئا ، فاطمأنا قليلا ، وذهبا الى المدرسة ، فوجدا البنات في خير ونعمة .. ولم ينته الحادث بعد . أحدث عقابيله السيئة من ردود الفعل في نفسيهما ، ومن فعل الفعل في جدتهم .. أخذوها الى المستشفى يعالجون اغماءها !..

أهذا يليق ؟!. لو كنت مكان الأخ يوسف شابو لسألت عن هؤلاء الرقعاء وتقدمت بشكوى الى الإمارة ليأخذوا جزاء ما صنعوا .. وسألني أحدهم : « هل تجازي الحكومة من يفعل ذلك ؟..» قلت : « لقد دفع الجزاء عمر على نفسه من نفسه حينما فعل ما هو حق .. لكن الرحمة فيه جعلته يدفع الجزاء » عمر أمير المؤمنين حاكم دعا امرأة لقضية لكنها روعت بدعوته فأجهضت فلما سمع عمر سأل اصحابه : « لقد دعوتها ، فروعت فأجهضت فهل أنا قتلت جنينها ؟.» قال الكثرة من الصحابة : « لا .. ليس عليك شيء .. إنما انت حاكم دعوت امرأة في قضية » ، وكان على كرم الله وجهه حاضرا لم يتكلم ، فسأله عمر : ما تقول يا أبا الحسن ؟. قال : « أنت روعتها فقتلته » .

●وجلست اليّ افسر لها حلما رأته . كانت جدة قد وصلت الي سن اليأس .

ـ قالت : « رأيت في المنام موسى .. سألت من هذا ؟ قالوا : موسى عليه السلام فارتعدت هيبة واجلالا لاسم نبى وصوت نبي » .

ـ قلت : « هذا خير .. كنت كاربة في ضيق وشدة ، وهذا فرج لها .. فموسى كان فارج الكرب عن قومه » .. فارتاحت وطفح سرور على أسرتها .

وتذكرت لتقول : « وقبلها رأيتني مع الناس وهم يقولون لي : أنت مكروبة ، حبلى ، ستلدين » .. وكنت أقول لهم : « لست حاملا ، لا أشعر بحركة الجنين » ، فما صدقوا وأصروا على أني حامل .. ثم رأيتني نفساء ..

ـ قلت : « لماذا لا تسلكي السرد الزمني ؟ » .

ـ « هذه مفسرة لرؤيتك موسي .. فالنفاس فرج ، ما تأكد بولادة الطفل . فأكدته رؤيتك لموسى » .

ـ « أبشري فسيأتي اليك الفرج تسرين به وتحملين معه ثقلا .. فموسى حمل قومه أثقالا

وإن كان فرجا عليهم .. والطفل يحملك أثقالا وإن كان فرجا لك .. لكنها أثقال مسؤولية وتبعات تحملينها في سبيل ولد أو زوج أو قريب » .

ورضيت فرحة بهذا ..

فهل عند مفسر الرؤيا خبر يصدق به تفسيري أم لا ؟..

قد يقرأ واحد لا يصدق الحلم والرؤيا فهذا لا شأن لنا به ..

ولكنا من المؤمنين بصحة الرؤيا ، لقد جاء مصداق ذلك في القرآن والسنة ..

حتى صاحبهم فرويد لم ينكر ذلك وإن جاء يعلل .. ليكن ما يقوله صحيحا في اجترار المختزن في الشعور الخفي .. وليكن ما يقوله صحيحا في الأحلام العضوية .. لكن الصحة في عقيدتنا عن الأحلام الروحية في كشف الروح من صفاء الروح ..

هذا هو ما نصدق وما نؤمن به ..

فكم رأى اناس فصدقوا الرؤيا ، شيء واقع لا ينكره إلا من فاته صفاء النفس .

● صورة في حكاية ترويها لنا جداتنا حينا ، وأشياخنا حينا آخر .. نتعلم منها حرصهم على صون ما ورثوا ، ونصحهم للذين ورثوا ..

أشياخنا في القصيم يقصون علينا هذه الحكاية :

قالوا : إن رجلا أتاه الله صحة في الجسم ، وكفاءة في العمل ، وارادة للعمل .. يملك مزرعة في كل عام يزيد فيها وينميها .. قدم لها كل فنه وعلمه ، وماله ، فنمت وامرعت وافرعت ، وأثمرت ، وانبتت من كل زوج بهيج ، وكان يعشق النخلة كأي عربي يحب عماته النخل ، وفي أواخر عمره خاف على مزرعته اهمال الأبناء ينصرفون عنها .. إما باسراف يضيع ، أو بكسل يميت !. ففكر في موعظة يعظ بها أبناءه .. لكن المواجهة بما يريد صعبة لأنها لا تفيد ، فاحتال عليهم .. قال لهم :

- « هذه المزرعة نامية ، وفيها خير كثير ، وهي لا تحتاج الى جهد كبير ، وقد زرعت لكم بين كل نخلتين أثمرتا وكبرتا نخلة تحل محل السحوق التي تسقطها الريح ، وتعرفون حبي للنخل ، وقد دفنت تحت نخلة من هذا النخيل « الزلعة » وفيها كل ما أملك .. ريالات

برم ، ومجايدة ، وفرانسا وذهب مسكوفي ، وبنتو ، وجورج أيمن ، وأبو فرج الله .. كلها في الزلعة ، فاذا تواريت في قبري احفروا تحت هذه النخلة التي لا اعينها لكم ، واقتسموا المال .. » .

وعاش مدة ، وهم يفكرون أين النخلة التى تحتها الزلعة ؟!.

كان يعرف تفكيرهم ، فيذهب الى نخلة بعيدة .. يقف عندها يوما ، والى نخلة أخرى ، والى نخلة أخرى ليبعثر التحديد عليهم ..

وتوفاه الله ، ونزلوا الى المزرعة ، وأمسكوا بالمساحي ، والفواريع ، والمناجل يحفرون الأرض .. يكسرون الصخر .. يزيلون الأوساخ .. حفروا تحت كل نخلة .. يعني جددوا التربة .. حفروا كل النخل .. لم يجدوا الزلعة .. تعبوا أياما ، وشهورا ، ولكن النخل أفلح ، وأمرع ، وزاد حسنا من خدمة التربة التي لم يقصدوها ، وجاءهم جارهم ، وكان شيخا كبيرا يعرف السر .. قال لهم : « هل وجدتم الكنز ؟!.. » « قالوا : ما وجدنا شيئا .. أبونا أضاع الكنز .. حفرنا تحت كل النخل لم نجد شيئا !..» قال : « يا هؤلاء .. لقد وجدتم الكنز .. إنه في أيديكم .. أليست هذه الفلاحة للمزرعة ، وخدمة التربة بهذه الحفريات قد أحسنت الى المزرعة ، وجعلتكم تألفون خدمة النبات ؟.. هذا هو الكنز الذي أراده أبوكم .. أراد منكم أن تفلحوا الأرض ..».

● رب كلمة قالت لصاحبها : دعنى !

وضربوا لذلك مثلا .. جعلوا منه حكاية . تحكيها عجوز من كثرة ما تحمل أصبحت تتخفف بسرد الحكايات .

وهكذا الفراغ والسأم يصنعان قاتلها .. مع أنهما ما دخلا نفسا إلا أرادا قتلها .

فقاتل الفراغ والسأم هو المشغلة بشيء .. أى شيء فالعجوز مثلا لا تعرف القراءة ، ولا تقدر على عمل اليد . فالمخرج هو فى عمل اللسان ، فى حكايات . تجمع دنيا حافلة بمسرة من هؤلاء الأحفاد ، تسمع منهم وهى تحكى .. آه .. أيوه .. كمان .. كل تأمينة ، كل استزادة شحنة قوية تقوى بها نفس العجوز فلا يبقى لديها فراغ . ولا يبقى فى نفسها سأم ، أو قلق أو كآبة .

والفراغ باعث الجنون ألاّ يقصيه ، فإن عز العمل لطرده ، أو الكلام لقتله فهناك أحلام اليقظة (!!) فقد تكون وسوسة ، همسات النفس لذاتها . لكنها على خفيف فهى طاردة الجنون .

إن أحلام اليقظة قصور فى الهواء . وثروة من سراب . لكنها تقضى على أوجاع الحسرة واليأس .

سرحة النفس والخاطر فى الأمانى تطرد الوجعات .

ـ قالت العجوز :

كان الفلاح يثنى على حمار وثور .. يسقى نخيلات .. غير ان الحمار الذى يثنى عليه يزيده كربا بعمل خارج « المجار » ، السماد ، الماء للشرب ، الحجارة ، فشكى إلى الثور حاله . فاشفق عليه الثور ، وقال كلمة :

ـ قال : « تمارض . لا تأكل فإن صاحبك يخشى عليك الهلكة فتستريح أياما » .

وسمع صاحبهما الكلام ، فالعجوز تفترض أن صاحب الحمار فهامة للغة الحيوانات .

فجاء وشد على الثور عربته ، وجره يعمل بدلا من الحمار ، فنهق الحمار شامتا فى الثور .

فخار الثور بصمت يعترف لمالكه ويعتذر له ، فعفا عنه وجر الحمار على قفاه يشغله مضاعفا جزاء له .

وهكذا ، كلمة قالت لصاحبها : دعنى . لهفة الشماتة ، أعادت الأحمق إلى الارهاق .

● وحكايات العجائز من جداتنا تبدو وكأنها من لوازم (كلمة ونص) نعود اليها ضربا لمثل نذكره ونبصره . لعله إن لم يطبق الفعل ، أو لم يأت على المجز يصل الى حد الاشارة تغنى عن العبارة .

ـ قالوا .. إن رجلا أعوزته الحيلة فى بلدة ، ففتق له ذكاؤه أن يهجر أرضه الى بلدة مجاورة فيها أناس يمكن التفاهم معهم أو استغلالهم .

واتخذ سمة الدرويش ، فوثق به كثيرون .. هذا يضع عنده أمانة ، وهذا يأخذ النصح منه .. الأمانات ترد والنصح يفيد . عملية الذكاء وعن خط مرسوم .. عشرات تعاملوا معه فما

انكروا عليه شيئا !

وحان الوقت ليستغل السمعة الحسنة غرست له فى مهجره . فأخذ يتربص ، يتحين فرصة حتى واتته على يد رجل جاءه يحمل كيسا فيه ألف دينار . يضعها أمانة عند الدرويش ! فأخذها منه . وأحضروا له سجلا يقيد فيه الأمانة ، ومضى يكتب وهو لا يكتب . يصور لصاحب الأمانة أنه حريص بينما هو لم يضع رقما أو حرفا على القرطاس .

وعاد الرجل يبغى أمانته ، ففتش الدرويش الدفتر فلم يجد فيه شيئا لأنه لم يكتب فيه شيئا . فأغلظ الدرويش القول لرجل يطلب ما ليس عنده !

وذهب صاحب الأمانة يعض ناجزيه . يأكل أصابعه ، ويشكو لطوب الأرض .

وسمعت سيدة كريمة قصته فأرسلت اليه تقول له : « اسمع إنى ذاهبة الى الدرويش فاتبعنى . ولا تمكث دقائق بعد أن أدخل إلا وأنت داخل تطلبه الأمانة . فإنه فى الحال يعطيها لك . ولا تسأل عن السبب !» .

وحزمت أمرها على صندوق جواهرها ـ تذهب الى الدرويش ، ومعها تمشى وراءها جارية معلمة ـ علمتها ماذا تصنع حين تكون هناك .

ودخلت عليه . تقول له : « إنى إمرأة وحيدة . بعلى مسافر ، وخشيت أن تسرق جواهرى . لهذا أضعها أمانة عندك .» وبسطت الجواهر ليعدها الدرويش . ليسجلها فى السجل . وبينما هما كذلك دخل صاحب الألف يسأل أن يعطى أمانته . فالتفت الدرويش يوازن بين الألف والآلاف . ففتح جرابه ونقد الألف لصاحبها .

ولم يكد يخرج بألفه حتى دخلت الجارية تقول : « ستى .. ستى .. ستى .. سيدى جاء » ولها صوت له رنين الذهب من الفرحة المعلمة للصناع .

ونهضت السيدة تلم جواهرها . تضعها فى صندوقها شاكرة الدرويش ونظر اليها نظرة حسير كسير . ونظرت اليه نظرة فاحصة . كأنما هى تقول له : « فى حارة العرج وتعرج ؟ » .

وجمع الدرويش أثوابه وركب حماره يذهب الى مكان ليس فيه إمرأة ذكية .

وهكذا جداتنا يحكين ، ولعل الحكاية تصل الى مضربها بذكاء الفاهمين أو غباء المتغافلين .

● وعن الموت والكفن والشباب والعجائز ، نحاول أن نبرز خطرات نفس أو هو الحوار مع نفس أخرى .

ـ قالت لى عجوز عندنا : « خذ هذه الريالات البيض من الفضة خزنتها فى صرة ، أيام كان المجيدى والبشلك والريال ، وصرفتها سعودية .. احفظها ليومها وهذا يومها ..

خذها اشترى لى كفنا وحنوطا وليفا وصابونا والباقى تصدق به بعد اعطاء وارثى الوحيد ما يستحقه من ارث ! هذا ولد لا تعرفه ولد قبل أن تكون ، وهو بعيد عنى حيث يكون ، لا أدرى أين هو ؟ لعله حي .. لعله ميت . فحقه يحفظ له » .

ـ وقلت لها : « حساب طويل .. لماذا الكفن من البفتة أو الحرير ومعه القطن ؟ لقد كان مصعب بن عمير شهد أحدا فى ثوبه ، وقد كانوا إذا غطوا رأسه انكشفت رجلاه ، وإن غطوا رجليه انكشف رأسه فأمر النبى عليه الصلاة والسلام أن يغطوا رأسه بالثوب ورجليه بالاذخر » .

ـ قالت : « تلك منزلة .. وهذه حيطة .. ولا فرق إلا فى حسن الختام .. رضى الله عن مصعب وأسأل الله الرحمة لى ولك » .

وأخذت أذكر أن الشبان يطردون التفكير فى الموت وهم الأقربون إليه من هوجهم .. من سرعتهم .. من عدم مبالاتهم .. كان طرد التفكير فيه .. يعنى نسيانه .. فلولا نسيانهم الموت لما غامروا بهذا النشاط .

والشيوخ الكبار فى السن أكثر تفكيرا فى الموت لا يطردون ذكره . فهم بتذكره أكثر تباعدا عنه ، بالتعقل والمشى على العكاز والدواء والعلاج والنزهة والراحة . هم الذاكرون له .. المبتعدون عنه .. كأنما التذكر له قربى ، فكر ونفس ويقين ، والتباعد عمل العقل والرزانة .

ولا هؤلاء ولا أولئك بالناجين من الموت .. حال يلابس بعض النفوس .. وحال يلامس الآخرين .. كجدتنا هذه ، والعجوز تخزن ريال الكفن ، وكفتانا ذلك السابح فى أبحر « وكم فاطر شربت بجلد حوار » .

● الجدات يعلمن البنات شيئا ليس فى كتب التدبير المنزلى !..

وحملت البنت الحفيدة ـ وقد كانت عروسا ـ الدلة تصب القهوة ، فذاقتها الجدة .. ثم نظرت إلى البنت ، وقامت إلى موقد النار لم يكن « وجاقا » ناره حطب .. وإنما كان « بوتوجاز » .

يا خسارة !.. القهوة ما تصلح إلا على وهج الحطب ، أو على الجمر !.. لكن ما باليد حيلة ..

وأسرعت البنت تريد أن ترى ماذا تصنع الجدة !.

ـ وقالت الجدة : « تعالى .. ما أحببت التكلم أمام العريس خصوصا أن أمه جالسة معانا .. ما شفتها حين ذاقت القهوة مدت بوزها » .

ـ « ايش بها القهوة ؟ انا طبختها وأصلحتها مثل ما تعلمت منك !» .

ـ قالت الجدة : « هات الدلة اشوفها .. الدلة يا بنتى طرشت .. صارت طرشة .. يعنى ما تتجاوب مع البن والهيل .. ينبغى أن تعرفى أن البن مثل الشاى يريد التجاوب . سريع الالتقاط لروائح جيدة ، أو روائح كريهة .. » .

ـ « الدلة تصير طرشة من الاهمال والركنة !.. » .

ـ « هيا خذيها .. فوريها أولا بماء وملح .. وثانيا فوريها بماء وقرنفل تنظف من أى رائحة زنخة » .

ـ « وثالثا أتركى الحثل فيها . فالقهوة تطيب القهوة .. اذا أبقيت الحثل فى القهوة ، تسمعك الدلة ، لأنها تطرد أى رائحة تعلق بالدلة » .

وجاءت الجدة . فسألتها أم العريس : « هيه علمتيها كيف تسمع الدلة ؟ » .

فقالت الجدة « سامعه .. يا فاغيه .. ترى الحيطان لها آذان .. أسمعى كلام ستك .. اهى عرفت عيب القهوة !..» .

ـ وقال العريس : « الدهن فى العتاقى . علميها يا ستى . علميها تشرب قهوة . وتصنع قهوة » .

ـ قالت أمه : « وليه ما علمتها أنت .. أنا ما علمتك الكثير من شغل البيت حتى لا

تغلبك العروسه » .

ـ قال العريس : « حلو على قلبى أن تغلبنى الفاغية فى شغل البيت . وأنا أغلبها فى شغل السوق .. البيت ستر وغطاء علينا .. كبب وليس يطلع كويس ! » .

وتهامست الجدتان .. « أهو نحن أدينا ما علينا . ربنا يهنيهم ببعض .. متى تبغين نتم الزفاف ؟ » .

زفاف ريم على أحمد !

ـ قالت : « لما تمصعى اذن احمد .. ويقول هاتوا عروستى ..» .

ثم قالت ام ريم لأم أحمد : « أهو اخوان وسلائف واختان وسلفتان ؟!» .

● ونسى بكاء جدته ، تركها تحضر ثوبه فقد سلم الثوب يصنع من قماش يصبغونه بلون « الكميت » وقد لا يشتريه بلونه المصنوع قبل نسجه . فيتخذ المصبوغ بالعرعر . فهوأقل ثمنا وأشد تحملا لغبار الحوش المشبع بدهن الأباعر ، وجلة البقر ، أو روثها .

وذهب يلعب مع صبيان الحوش « جزى ، ومطلق ، وبادى !! وتوقف اللاعبون يسمعون دق النقرزان » .

لقد رجعوا غالبين .. هذه أهازيج النصر .. الباشا سيعطى قائد الجلك نيشانا ، ويزيده رتبة والشواويش يرفعون الى أومباشية !!.

وذهب « ينطح » الرجال .. منهم من ذهب الى حوش الباشا فى أول الساحة ، ومنهم من ذهب الى زقاق الطيار .. أما القائد « سيف » وخال الفتى وزميله « صالح القرفلى » فقد رجعوا الى حوشهم .. حوش خميس ..

واجتمع الرجال فى بيت جدته ، ينثرون الغنائم .. كل واحد يباهى بمغنمه ونحن الصغار .. نقول : الحذبة الحذبة . ويقولون أبشر بالعطية !! وأخرج أحد الرجال خاتما يلمع بفص . ولم يكن خاتما هذا الذى نظروه فى يده ! ماذا كان ؟.

كان اصبع أنثى .. قطعه لأن الخاتم استعصى عليه .. فقطع الاصبع يلتصق فيه الخاتم ..

وصرخت الجدة ، تبصق عليه ، وتقول : « إنها ام ، إنها أخت ، إنها منى ومنك .. كيف أطقت أن تفعل ؟ أتركتها تموت ؟ قتلتها ؟ ».

ولم يسمع .. فقد كان الخاتم لماعا مغريا .. فخرج به .. يلتفت الى خال الفتى .. « أمك خرفت .. لقد كان هؤلاء الآلهة فى قيادة الذين جلونا من أرضنا . وحرقوا زرعنا .. وقتلوا ما فى القصيم وفى كل الربوع » وذهب يعرض الخاتم على صائغ .. فقال الصائغ : « هذا الخاتم مسروق .. قطعت اصبعها فسرقته » فقال : « لا .. لا .. هذا كسب !!.»

وصرخ الصائغ : « هذا أنا صنعته وبعته قبل يومين لها ، أنها بنت الفلانية كانت عروسا يوم اشترته !! أتعرف كم يساوى ؟.» قال « خمسة عشر ريالا مجيديا .. القيمة للفص .. هل تشتريه ؟..» « لا .. لا .. أشترى نكد العيش .. لو رأيتها بثوبها البناوى لقتلت خنجرك قبل أن تقطع إصبعها .. اذهب يا قاتل دمك ، ومهلك الجمال !!» .

وذهب بالخاتم ، يكسره بين حجرين : ليذهب الاصبع .. ورمى الاصبع فى الطريق . وكان الطفل يتبعه . فأخذ الطفل الاصبع يدفنه فى التراب . كأنه غراب هابيل يوارى سواة قابيل .

لكن الطفل قد وارى سواة هابيل هذه المرة .



المـرأة

● شيء يشرح الصدر ، ويتنفس به النفس الأمل والمرحب ، حتى ليشعر الناظر اليه بأنه يقتل اليأس بحياة الأمل !!

لقد افتتح بعد عصر أمس سمو الأمير مشعل بن عبد العزيز معرضا شاملا فى دار الحنان ، جمع جهد الفتاة ، نماذج من الفن والزخرف والديكور والصناعة لما يؤكل ، والصناعة لما هو نموذج لآلة ..

فرأيت الناس الزائرين المدعوين يلتفون حول كل معروض ، يلتفتون الى نوعه وكمه وجماله ، غير أن بعضهم التفت الى عملية التقدم بتشجيع هؤلاء ، وبالأصح « أولئكن » البنات .

تقرأ الدرس عملا لفكر ، تغذية لذهن ، اثارة لوجدان ، وتعمل باليد حركة اليقظة لذاكرة اللمس ، وداعية التمسك بما تصنعه صغيرا اليوم لتصنعه كبيرا غدا ..

يقظة فى فكر البنت ، الزوج ، الأم ، المعلمة ، وسلطان فى يدها تعرف به كيف تمسك بالآلة .. مطرقة ، مقصا ، منشارا ، فرشاة ، مقلاة ، فرنا .. تصلح نافذة ، تدهن جدارا ، تزركش غطاء ، تقدم على المائدة ما تستغنى به عن المعلبات ، تخيط لبنتها غدا الحلو الجميل الفرحة .

الآلة ، كل الآلة فى يد الفتاة معناه توفير المال .. وحياة الإنسان فى فراغ يقتل لو لم يعمل الإنسان عملا نافعا فيه ..

الابرة .. حياة ، كانت تعطى ثروة أيام زمان حينما كان البنات يشتغلن اللف ، النسلة ، المنيباري ، طواقى السيم ، البراقع ، حلية الملاءة ، والبرقع ..

ليس هو الجديد عمل البنت ، كل الجديد أنه يتطور ، بالأمس كانت دابغة جلد ، خارزة غرب ، فاتلة زمام وارشية ، ناسجة من الشعر الزولية والشملة وبث الشعر ، والصفتة والخرج وحلية الشداد ..

صانعة الجبن والمغبر ، هى صانعة الكيك والبسكويت ، والتريكو ..

احيى دار الحنان فى شخص ناظرتها ومعلماتها ..

والتحية من قبل ومن بعد لراعيتها ، التى لم تأل جهدا الا وبذلته حماها الله بقدر ما صنعت وحمت للبنات العلم والصناعة اليدوية ..

إن دار الحنان اعطتنا الفتاة التى سلكت طريقها الى مراحل أكبر فى العلم والمعرفة .

كل الذين يرعون بيت العلم ، إنما هم فى رعاية من رحمة الله ، فالراحمون يرحمهم الله ، ولا شيء خير من رحمة الفتى والفتاة بنور العلم الهادي الى خير ، العامل بايمان ، الخادم ترائه وتاريخه ووطنه .

● وكانوا ثلاثة فى « كفتيريا » .. الفندق الكبير يغص بالسواح والمستريحين والفضوليين والطامعين والحيارى ، فصادق ذلك الكاتب ، سمى الحياة فندقا كبيرا .

تصور المدينة وشوارعها الغاصة بالرجال والأطفال والنساء ، تعرف الفندق بانه دنيا أخرى تعيش فى مدينة .

وطلبوا مشروبهم المفضل .. شاى بالليمون ، فالوقت عصر ، وهم يشربون الليمون بعد العصر !!

هم أحمد ومحمد والياس

وجاءت تضع الشيء تحمله فى يدها على الطاولة الشاى وبطاقة الحساب !!

أما الشيء الثالث الذى تواضعت فى صناعته توا ، لا تأخير فيه فاحساس بها . نحوها بالاحترام المشوب باللهفة .. فلا جمال يبهر فى تقاسيم ، ولا فتنة تقهر فى لفتة باهرة ، ولا تبذل فى حركة مفتعلة هامدة .. تتكسر بها الأنثى .. وإنما هو منها فيها الآخذ بكل ما هو أصيل منسق متسق فى قوامها وقيامها ومقامها .

ـ وهنا قال أحمد : ماذا فيها ؟

ـ فقال الياس : السؤال ليس هو ماذا فيها ؟ وإنما هو ماذا به .. ليكون الجواب هى فيه .. حلت وما تخلت !!

واسترد أحمد أنفاسه الباهتة اللاهثة من سعير بارد ليتوقد فى حرارة ما تنفعل به نفسه ، فما كان يستروح كلمة سمعها حتى قال أحمد : معذور هو .. أهى لسعة عارضة ؟ ام دفعة لا مفر منها ولا خلاص ؟

ـ وقال محمد : أتحسبنى مثلك اشوى القطة المتمرة .. كأنها من أولاد « ..... » .. إنك تأكلها وهى تنهش عينيك بسعار السبع .. إنها يا أحمد شرسة الجسد ، غائمة المنظر ، نائمة الطموح ، تخربشك بصحوتها العارمة ، تأكل بها عاطفة كنت تسمو بها الى فوق .. لتأكل أنت منها نزوة ساقطة الى تحت .. أما « ل . ق » فشىء سمح مرح .. فلا تلمنى .

ـ وقال أحمد : أتريدنى أترك الشحم واللحم الى هيكل من عظم ؟

ـ قلت : لقد نزعت الى عرق .. فانت تمشى بقهر الوراثة .. فلا أريد أن أتافرق مثلك .. فخذ أكلة « المغلط » و « المفتقة » و « لوزة » البقرة ، والفطير المشلتت المعجون بشحم « اللية » .

● **فوزيه أبو خالد ؟!.. فوزيه أبو خالد ؟!..**

فتاة أعرفها من خلال ما تكتب إليَّ حينما استطلعت رأيي قبل ثلاثة أعوام .. معرفتى بها عن طريق القرطاس ، والقلم .. عن طريق التليفون ، وليست هى معرفة رؤية ، وإن كنت أنا كأبيها .. هى قالت : أنا جدها .. لعل صغرى حفيداتى ـ وهى زميلة لها فى المدرسة ـ فى مثل سنها .. أبوها من العارض .. من اليمامة المشمخرة .. أمها من مكة .. ومن الوادى .. كأنما اليمامة قد عانقت خندمة وقعيقعان ..

دعونى لأقسم بأن أرضكم ، وجبالكم تعشق بعضها .. تحن إلى بعضها أكثر من حنينكم .. لأنها تعرف أن كل هذا الثرى تراب واحد ، ولكنكم لا تعرفونه !

تكلمت معها بالتليفون .. قلت لها : أنت أحضرت فى ذهنى ذلك النجدى ـ الحجازى ..

فارس بنى هلال.. أبوه من نجد ، وأمه خضرة الشريفة من مكة .. قاتل الله من يفرق هذا التراب .. من يبعثر هذا التراب !

أكتب عنها اليوم .. لأن بعض « الأغيلمة » من سفهاء الأحلام يحسبون أنها لا تكتب لنفسها ، وإنما يكتب لها غيرها ، وهذا كذب .. فسوق فى الرأي من فسوق فى النفوس ، وحتى الأنثى أختها تكتب عن ذلك ؟.. تكنى .. وترمز .. إن هذه ـ وأعنى أختها ـ كاتبة اليوم ، ولكنها قبل أعوام لم تجرؤ أن تنشر شيئا حتى جعلت بعض كاتبينا السفراء يعطونها جواز المرور لأن تنشر .. فهل هم حين فعلوا ذلك كتبوا لها ؟!!!

عيب .. فوزية تكتب لنفسها .. أعرف هذا قبل سنوات .. دفعت بعضه الى « البلاد » فنشر .. دعونا ـ يا سفهاء الأحلام .. يا عجائز الأفراح .. من الكلام الفارغ .. إن هذه الفتاة ينبغى أن نحترمها .. نعطيها الفرصة .. فمن العيب أن نضع الغصص فى طريق هذا النشء .. هذه البراعم !

تحيتى لفوزيه أبو خالد .. ولا عتب لى إلا على أختها التى كنت اجيرها أن تكون مثل غيرها !!

● صورة :

* لا يعيب المرأة أن تفضح معايب رجل لأن فى هذا انقاذا لغيرها .. ولا تستطيع المرأة أن تصدق نفسها لتعيب أختها .. لأنها تخاف أن يرجع إليها العيب !

ويعيب الرجل أن يفضح معايب امرأة لأنه فى هذا فضح لأخلاقه ، وسلوكه قبل أن يكون بيانا عن أخلاقها !!

* طفولة أن نصف النملة بالجنون .. فالنمل يتمتع بادراك عاقل .. لا يعقله إلا حكيم ذكى ، ولا تسمعه إلا أذن نبى !!

* المجنون العاقل .. هو الذى يرى كل الناس عقلان لا مجانين ، والعاقل المجنون هو الذى يرى كل الناس مجانين فى أثواب العقلاء .. ثم يرى نفسه العاقل الوحيد !!

● حينما أذهب الى البيت يكون طريقى من شارع أبو عبيدة .. فى هذا الشارع مدرسة للبنات ، لم التفت اليها حتى أعرف اسمها .. لكن الذى لفتنى اليها فشرح صدرى رؤيتى للطالبات وهن خارجات منها فى حشمة ووقار .. كل منهن أدلت جلاليبها عليها ساترة .. وأجمل ما فى الستر الوقار فى الشارع من وقارهن .. أظهر هذا كله أنهن المشاءات .. لا أتوبيس ولا « أتوموبيل » .

وفرحت .. وقرأت « قل أعوذ برب الفلق .. » أكملت الصورة كأنما هى الرقية أتقى بها فحيح الحسد .

والأنثى كل الأنثى فى هذه الفتاة تتعلم .. تعطينا معنى القوة فيه .. كل القوة لنا .. سيدة بيت كأم تربى أولادها .. معلمة ، كاتبة ، شاعرة وطاهرة .

وتذكرت قيمة ما تعطيه فتاة .. تكتب لنا كلمة فى جريدة .. أى جريدة سواء كانت وعلى سبيل المثال عكاظ أو اليامة أو الرياض أو الندوة .. إنها تعطينا الاحترام لها ، صاحبة رأي تبديه ، والاقتداء بها اقتداء يحملها هى على أن تكون قدوة فى مسلكها .. هناك عطاء كبير تجعلنى لا أفتح صفحات الأدب لأقفله على الأسماء اللامعة فى تاريخ أمتى ، الخنساء رضى الله عنها ، ليلى الأخيلية ، ولادة ، ملك ناصف ، عائشه تيمور وحتى إذا أغلقت لا يجعلنى ألتفت الى الأسماء المعاصرة حملة الدكتوراة من كرائم بناتنا فى أمتنا العربية .. وإنما بنات بلدى .

إنى أول ما أقرأ فى صحفنا لأغذى عاطفة الأبوة .. ولأنمى أفراح القلب لا أقرأ إلا هذه الكلمات للكاتبات من بناتنا .

وهناك .. ما الفرق بين أدب الأنثى وأدب الرجل ؟..

لا فرق .. كله أدب .. لو نشرت مقالا لفتاة دون توقيع لما عرفت أنه لأنثى .. ولو نشرت قصيدة كذلك .. ولو كتبت أنت مقالا واستعرت توقيع فتاة لما رجع اليك ، كان هذا رأيي .

وقد زدت ثباتا عليه بهذا التأييد .. سمعته من الدكتورة سهير القلماوى قالت : لا فرق بين أدب المرأة والرجل .. الفرق كل الفرق هو الامضاء تحت ما ينشر .

أعجبني رأى الدكتورة .. وقد كان رأيي .. ولعله رأي النابغة الذبيانى فى خناس قاله لها

يوما فى عكاظ وقد أنشدته شعرها : لولا أن الأعشى سبقك لفضلتك على شعراء هذا الموسم .

وأخيرا فما دمنا أنا علمناها .. ينبغى أن نتعلم منها فلندعها تكتب ، كل ما نرجوه أن يكون ما يكتب التزاما بما تعتقده .. ولزاما بما يصلح لنا .

لا خوف فالمرأة حريصة على أن تكون السيدة فى الثناء عليها . كما هى الزوجة فى السكينة إليها .. كما هى الأم فى الرحمة منها ، اقرأوا لهن ليكون فى عملكم المدد لهن عدة واستعدادا .. فان كنتم الأغنياء عن المدد منهن فانكم فى حاجة الى الامتداد لهن ليكون المدد منهن سعادة بيت .. رقي مجتمع .. حضارة أمة .. ارتفاع أدب .. أى أن المدد منهن لكم نفحات غير مباشرة .. أما منكم فهو النفع المباشر .



حوار

حـــوار

● الأصيل تعطل اليوم .. أخرج في لحظاته أرى كما قالوا : ذهب الأصيل على لجين الماء .

لم أجد هذا الأصيل .. كأنما الشمس قد تبرقعت بالحياء .. من هذه المزنة .. هتانة على جدة فأصبح لجين الماء .. قد أذاب ذهب الأصيل .

كان عصرا من أيام الجنان .. لا هو بالمظلم المعتم ولا هو بالصاحى الوضوح !!

كانت مزنة في السماء .. أشرقت بها فرحات في القلوب .. كأنما النعيم قد توخانا وما تخطانا نعيم نحسه على أجسامنا من روح في وجداننا .. واستراحة لعضلاتنا .. وأمـل في نور الربيع ، من نور اللجين على ذهب الأصيل .

هتانة فتانة .. أنعشت شابا كان بجانبى .. كاد يطير .. قلت : تطير يا عروس الندى لتترك أرملة القدر ؟!

لم يعد صاحبك أرملة .. فإن العشق زوج لا يموت .. بعيد هذا العاشق عن الترمل والثكل واليتم .. لأنه كل يوم في حياة .

وسألنى : أحينا سألت فنانا .. أن ينغم بالعشاق .. كنت تستمطر المزنة ؟!

ـ قلت له : أوتشك ان تلبائية العاشقين .. ما هي الا واقعية المزنة ؟!

ـ قال : وما هو العشاق ؟

ـ قلت له : نغم لا أغنيه .. وإنما اتغنى به .. لعلك تعرفه كضارب عود أكثر من معرفتى كضارب قلم .

ـ قال : أعرف فقد أنكر عليك بعضهم أن تذكره هكذا دون معرفة ؟!

ـ قلت له : قد اكون عرفت اسمه بالسماع .. وما اتقنت رسمه بالتسمع قارئا لما في

الكتاب عنه أتحب أن تعرفه كسطر من ثقافة ؟!

خذه .. هو قسمان : العشاق المصري من مقام « الدوكاه » والعشاق التركي .. من مقام « البيات » فلئن كان محمد عبد الوهاب سيد من غنى « بالبيات » فإن أم كلثوم هى الصوت الذي أحسن « للسيكا » بما لم يحسنها أحد مثلها .

ولا زلنا نغنى للسماء .. تسقى العطاش الذين عرفوا عشقهم لأرضهم فلم يرضهم أن يعقوا .. ولو اسقاهم حينا جدب .. لكنه غنى النفوس بالحب للتراب .. جعل من بيت الشعر القوة والمدد والعدد .

وتركني الشاب .. ذهب ليطير .. ولم أذهب لأقعد .. فلا زال قلبى يطير حواليه .. يتلو عليه آية تحفظه ليغنم وينعم بالمزن الهتون .

● تلفون .. تلفون ..

« الو .. الو .. مين أنت ؟؟ » .

ولم يفصح عن اسمه ، إنما قال :

« يعنى يا أستاذ مشتهي تسوي مدير مستشفي ؟ اهو !! ما بقى إلا هذه ؟؟. عاوز تنافق وتداهن علشان الفترتين ، تقوم تفتح دهليز ، تدهلز به هكذا ؟!!.»

ـ قلت له : « الجواب حاضر ، بس أولا قل لي : اسمك ايه ؟؟»

ـ قال : « ما فيش لزوم وما أريد جوابا .. يعني راح تقول ايه ، ولا ايه ؟؟.»

وأرخى السماعة بشيء من الغضب ، على طريقة المراهقين حينما يعاكسون في التلفونات !!

وضحكت لأنشد هذا الشطر من شعر أستاذنا التونسي محمد عبد القادر الكيلاني .. ابن خلدوننا :

« تسعى لهم وهمو عليك شقاق » .

يا أيها المراهق المدلع ، إني اعرف : أن طالب الوظيفة لا يوظف !!

بقى أن تعرف أنت ومن إليك ، أن شر أيامي واردأها تلك الأيام التى كنت فيها موظفا عبدا . وجهلت بسببها الكثير ، وتعلمت منها ما جعلني أشفق على الفكر أن يوظف .

يضيع وراء خشب ، ويذوب زمانه في تقليب الأوراق روتينيا ، يشرح بما يلزم ، أو ينفذ ما يلزم مشروحا من غيره .. يجري وراء رئيس مشغول فلا يتلقى جوابا إلا من وراء الأكتاف في الدهليز الموصل من الصالون الى باب السيارة ..

وخير أيامي تلك الأيام التى كنت فيها معلما ولا أحسبني إلا فيها هذه الأيام وأنا ادير الحوار معك مفهما باسمي على القرطاس لا كما كتمته في أسلاك التلفون .

إن الاختصاص والفن والعلم مجال أوسع من أن يحصر على مكتب .. « فلأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ولئن يشفي الله بك مريضا او عاجزا خير لك في نماء العلم ، وحسن السيرة من الجري وراء الفاكهة المعطنة ، واللحم المشفت .. والفرّاش المكلف بكنس وتنظيف الطريق والغرفة ، ثم هو يثقل ويرمى عقب السيجارة في مكان كان قد نظفه وهو ماش .

أما النفاق والمداهنة ، فهي في الهمس ، أو في الرقص وراء الفازة ..

هو ليس في الجهر الواضح تقول ما عندك .. وحسابك لا تخشي به إلا الله ..

لو شعرت أنت ، وأنا معك وغيرنا معنا بعمق المسؤولية وواجب المرحلة التى نسير فيها لوقفت على الثغرة تسدها قدر جهدك ..

سامحك الله ..

● عبد الرحمن العلولا ..

شاب لا أعرفه ، ومن الرياض .. كتب اليَّ كتابا اتجاوز عن ذكر ما جاء فيه من ثناء واستملاح ، لأذكر الاجابة على سؤاله ..

سألني النصح فيما يقرأ ؟!

الكتاب كان قدامي على ركيزة لا هي بالخوان ، ولا هي بالمكتب .. شيء مستطيل من خشب ، ورفعت لأقوم .. أعود الى البيت . ولعلي زورت في نفسي تأخير الاجابة الى ما بعد ..

لكن المظروف سقط ، وتناوله هذا الجالس بجانبى . يمنعنى من القيام !

ـ قلت : أقرأه .. وقرأه فأخذ يضحك بوقار عليه طابع الفجاءة لي ..

ـ قال : أتعرف من هو هذا العلولا ؟

ـ قلت : لا أعرفه !!

ـ قال الصديق الشاعر الأديب محمد الفهد العيسى : هذا أنا خاله !!

« أنا خاله » قالها بجرس يعربي ، فيه غنة المدينة ، وفيه رقة نجد ، فذكرني بهذا كله .. باللفظ نفسه ، والجرس ، كأنه هو .. سمعتها مرة .. « أنا خالها » من أديب خان الأفغاني الشامي خال الملكة ثريا ، ملكة الأفغان . كانت شامية أفغانية . شامية لأن أباها محمود طرزى باشا ، وأفغانية لأن زوجها أمان الله خان رحمه الله .

جرس أديب خان قد اكتسبه من القرآن ، هو في أذني أحلي من جرس طه حسين وناهيك به . ومن جرس أحمد فتحى ومن مثله !! ومحمد فتحي وقليل أمثاله . وجرس الشيخ أبى الفتوح نادرة الوجود فى حياة اللفظ تخرج من أشداق ملبية للقرآن .. هذا الجرس يجعلني أقول للعلولا : اقرأ القرآن .

فبالقرآن يفقه قلبك ، ويسمو بيانك ، ويصلح ايمانك ، ويلاقى الكلمة لسانك .

أتعرف السماجة تجدها على أسلوب الكاتب ؟ لا تحسبها عن جهل باللغة .. وإنما هى عن الجفاء للقرآن .

القرآن صان العربية أن تنتصر على لسان .. حتى فحول العرب من النصارى حينما بلغوا الذروة في البيان فإنهم ما بلغوا ذلك إلا بقراءة القرآن وتفهمه .

ثم اقرأ كلام الأكابر في تراجمهم ، ونهج البلاغة والبيان والتبيين والبخلاء وكليلة ودمنة ورسائل الأكابر .. حتى اذا تمكنت اقرأ لكل أحد .. وفي الشعر عليك بالأحمدين الثلاثة .. المتنبى ، المعري ، شوقى ، ولا تنس ابن الرومى والشريف الرضى ، والثلاثة الإسلاميين من قومك : الفرزدق وجريرا وشيخ النصرانية الأخطل .

● .. وجاء يحمل الغضب فى عينيه .. فقد تواضع سلمه الله ، فلم يحمله في لسانه ، ولا تعامل به معنا في يديه ، وإن كان هناك تعبير يزيد عما حملته عيناه .. فهو بهذه التكشيرة ..

فتح بعدها فمه ليتكلم ، فظهر في الفتحة ناب قد اصفر ، واستطال على المجموعة من الأسنان والأضراس .. حتى لحسبته لم يذهب إلى طبيب الأسنان !

ولم أشأ أن أعبأ بعين غاضبة ، ولم التفت الى اليد الفارغة من الغضب ، فكل ما « استرعى انتباهى » هو هذا الناب المصفر البارز .

وسألت هواجسي : هل عنده شيء طفح به هذا الناب ؟!

فلئن سأل ، وسأل فسأجيب ، ولكني لن أترك سؤاله عن نابه الناتئة كمنشز على سطح الفوهة التي هي فتحة الاشداق ...

ـ قال : لقد قرأت كلامك عن الشيطان .. لا يتجسد لأصدقائه ، والمطيعين له .. لأنهم من طاعته يسمعون الوسوسة فيمتثلون !

ـ قلت : وأي شيء في ذلك أغضبك !.. ألا تكون أنت الشيطان قد تجسدت أمامي ؟!

وانتظرت أن يجيب ، وهنا كان ذكيا تشيطن بجواب بارع أعجبني لذة السخرية بي ..

ـ قال : دعك عن الورم يا أستاذ .. تريد أن أفهم أنك لست من أصدقائه فجعلتني اياه أتجسد أمامك لتباهي غدا بأنك قد طردتني ؟!

ـ قلت : أخجلتم تواضعنا ، وأثرتم كبرياءنا فما نحن وذلك ، ولكن هذا الغضب والعناية بالحضور ، والحماسة والناب الأصفر كلها تجعلني أتخيلك كأنك هو !

ـ قال : اسمع .. أنا لست الشيطان نفسه ، ولكني من أصحابه .. أنت وأمثالك جعلتموني من أصدقاء الشيطان .. تتظاهرون بالبراءة منه وأنتم أصدقاؤه .. تصبون الكلمة الرحمانية في آذاننا وقلوبكم شيطانية .. تظهرون بيننا على أنكم الآباء المعلمون بينما أنتم ـ بالاستعلاء ـ تحرموننا من أن نمارس تجاربنا ، وهي باب العلم .. تستعلون حتى بما تقطعونه في سبيل الشيطان . وتنظرون إلينا بحقارة حتى لو كنا من جنود الرحمن .

لقد رأيت الشيطان اليوم فقال : اذهب لهذا الذي يحاول طردي من حظيرته وقل له إنك لازلت في حظيرتي ، فما كتبته عني كان من وسوستي ، وجئت إليك لأقولها لك .. قلت له : « وما ابرئ نفسي إن النفس لامارة بالسوء » ولكنك حين وصلت الى هذا الحوار مع

الشيطان فإن الانسان فيك سيغلبهم كما غلبتني أنا حينا بصرتني ببواعث الانفصال والفصام بين جيلين !!

● سؤال أطرحه على نفسي هو :

هل أكتب عن الاقتراح البريطاني .. بنسف قرار مجلس الأمن ، وهو ـ أعني قرار مجلس الأمن ـ اقتراح بريطاني فى الأصل صدر بالاجماع ؟؟

أم أكتب عن قرار مجلس الأمن هذا .. أبطل أى مشروع قبله حتى النقاط الخمس ؟؟

الاجابة : لا أريد أن اكتب عن ذلك !!.. فمثلى كمثل ذلك العجوز ، ومعه حرمه المصون عجوز أخرى أقبلا على الشيخوخة ، وجلسا وحدهما فى البيت لأن الأبناء والبنات كبروا .. كل منهم ، أو منهن ذهب الى بيته ، ولا طفل صغير لديهما يقولان له : « افو .. امبوه .. بشبش .. حبوه .. دحه .. كخه (!!) »

ففتق لهما العجز ، ومن حبهما فى التدليل ألفاه .. عاشا عليه السنين الطويلة .. وقد اقترحت السيدة حرمه المصون عليه ـ ولا أقول أنا ! ـ أن يجعلا من نفسيهما طفلين .. كل منهما يعامل الآخر على أنه طفله .. فأقول لزوجى بدلا عن اسقنى ماء : امبوه !.. فتسقينى ..

وإذا نهتنى عن شئ قالت لى : افو ..!

واذا رغبتنى قالت : دحه !..

واذا نهرتنى قالت : كخه !..

وعلى هذه الصورة أعاملها ، فأقول لها : اف .. دح .. كخ .. حبوه !!

وجرت الأمور على هذه الصورة ..

وبينما كان الرجل ـ الأب ـ الذى هو نحن يملأ الدلو من الصهريج انزلقت رجله فسقط فى الصهريج ، فأخذ يعالج الغرق بالصراخ والخبط بيديه ، والرفس برجليه .

وسمعت الزوجة صراخه فوقفت تنظر اليه وهو موشك على الغرق ، وأخذت تدلله وتقول له :

« اسم الله عليك !.. بتسوى بشبش ؟.. يا عمرى .. خلينى افسخ وانزل معاك !..».
ـ فقال لها : « يا حرمة أنا بدى أغرق .. جرينى من ايدى بطلنا دلع !! » .
وجذبته من يديه ، ومن يومها تركا لغة الأطفال .. لعلهما قد وصلا الى لغة الرجال .. الآباء .. الى لغة الأمهات صانعات التاريخ .. منجبات العظماء !
صورة قد تكون تافهة ، ولكنها تنطبق على وضع تافه !!

● قال لي : ألم تجد غير بشار ، جعلت الكبار يجرون ذكره وشعره على ألسنتهم ؟.
ـ قلت : واي شيء في ذلك ؟. إنه مولى مضر من هؤلاء الذين نالوا العلم المعلق في الثريا .. ثم هو رأس المولدين .. أي أنه ثالث الرؤوس في طبقات الشعراء حسب الترتيب الزمني ، جاهليون ومخضرمون ، ومولدون أو محدثون .
ـ قال : إنه كثيرا ما مارس المجون !.
ـ قلت : وكثيرا وأكثر ما قال أجود الشعر سارت به الأمثال وطارت به الركبان .
إن هذا البصير المولى قد فخر بمضر فقال بيتين ما سبقه اليهما مضري على الكثرة الكاثرة من شعرائها .. وما لحقه بها مضرى ، فلا زهير وعنترة ولبيد ، ولا ضرار بن الخطاب وابن الزبعري ، ولا المخزومي والعرجي ، ولا جرير ولا الفرزدق ولا المتنبي والشريف الرضي .
إنه قائلها :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

ـ قال : كلام هجص وورم
ـ قلت : لا ، لا تقس هذا على وضعك اليوم .. فما قالها إلا وفي يده امبراطورية في الشرق لم يكن غيرها .. وملك في الأندلس ولا أرقى منه في زمانه ..

إنه يرى بوجدانه ذلك السماع للصوت الزبطري في عمورية .. فقد كان السيد المضرى فى بغداد يقول : حيث أمطرت السحابة فخراجها لي ..

وقد كان السيد فى قرطبة يقول : لئن ذهبت بغداد بدمشق فإن حضارة الحمراء ستذهب في فم التاريخ مجدا تسيل عليه الدموع في بغداد والمشرق كله ، وتحفظه الضلوع في كل شبر عربي .

ـ قال : وغيرها انشدني :

ـ قلت :

اذا بلـغ الـرأي المشورة	فاستعـن برأي نصيح أو نصيحـة حازم
ولا تجعـل الشـورى عليك غضاضة	فـإن الخـوافي قـوة للقوادم

ـ وقال :

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى	ظمئـت وأى النـاس تصفـو مشاربه
ومـن ذا الـذي ترضي سجـاياه كلها	كفـى المرء نبـلا أن تعـد معايبه

ـ وقال لى : إن أمسكت عن اعتراضك .

ـ قال : لقد سكت .

ـ قلت : واسكت عجوز الأفراح التى وسوست لك بما تندرت به هذه الساعة .

● حوار سمعته بين جيلين .. جيل الذى نيف على الستين وجيل لم يبلغ الثلاثين بعد .. لمست الفارق بين مشاعر الاثنين .. لا أقول إنه الفصام أو الانفصال ، وإنما هو الفرق الدقيق ، أو الكبير بين القناعة والاندفاعة !.. بين اللذة من فتور اللوعة ، وبين التولع فى تطلب اللذة !

القناعة فى جيل الستين حمد وشكر ، وليست هى الجمود .. فبعض الشيوخ أكثر تحركا ، ولو لابستهم القناعة .. وبعض الشباب بطئ الخطوة ولو كان شديد التطلع !

ـ قال الشاب للشيخ : ما بالى أراك تفرح بالقليل .. ترضى به بينما حولك فى العالم الكثير ، والكثير لا يرضينى إلا أن أكون المستحوذ عليه .. لا لنفسى وإنما لبلدى ؟!

ـ قلت له : اضرب لى مثلا بالقليل الذى أرضانى ، ودعنى عن الكثير الذى تريد أن ترضى به ؟!

ـ قال : اذا فتحت مدرسة فى قرية صفقت لها ، وإنك لتصفق لمدرسة فيها مائة تلميذ وتلميذ أكثر من مدرسة فيها مائة تلميذ حتى التلفاز فى القصيم أكبرته وصفقت له .. حتى المستوصف فى وادى العيص تريده .. إن هذه الأشياء ليست بالكثيرة ، ولا بالكبيرة .. هناك ما أطمع فيه مما هو أكبر وأكثر !

ـ قلت له : هو الخيط الرفيع فارق بينى وبينك .. أنا رأيت العدم .. عشت الألم .. لهذا أفرح بأى مصباح كهربائى فى شارع يحل محل « الاتريك » حل محل الفانوس .. حل محل القنديل .. الذين قرأوا على الشمعة يفرحون حينما يقرأون على الكهرباء .. الذين كاد يغشى أعينهم الرمد يشترون قطرة « البوسيد » كأنما هى الاكسير أراحتهم من « التشمة » و « الصرافة » و « الحك » بحجر جهنم ..

إن بعض هذا الوجود ـ مما تستقله ـ هو خير من العدم الذى كان يستقلنا .. يركبنا وكثير هى الأشياء ، فلا تحسبنى أريد أن أجمد على القليل .. إنما أريد أن اتطرى مع نفسك بالطراوة فى نفسى .. تلمس بعض جوانب ما نختلف عليه لنتفق على حمد بعض الموجود ، وبالأمانى نجد فيها ما تريد .. إن بعض الشكران تسجيلا قد يكون فيه جانب من التحفظ أو الاحتفاظ ، ولكن لا تنس أن فيه جانبا آخر هو الحض على المزيد ليتحقق الكثير الذى يرضيك !!

● الوقت السريع يمر ، واليوم امتحان ، فاخرج سيارته وركبها يسرع بأطفاله الى المدرسة يؤدون الامتحان ..

هو من أهل هذا البلد .. لكن عمله الزمه أن يلبس القميص والبنطلون !..

وبينما هو حريص على الوصول مبكرا ، اشعلت الاشارة الحمراء فوقف من شدة حفاظه على النظام .. لأنه واع وفاهم ويحترم نفسه وبلده ونظام حكومته ..

وكان وراءه سائق وقف ، جزع هذا المحجوز به وبالخط الطويل أمامها في شارع المطار .

وافسح الطريق فسار يميل الى شارع فى الشرفية فيه المدرسة .. وما زال السائق الذى

كان وراءه يمشي خلفه .. ولم يكد ينتصف الشارع حتى سبقه من كان خلفه يعترض طريقه .

كان مثله في لباس .. قميص وبنطلون .. بجانبه طفله كما أنه في جانب صاحبنا طفلان .

وأخرج السائق الغاضب الذي تقدم يعترض لسانه بكلام حاد وشرس .. « ما تعرف تسوق كان تخطيت قبل الاشارة حتى اسرع وراءك .. أنت « فلسطيني » فقال : « تراك .. الخطأ على من جعلك سواقا عنده ومسكك سيارة .. » .

وسمع السعودي هذه الشتائم .. وعرف من لهجة شاتمه أنه هو الفلسطيني ، فوقف أمامه وقال له : يشرفني أن أكون فلسطينيا !.. ألست أنت فلسطينى ؟.

ـ قال : لا ، لا ، أنا لبناني ..

ـ فقال صاحبنا ، لا تنكر .. أنت فلسطينى فأنا أعرف كل شبر فى فلسطين فقد كنت هناك .. لماذا تسب نفسك ؟!.

ـ اسمع أنا سعودي من أهل هذا البلد .. وساحتملك لأنك ضائع في نفسك لو احترمتها لما شتمت نفسك ..

وجاء شاب يسلم على السعودي باحترام ويقول : ما عليش يا عم ..

ـ فقال : أنا حزين لمثله .. وهنا احمر وجه الشاتم واعترف بأنه شتم نفسه واعتذر ..

حكاية .. كل الخطأ فيها على ضياع النفوس بارهاق الأحداث ..

● رائد الفضاء المخلف عن الرحلة بسبب الحصبة أو « العنقـز » كان يعيش طوال الرحلة أمراضا ثلاثة .. فى أول الأمر ، ولكنه قد صحّ الآن من هذه الأمراض الثلاثة ليعيش المرض الوحيد .. لا يشفى منه إلا اذا كان احد الرواد فى ابوللو ١٤ !!

قبل أن يصعد كشفوا عليه فخلفوه لأنه مريض . أمر عادى ، ولكن حينما وقع العطب في السفينة نسى مرضه ، وتنازعه المرضان المثلثان لأولهما : مرض الأنانية في الانسان .. يرتاح لأنه سلم من الهلاك . ومرض الطموح في الرجل . والتربية في المجند ذلك يقول له : احمد السلامة . أما الثانى مرض الطموح فيقول له : لقد فاتك المجد .. لقد فاتتك هذه الصور

المتلفزة .. هذه الروعة في جوانح الفاقدين .. هذا الصمود في مشاعر المفقودين .. هنا جاءه المرض الرابع . فالطموح قد تحقق الآن بسلامة الرواد . لم يحمد السلامة بل إنه يحمل على مرضه وحتى على الأطباء الذين اكتشفوا مرضه . لقد صنعوا له الشفاء من مرضه العضوى . ولكنهم لم يصنعوا له الشفاء من مرضه النفسى إلا اذا صعد الى فوق .. فوق في أعالى الفضاء !

لكن .. هل يكون هناك عطب ليكون له مجد الناجين . أم أنها ستكون رحلة عادية ؟!

أحسب أنه حتى ولو وطئ القمر فلن يشفى من نكسة الطموح ! أو نوازع الطموح .

هو الآن يشعر أنه فاته الشيء الكثير !

وفكر معى صديقى : إنك قد امرضته فلا يشفى أبدا . قلت : هو كذلك لكن صعوده مرة فى ابوللو ١٤ يضع البلسم على الجراح . قال : وهل هناك رابعة عشر ؟!

ـ قلت : نعم .. إن لم تكن قريبة فإنها كائنة . فالعلم جشع لا يشبع .

ـ قال : ألا ترى أنها مناورة للتعطيل او للتأجيل ؟!

ـ قلت : قد يكون التأجيل ، أما التعطيل فلا . فلئن شبعوا من القمر . فهناك كواكب أخرى . العلم جشع لا يشبع !!

● نجلس في أبراج عاجية ، ولو كانت أكواخا ، أو غرفا ليس فيها رياش وأثاث « مدوكر » المهم أنها غرفة تعزلك عن الناس ، وتفصلك أن تكون ذاتا متحركة تشغل نفسك بما يفيد الآخرين .

نحن هؤلاء الذين نجلس في اعتزال عن الآخرين المتطلعين نرتكب خطأ ضارا بنا وبغيرنا .

بنا ، يعني نحرم أنفسنا من متعة الاستزادة والفهم والتطلع ، فلربما يأتيك سؤال من شاب .. يفتح لك بابا من المعرفة حينما يحملك على التقصي والبحث .

وبغيرنا .. هم هؤلاء الذين يحبون أن يعرفوا عن طريق الحوار والنقاش أشياء كثيرة يفهمون ملامح منها .. ويريدون الواضح أكثر وأكثر .

ومنا نحن يحدث شيء .. هو الذم والحملات على هؤلاء الذين لا يعرفون مثلما نعرف ..

ويعتقدون ما نعتقد ..

هذا اجحاف وجور . لا نعطي . ولا نتصل . ولا نعلم ونحرم أبناء نا من كل ما عندنا .

اللوم أساسه ينبغى ألا يصب إلا على الباخلين والمنعزلين والحارمين والوارمين ..

فلكى نقضى على انفصام وانقسام ينبغى مرة ثانية أن تكون حركة فكرية تعطي الصواب ، وتأخذ التصويب اذا ما أخطأت ، وتمنح الفرصة للسائلين أن يتحركوا فى اتجاه الحوار معك .

لست في هذا اشير الى واحد بعينه . ولا الى آخر . وإنما اضع الاشارة على كل من يلبس ثوبها ، وكان مسلكه هو ما ذكرت ..

لقد جلس اليّ شاب مترف الذهن والبيئة والشباب . ما كنت لأقترب منه ، حتى وجدتنى أتقرب اليه بسؤال منه عن انفتاح ذهن ورغبة ملحة جعلني اشتد من اشتداد القوة في تطلب الاجابة .. اذكر ما أعرف ، وأعد بأن أرجع متى اعرف ..

هذا الشاب هو الذي جعلني أشعر بما نقترفه من اجحاف بهؤلاء .

● حوار معه .. كانت الكلمة فيه طارئة فرضت نفسها لأنها أصبحت التحويلة للحوار .. لم تكن فى الأصل بدايته ، ولكنها فى النتيجة هى مداره ونتيجته ..

ـ قلت له : إن الصفحة ذات الرقم المعين لها اليوم طعم جديد فيه شئ حريف ـ حراق ـ لم تصنعه الحرافة ، وإنما تصنعه بجهد التطويق .. لا من فوات الطاقة ، وإنما هو الهروب من سرمدية المعطى جرعات متوالية لقارئ تخم بهذا الشئ .. قد ابتلعه لأنه ما وجد غيره يبل الريق ، أو يسكت المعدة !

ـ قال : ليس هذا صحيحا من فعاليتى . ولا هو بالجديد من إفتعال أنتهجه ، وإنما هو تفاعل الناس المحسة باحترام الكلمة أولا .. لاحترام القارئ أولا مرة أخرى !.. إن هذا التفاعل هو من مكاسب القراءة المستمرة ، والالتقاء الجيد . والانتفاء عن كلمة لا يحتر بها قارئ .. الانتقاء اختيار . وهنا تكمن الصعوبة . أنت تقرأ وتقرأ ستجد ما تطلب .. أما الاختيار لتعطى فهو الصعوبة . وأيضا ليست الصعوبة أن تختار . ولكن الصعوبة أن تعطى

ما يحترم .. فالاختيار صعب من ناحيتين .. من ناحية أن أذوق فأعطى ، ومن ناحية ثانية أن أعطى القارئ تذوقه !

ثم أردف .. كأنما انتهى هذا الشيء تقريرا منه لحقيقة ما هو فيه .. عن ما أراد ، أو ما أريد به ، وانتقل بسرعة ليسأل : هل هو واقع صحيح ما يقومه الجيل عن جيل جديد .. من أن الجيل الجديد لم يأت بشيء ، ولا يستطيع أن يأتي بشيء حتى لو أراد ؟!

ـ قلت : ليس هذا هو الواقع الصحيح ، وإنما هو الشيء الطبيعي .. اندفاعا للدفاع عن الذات ، وبالتالى عن العمل .. عن الفعالية خوفا من التحطيم ، ليس فى طاقة القديم أن يحول دون نهاية الحياة ، ولكن فى طاقته أن يدافع عن حياة حياته : عمله الذى انتج ، فهو يخشى أن يمارس جيل جديد عملية تحطيمه .. هو طبيعة لاثبات الذات لا أكثر ولا أقل ، فليس منه تحطيم التالين بعد ، والجديد طبيعى أن ينتقص من أقدار القديم لأن فى ذلك ليس الدفاع عن الذات وإنما هو اثباتها ، وتثبيتها ليسير دون معوقات .. ذلك يحول دون أن يضيع ، وهذا يحاول أن يشيع ، وإلا فقديم الأمس كان جديده ، وجديد اليوم هو قديمه غدا .. المسألة تنتهى بخاتمة هذا الحوار !

ـ قلت له : إن الرائد ينبغى ألاَّ يهزم ، والناشئ ينبغى أن يخدم .. الفعالية لا يمكن التسامح فيها .. أما الاكتساب فمن الممكن المصالحة فى اقتسامه ، ونمائه .. الفعالية هى الموهبة ، وقد تكون هى العبقرية فى أصحابها ، الاكتساب هو تنمية العبقرية .. تنشئة المواهب ، إن الفعال الصحيح هو الذى يتقبل بفرحة فعالية الآخرين حينذاك سيكون هذا التقبل جزءا من فعالية ـ إن لم يأت بها مباشرة ـ فإنها قد أتت منه ، ولو بكف الأذى عن السارقين ، طريق الانتقاء لما هو أجود وما هو مقبول !

● هو صديق أرتاح اليه ، ويرتاح إليَّ .. كنا فى سيارة ذاهبين قادمين من زيارة واجبة ! ورأى صاحبى شيئا أعجبه . فقال : كان فى مقدورى أن أملك هذه ومثلها وأكثر !

ـ قلت : أهى ندامة عن حسرة ؟ أم هى الذكرى تحمد بها الله على ما أنت عليه من قيمة وقوام ، وتشكره على أن لم تكن لك هذه ومثلها وأكثر ؟!

أتحب أن تكون لك هذه ، وتفقد ما عندك مما أنعم الله به عليك ؟

ـ قال : ما عندى شئ أفقده ، أو أتفقده !

ـ قلت : تعنى العقار والنضار والنشب والعروض ؟

ـ أما هذا فما عنيته ولا خطر فى بالى .. فالذى أعنيه هو شئ آخر أغلى من كل ما يملك من عروض !

ـ قال : تحدث دون أن أسأل .. أريد أن أسمع .

ـ قلت : كان لى صديق كثير التأوه ، كثير الشكوى . فسرت معه فى زقاق ، فأوقفنى أمام بيت كبير فى حارة الباب ، فأنظرنى الحجر والطين . يلمسها بيده .

ـ وقال : هذا الحجر . هذا الطين . حملته وأنا يافع .. كنت أعمل فى الحجر والطين بأجر يومى قدره نصف مجيدى . أى عشرة قروش . أعول أبا كان مريضا .

ـ قلت : وأنت اليوم ألا تقدر أن تشتريه أو تنشئ أكبر وأجمل منه ؟

ـ قال : نعم .. نعم .

ـ قلت : هذه ذكرى ينبغى ألا تؤلم . إنها عنوان الحوافز لأن تكون كثير الحمد لله . أنعم عليك بمعرفة وتعلم وغنى ، فلماذا تتأوه كلما رأيت إنسانا منعما عليه . أفلست أحد المنعم عليهم ؟

ـ أما كان من الجائز أن تصبح قراريا ، أو معلما ينادونك « يابا » بدلا من هذا الذى أنت فيه ؟

المعلم إنسان كادح حمد الله على ما ناله .. وأنت إنسان أقل كدحا وفى مكان مرموق .. أفلا تشكر وتنفرج نفسك عن هذا الضيق ؟

هذا مثل ..

وهناك الآخر !

أتذكر فلانة وفلانة وهما اختان . زوج الكبرى قد اتسع له ما يملك من قيمة فى الذات والامتلاك والعزة . وزوج الصغرى على باب كريم .

فهل تعرف أيها الأسعد والأهدأ بالا ؟

إنها الصغرى . أنظر إلى بنيها . جمالا فى الصورة وكمالا فى السلوك وغنى عن الناس . وسلاما من كل الناس . يتعلمون ويحترمون فما أكبر فرحتها إذا ما نظرت إلى واحد من ولدها .

أما تلك فماذا تراها ؟ إنها فى كبر . إنها فى قلق من كثرة ما تملك فتهلك !

ولقد ماتت الكبرى فما وجدت بجانبها إلا عناية الصغرى وأبناء الصغرى .

وماتت الصغرى فما سار وراء نعشها واحد من أبناء الكبرى .

ضياع البطر ! وصون الشكر . ذلك ما وقع !

وسكت صاحبى يقول : اللهم احفظ لى ما أملك من نعمة الخير فى نفسى . والخير فى أهلى وولدى ..

واللهم لا تشمتنا بمبطر . ولا تبطرنا بمقبل ! وانعم علينا فى الحامدين الشاكرين .

● قال لى : حضرته ـ وأشار إلى ابنه ـ لا يريد الجلوس فى الدكان .

ـ قلت : مخطئ ، ومصيب فى آن واحد !.. هو مخطئ ألا يرغب الجلوس .. يتعلم منك .. يحفظ عنك . ومصيب أن تفرض عليه أن يكون معك طوال النهار تحبسه معك ، إن فى هذا حجزا له يكربه ، فهو قد ألف قسما من الوقت أتاحتها المدرسة له ، حتى المذاكره هى فسحة لأن فيها تغيرا من وضع أمام الأستاذ الى وضع أمام نفسه . دعه يجلس فى الأيام الأولى ساعة أو ساعتين ، ثم أفسح له الطريق ليذهب إلى البيت .. إلى فسحة أخرى .

إن فرض القيود السرمدية هى فارضة التفلت من هذه القيود . لا تكن يابسا فتكسر ، ولا لينا فتعصر .

أعد تاريخ حياتك طفلا .. تصور ما جرى لك ، كثيرا مما ضايقك وتمنيت إن لم يكن .

إن حبس الفتى على رغباتك كلها لا يطوعه لك ، وإن اطلاق الفتى لرغباته كلها يبعث العصيان فى نفسك عليه .. من هنا يكون الانفصام والغياب ، وسوء التفاهم .

أذكر مرة فى حياة إنسان ما أن والده قد زرع أحواضا كثيرة من الحنطه ، فلما أينعت ، واستوت السنابل على السوق كلف زارعها ابنا له يحرس هذه الحيضان من الطير لا تأكل

الحنطة . استمر أياما لكنه استوحش .. لم يكن هناك أحد يؤانسه .. ضاق ، وكأنما أبوه أشفق عليه ، فجاءه قبل المغرب بأقل من ساعة ، وأخذه الى حفل كبير ، وتركا المزرعة ، وفى الصباح ، وجداها خاوية على عروشها .. نزلت عليها العصافير فأكلت الحنطة كلها .. السبب : الضغط على طفل ، والرحمة من أب . لو تركه يحرس ساعات ، وناوب بينه وبين أجير للحراسة لما تأزم الطفل ، ولما أشفق الأب ، ولما خسرا الحنطة . هكذا .. القسوة تضر ، ولو برحمة متأخرة ، والكزازة ، البخل عما أشد ضررا لأنها السبب فى حجز الطفل ، وفى الرحمة الفجائية ، وفى خسارة القمح !!

● قال لى : أنت مكبوس .. يعنى مكتوم النفس لا مكتوم التنفس !

ـ قلت : ليست المشكلة أن تكون « مكبوسا » تطحن أعصابك أزمة عابرة ، أو مستديمة حتى الأزمات فى النفوس تصبح هذه الأيام كالعاهة المستديمة !..

المشكلة هى أن تعجز عن التنفس بالبوح .. تعبر عن ما تأزمت به حال لديك ، والمشكلة أكثر هى ليست من فقدان الشجاعة ، وليست من الفرس ، وإنما هى من الاستحياء .. تعرض لك الأزمة النفسية من خبر مدمع ، أو حال موجع ليس هو خبرك ، وليس هو حالك وإنما هو حال ودموع من تعرف أحيانا ، ومن يعرفه لك إنسان آخر !

ـ « مكبوس » .. لا من الاستحياء أيضا ، وإنما من الآذان التى تنغلق اتوماتيكيا إذا سمعت كلمة خيرة عن أحد ، أو دعوة خيرة لغوث أحد ، وتنفتح أوتوماتيكيا إذا ما سمعت المعابة ، أو تلمظت على خير عرض حالا لمسكين !

ـ « مكبوس » .. لأن الصمت إرهاق ، ولأن النطق ضياع !

وسكت .. لأنه انقلب مكبوسا أكثر منى ، ونطقت أكتب لأنه سألنى وأجبت ، فتنفست .. بقى هو أن يسأله غيرى ليتنفس !!

● أصبحنا لا نقرأ .. يعنى هذا التجميد فى ميوعة الحياة ..

عندما كانت حياتنا صخرية كنا نتسلق صخورها بالقراءة .. حينما ذاب كل شئ امسكت الحاسة القارئة نفسها تصونها عن الميوعة ، فلا تجد إلا أن تجمد ..

التجمد فيك كقارئ توقف عن الحركة فى متابعة الفكر الانسانى ، والميوعـة حولك كقارئ تبعثر جهدك ، فلا تمسك بشئ . أفضل أن أتجمد على ما أمسكت لئلا أذوب فى هذه الأشياء التى لا تمسك !!.

الأشياء الثمينة فى المكتبة الانسانية ، أو مكتبة اللغة الشاعرة أصبحت بعيدة المنال لأسباب نحسبها مانعة ألا تذوب .. بينما هى وافدة كالحمى تصيب انسانا فى فلاة لا يجد العلاج ، أو الطبيب .. العلاج والطبيب لقارئ هو ألا يتجمد ، وأن يستورد كل ما كتبه الفكر الإنساني .

أصبحت ـ بعد سطرين مما كتبت قبلُ ـ أفضل أن أذوب مع كل ما يقرأ .. ولا أتجمد مع الذى قرأت !..

تناقض ؟!.. لا .. هو هكذا الكاتب قارئا .. والقارئ كاتبا ، لابد أن يعيش التناقض ليصنع المواءمة .. هو مسؤول عن ما يعطيه للناس . لكنه ليس مسؤولا عن ما يأخذه لحساب الناس .

● فى حوار بينى وبينه قال : أريد أن أحب ولكن الزحمة ضيقت علىّ أن أجد من أحب . أنا لا أحب الزحام ..

ـ قلت : أنت مثلى تماما .. كنت لا أحب الزحام حتى إذا زاحمنى أحد تخليت دون ألم .. لماذا !.. لو تخليت عنه دون من يزاحمنى عليه لأشبعت نفسى من ألمها . لكنى حينما يطردنى الزحام عنه لا أشعر بهذا الألم .. أهذا حب ؟.. كنت أحسبه الحب ..عشت عليه فى أكثر من حالة .. غير أنى الآن أكاد أمج هذا الأسلوب .. أحسبه تفاهة . فالفرار من الصراع جبن الأنانية . لو كنت شجاعا ـ يعنى أتحمل الألم ـ لكان الرفض فى الزحام أكثر إيلاما لأنه الهزيمة !..

أما التخلى لسبب منهم .. لسبب منى فهذا شئ غير ذلك .. إنه بانتصاره هو علىّ فانتصار الحبيب حبيب الى النفس ، فعلى أقل تقدير كنت ميدانه .. نتصارع فيه .. أفقده ، ولا أخسر هذا الميدان الذى هو أنا ، وإن كان بانتصارى عليه فشئ حبيب الى الأنانية

أسترخصه ولكنه من ناحية أنه ميدان فيه بعض العزاء .. على أقل تقدير أرى فى وجدانى هذا الميدان فيه شئ من الذكريات ، فالمنتصر والمنهزم هو نوع من أوضاع الصلة .. أما المنتصر دائما فهو الأصيل دائما .. الحب نفسه وذكرياته !

الذكريات حياة الجمال فى هذا الجميل . وحياة المحب على كل الأحوال !

وحين أفلست بعد أن تعلمت لم أجد فى نفسى قبولا لأن أجد من أتصارع معه .. يعنى ذلك أنى فقدت الى حد بعيد الحبيبة والحبيب !

بصراحة .. لأنى غير صالح لذلك .. لا إغراء .. لا زخرف .. ولا حتى ما أستبدل به المتنبى ماله وخيله !.. لأن منطقى أصبح غير معجب .. قديم عف عليه الزمن .. لكنى سأنتصر .. لن أكون منهزما .. حيث لا حبيبة ولا حبيب ، ولا كفاءة فى أن أجدهما فإن عندى كل الكفاءة لأن أحب ما هو أغلى ، فلئن فقدت من هو أغلى فلا عائق إن هو الأغلى .. ذلكم هو حب المحب !..

هذا ميدانى أتحدى من يلقانى فيه ، فإني سأنتصر عليه .

حب الحب .. جمال الشيخوخة ، وكمال الإباء ، وفضيلة الاصفياء !

● قال : أنت شيخ تصابى .. تتعلق الشبان ليزفوك فى هودج !! فحينما فقدت عرس الحياة جئت تطلب التعويض ..

ـ قلت : هذا غير ملائم للواقع .. فحبى للطفل أبى الرجل .. أملى فى الرجل صانع التفوق فى المستقبل .. هو دافعى من أول يوم وقفت فيه معلم صبيان .. فى كل مرحلة لم أبخس إنسانا حقه .. فى كل رحلة رافقت المقدمين على نجاح ..

برئت من الحاد .. وتبرأت من كلمة قالها أحدهم قبل خمسة وثلاثين عاما : أنت تشجع فلانا ! ألا تعرف أنه إذا تفوق سينساك ويهملك ؟

ـ قلت : اذا ما ذكر نفسه بالتفوق فيه .. فإني لن أنسى نفسى واضع لبنة فى بناء أعتز بصونه ونمائه ..

***

● وقال آخر : أنت تجبن عن مصارعة هؤلاء الشبان ومقارعتهم ..

ـ قلت : لم أختلف معهم على شئ ينالنى منهم .. بل انى أحبذ أن يكون أول حجر يرمون به هو الحجر المسلط على الخطأ ولو كنت هدف الحجر اذا ما كنت من الخاطئين ..

أما إن اختلفوا على أنفسهم .. فلست عليهم بمسيطر !..

وإن تخلفوا عن الحق ، فشأن غيرى أن يردعهم عن الباطل ..

فقد أسعى جهدى لتمرير رأيه .. ولا أحب أن أكشف اللحم فى السوق !!

● هما قالا ذلك .. فلم انهزم .. لأنه جرأة على الحقيقة ، ولا يهمنى إلا دافعى ووازعى . ولكن .

ـ قال الثالث : لا .. لا .. إنك تسوس عقولهم ، وتوسوس لهم وتفسد رأيهم ..

ـ قلت : هنا يكمن الخطر .. هنا دافع حقدك ، وسوء قصدك .. فليت ولدى من صلبى يسير على ايمانى ورأيى فى ترابى وقومى ووطنى .

قل غير هذه ..

إنى ادفع الجرأة .. واتسلط بالنشاط .. واحاور الرأي لأنى أحب الجهر .. وأكره الهمس .. وأرفض الكبت ..

ثق أنك حينما تقول هذا لواحد ، فإنك تريد أن تسلبه كفاءته فى تمييز الأصدقاء والرجال .

لا حقد ، لا افساد .. إنما هو الحب لكل المتفوق والمتفوقين .. أما سواد القلب والحقد القاهر فمتاع الذين يحبون أن يعيشوا وحدهم .

● والفتى الذاهب إلى بعيد يتعلم .. جاء اليوم يتكلم .. ذهب يحمل تكليفا .. وجاء يضع تشريفا ، كان حمله الأول أمانى الوالدين .. وأصبح عمله الأول العمل للقادمين والحاضرين حتى تحسبت أن شيئا جديدا ورائعا قد تجسد أمامى فى كيانه .. من لسانه ..

طفل كنت العب معه .. اناغيه والاغيه ، فاذا هو رجل يلعب بى بجد من القول .. يحاور ولا يداور ، يصاول ولا يتطاول ، يحاول ولا يتحول .. يتناول خير ما يعرف .. ولا ينالنى

بسر ما عرف .. يرسل كلامه كأنما هو فى الواقع يحدد قانون مسيرتى معه فى قابل .. أعطيته من عاطفتى حياة مسيرتى له .. ويعطينى من عقله الشئ المفروض غير المرفوض .. يفرضه هو ، فأصبحت بهذا كله صديقا لا أبا .. وأصبح بهذا كله الابن الصديق .. يلتصق بى بالانطلاق ، لا أسبغ عليه قيدا .. يجتر به الشقاق إلى فراق .

ـ وسألته : كل هذا مسلم به .. ولكن ما أنت صانع له ؟

ـ قال : لا تجزع .. أحسب أن غيرك يفجع إذا ما أخبرتك بقرارى .. فبعد عام سأنتهى لأكون منك بك معلما فى أى مجال .. لا يغرينى أن أكون معيدا فى الجامعة .. ولا يبعدنى أن أكون مدرسا فى قرية .

ـ فقلت له .. أتصنع التهجم : ماذا تتوقع من إجابتى ؟ هل تحسبنى أقول : لا ؟.. لقد سعيت قبل أن أسمع هذا منك ليكون الذين سبقوك على النهج الذى أردت .. أساتذة ومعلمين .. ولكنى فجعت بما لا أقدر عليه إن استجاب لى طالب عز عليه مطلوب .. حتى الذين كانوا الحريين بأن يستجيبوا .. فيكثرون من المعلمين .. وجدت فى وجههم استغرابا .. يستنكر علىَّ هذا الطلب .. يحسبونه المطلب الرخيص ..

ـ قال لى واحد منهم : كيف ؟ أتريد من ابنك أن يكون أستاذا ؟..

ـ قلت : نعم .. فالبلد فى الحاجة الماسة إلى المعلم لا إلى المدير .. فاعجب لحامل الإجازة العلمية ألا يستفاد من علمه إلا توقيعا على استمارة .. أو حديثا بالاشارة !

وضحك .. فقلت : أنت محق فى أن تضحك .. إلى أن تسخر .. لأنك إنسان قد سخرتك البطنة .. إلى أن أماتت الفطنة .. أما غيرك .. فلم يسخر لأنه مسير بما يدعو إليه نهضة فى هذا البلد .. يرجو أن تسير بالعلم وبالمعلم .. فلا تتعثر بالمسلطين الساخرين ؟..

وسكت الفتى .. لأجد دمعة أخرى كان فيها بلسم الجراح .. وكان بها الطلسم .. لا تختفى به ذخائر المحبة .. وإنما هو شئ من الرقية الطيبة الحلال .. القوها عليه .. أسأل الله أن يحفظه من نكسة تقتل عواطف الرجال وآلامهم .

الحب .. حب هذه الأرض وقاية من كل شرور المستقرضين بالعلم .. بالمعلم .. نقضى على هذه الشرور .

● سمعتهما يتحدثان على قارعة الطريق ، ولشد ما تسمرت قدماى !! أسلم عليهما ، وأسألهما عن فحوى الكلمة التى قالها سالم لسعيد ..

هما كهلان من كهول الحارة القدامى .. وأنت فى بلد قلّ أن ترى فى شارع .. أى شارع واحدا من الجيرة الأقدمين . كله جديد . كله طريف . ذهب بالتليد . فالشئ المقرر فى حياة المجتمعات أن القادم الجديد يطرد الساكن القديم .. فقريش البواطن .. اجلوا قريش الظواهر ، والأحابيش أجلوا البواطن .. وهكذا .. حتى أصبح اسم دار ابى سفيان القبان . وحتى أصبحت سقيفة بنى ساعدة شيخ النمل . أو السحيمى .

ـ وسألت الشيخ .. إيش قلت ؟

ـ قال : قلت : الحمد لله على نعمة الجهل ، فاعترضنى سعيد ينكر علىّ ذلك ، ينكر أن الجهل نعمة أحيانا .

ـ قلت له : فسر لنا ..

ـ قال : الجهل النعمة هو الذى لا يخرج بك إلى ضلالة ولا يدخل بك إلى أذى الناس .. تعلم ما ينفع لخاصة نفسك . ولا تتبعثر بشك ولا تهلك بالحيلة .. أنظر إلى هؤلاء الذين جعلوا العلم نقمة ..

النقمة فى العلم ، أو بالعلم هى فى حامليه . ما استطاع أن يصلح أخلاقهم فزادهم العلم نباهة ذكر ، وذكاء ذهن صلحت لأدوات الشر والفساد بين الناس .

إنك تعرف فلانا صاحبنا ، وتعرف أنى بعيد عنه . جهلى النظيف . أبعدنى عن علمه المتسخ « يفتى على الابرة ، ويبلع العتلة » كم مرة أبكى يتيما أضاع حقه ، وأرملة استرذلها فى غمط حقها .

كرهت المعايشة معه ، وقد كنت أحب أن أتعلم منه .

وهكذا .. فالجاهلون فى الأدغال لا يعملون على قتل الانسان .

فالجهل تجد منه الحماية . أما العلم فأين نجد الحماية إذا ما سلطه إنسان على إنسان « حيلة » « خدعة » « قنابل » « غازات » قوة حماقة .

● للمرة الثانية ، وفى اليوم المطير حملنى صديقى الشاب فى سيارته إلى البيت .. لا أدرى أذلك مصادفة أم هو العمد منه ، يعجبه فى هذه اللحظات التى تضحك فيها الأرض من بكاء السماء ، أن يضاحكنى وأضاحكه !.

كان الحديث فى المرة الأولى عن شجونه ، وكانت شجونه شجون المترفين الذين يعلقون عيونهم على أهداب البلكونات !. أما الحديث الثانى فمن شؤون أخرى ليس فيها شجن ، وإنما فيها شدو !.

ـ قال لى : كيف يستطيع أن يكتب أخونا « عبد الله جفرى » كل يوم .. يعنى هذا من القراءة ، أم أن هناك شيئا آخر ؟!

ـ قلت : هما واحد .. القراءة أولا والشىء الآخر أولا !

ـ قال : أسلوبه يعجبنى ، ويعجب الكثيرين !

ـ قلت : والكثيرات أيضا !.. أحسبك تسأل عن هذا ؟.. انظر إلىّ لتسمع .. لا أريدك الآن أن تعلق أهدابك إلى فوق ، فليس هناك إلا حبل الغسيل !.. أحيانا النظرة إلى تحت تعلو بك إلى فوق ، فالذين لا تحت لهم لن يكون لهم فوق . الجذور تحت .. يعنى الحياة تحت .

وهنا مستنى عصا المعلم المشاء .. لأقول له :

ـ فى هذه الخمسين عاما التى عشناها ، يعنى وعينا أن نعيش لها .. نبتت عندنا أساليب .. كل أسلوب أعلن عن كاتبه .. اذا ما قرأته ، ولم تر توقيع صاحبه قلت هذا فلان . هؤلاء أصحاب الأساليب كأنما برزوا فى حياتنا الكاتبة على نسق متسلسل .. تحسبهم المتوارثين يحفظون للأسلوب مكانه : حمزة شحاته ، فحسين سرحان ، فعزيز ضياء ، فمحمد عمر توفيق .. لكل واحد من هؤلاء الأربعة تمطى اسلوبه علينا .. غطانا ، ولحفنا ، فلقد قرأت فى « رانجون » قطعة لحمزة شحاته فى صوت الحجاز بتوقيع قاف .. وكنت حديث العهد بمعرفته ، لم أجلس إليه إلا ساعات فى طريق سفرى إلى الهند ، ولكنى قلت لصديقى الشيخ محمود شويل : « كاتب هذه حمزة شحاته » ذلك لأنى ، ولكى أقيم الدليل على نفسى ، قرأتها بصوت مسموع فكان الجرس هو جرس حمزة . وقد وقع لى قبل أن أصل إلى

التوقيع أن أعرف الكاتب حسين سرحان ، وعزيز ضياء ، ومحمد عمر توفيق ، لقد حجبت الأيام هؤلاء إلا فى النزر القليل ، فجاء صديقك « عبد الله جفرى » خامسا لهؤلاء يكتب بأسلوب مميز كأنما هو صحوة من فترة غفوة !.. لهذا يقرأه الكثيرون والكثيرات .. غير أنه أوفر من أولئك حظا لأن الكثيرات أصبحن يقرأن !.

ـ قال : وأنت ؟!

ـ قلت : هم .. يمتصون قصب السكر .. وينضحون بالشهد .. أما أنا فأغترف وأتدفق !

● سؤال القاه أخونا م . ع :

س ـ ما هو أحب شئ إلى المرأة ؟

ج ـ هو أن تكون أما .. فالأمومة أحب شئ لها ، فهى قوامها وقيمتها ومدار رغبتها ، ومسيرة حياتها .

س ـ والجواهر والفساتين ؟

ج ـ هذه « محدقات » وكماليات . شهوات . تتزين بها المرأة حينا تتبدى للذكر . « من ذكر وأنثى خلقهم » .

هى أم ولا شئ غير هذا . وكونها الأم يعنى ذلك أنها الأنثى .. والأنثى لا يمكن أن تكون بلا زوج .. الذكر .. « من كل زوجين اثنين » .

س ـ إجابة ما كنت أتوقعها ، لقد « فحتت الحقيقة » وأفرغت الفهم الدقيق لى .

ج ـ الأنثى الأم غالية . فلم أسترخص الاجابة عنها . فرق كبير بين الأم والأب !

فالأب الذكر قد يصرف ماء الحياة . وقوام الحياء فى كل مصرف نيلا لشهوة . ارضاء لنزوة . لأنه لا يحسب حساب الأبوة قطعا وهو يتشهى ويفعل .

أما الأم فهى مورد ومصنع . لا تتصرف إلا وهى تعرف البنوة والأمومة . فإنها فى التشهى والنزوات والهفوات تتقطع نفسها حسرات . هى الباكى بعضها على بعضها .

غالية البضع ، مرهفة الحس .. فى أشد حرصها على غواليها !

ماء الحياة فى الذكر بعيد عن القلب . أما هى فحول القلب فى هذه الترائب فى صدرها ..

تعطيه لطفلها طعاما .

لطفلها طعاما غذاء من ثدييها .

« يخرج من بين الصلب والترائب » .

هى مصنع البنوة . وغذاء الابن . ورحمة الخالق . من هنا .. « الجنة تحت أقدام الأمهات » « أمك . ثم أمك . ثم أمك . ثم أبوك » .

ومن هنا أيضا . « حبب إليّ من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة » .

س ـ لقد قسوت على نفسك ذكرا أبا !

ج ـ لأعطى أمى حقها . لئلا أبخس أم ولدى حقها . لأرحم البنت فى هذا الزمان المستغول . إنها عاشت تحت غول من الكبت .

● ـ قلت له : هى واحدة من ثلاث . من صالحك أن تسأل عنها قرينة حياة : الفاغية تخاف نفسها ، والغالية تخاف غيرها ، والقارعة لا تخاف نفسها ، ولا تخاف غيرها ، وإنما هى تخاف الخوف ، وتأمن الخوف فى كل لحظة لها مذاق !

ـ قال : هذا كلام يسأل الوضوح ، ويرفض التعمية . ويرغب التعريف بالدليل . والعلامة والميزة . وحتى المعابة ، عن كل واحدة منهن .

ـ قلت : إن التى تخاف نفسها رفضت أن تعيش تجارب غدة فهى تكبح الرغبة لا تخضع لإغراء ، وترفض الافتراء ، وتود أن تجد الأمين المؤتمن . وهى أيضا لا ترجئ الحبيب اذا ما كان الأمين ، ولا تلجئه إلى ممارسة الحيلة معها ، فهى تتعرف وتتعرف حتى تعرف ، ثم تعترف فتقع فى شباك إنسانها الذى يحترم خوفها لأنها به حافظت على نفسها حتى حفظته هو لنفسها !

ـ قال : والثانية ؟!

ـ قلت : التى تخاف غيرها ؟!

ـ قال : نعم .

ـ قلت : إنها هى التى تقع من تجاربها مع الذى يجسد الخوف فيها . كان قبله مزاجا

فأضحى طبيعة . إنه يمتلكها بهذا الخوف . فتصبح عبدا له يسومها بالحذر منه وبأسلوب المخادع الملاين .. الخوف الطبيعة حينما يتربص بها ساعته المريعة فيمثل لها نفسه الرجل الرائع . فتقع بين يديه سيداً لها يحكمها بالخوف ، ويتسلط عليها بالمذلة !

ـ قال : والثالثة ؟!

ـ قلت : التى لا تخاف نفسها ولا غيرها ؟!

ـ قال : نعم !

ـ قلت : هذه ستكون عبدة نفسها من تصورها أنها سيدة نفسها حينما تأمن بالوهم لتكون المرفوضة من إنسانها ، لأن وضوح الاستقلال فيما يمنعه من أن يمارس حياة إنسان مع انسانة لأنها تشمخ بالأمن فى نفسها طوال أيامها الشابة المرحة . حتى إذا فرغت النفس من حماية النفس جاءت تجرى نفسا جديدة تسأل عن إنسان فيصعب عليها أن تجده لأن الزمان قد صنع لها الخوف من نفسها ومن غيرها لتكون كالثانية .. حينئذ تعيش الحيرة والحسرة . إن ملاك الأمر فى نيل الأنثى رجلها السكن والمطمئن هى أن تخاف نفسها فلا تخاف غيرها . أو لا تأمن نفسها ، فمخافة النفس هى مجلبة الأمن فى الأنثى ، ولا شئ غير ذلك . إن التى خافت نفسها عاشت حياتها آمنة برجل لا يخيف ولا يذل !!

● ليس كالحوار جالب ثقة .. مثبتا لقواعد كرامة . وطاردا لرأي لا ترضاه .. معلما لفكرة تفيد .. به لقاح الفكر وغذاء المعرفة . وتفشى الرأي ، وهو بهذا كله لا يصدر إلا عن عدة كقوة فى عارضة الجدل .

أو هى القوة فى المعروض للحوار .. يستأهل نطاح قرنين ، ولو كانا ، ولو كانا غير قرنيين .. به تنمحى الفوارق بين الاثنين المتحاورين فردا أو جماعة .. الفوارق تنمحى ولو ساعة جدل ، والحجاج يكبر صغيرا .. يرتفع بالرأي ويتواطن كبيرا احتفالا بالرأي .

وكثيرا ما تكون غير عارف بمسألة أو فكرة .. فاذا بالحوار يفتح لك بابا تجد المسألة عندك .. وجوابها فى المخزون رصيدا فى عقلك الباطن ، أو أنت تأخذه من عندى سؤالا ليكون عندك الجواب ، أو يكون الجواب من عندك لمسألة وجدتها فى لحظة الحديث تطرحها

ليجيب .. فاما أن ترضى بما أدلى به ـ أعنى تقتنع ـ فلا مجال للغضب فى الحوار ، واما أن تناقضه ليكون صوابك صوابا عنده ، أو لا يكون .

إن الحوار مران ، ومعاناة .. لا تعنت .. يأتى بالممارسة للمدارسة .

فمثلا .. تحدثت الى صديق مثقف من الهند قال :

ـ نحن نخوض التجربة المريرة فى برامج التنمية تعجزنا عن تمامها مشاكل ومشاكل .. سواء من الداخل أو من الخارج .. ليست هى الأفواه الجائعة التى تحيرنا ، وليست هى الأرض تريد الحرث والزرع ، والمصنع ليكون الانتاج نواة النماء ، وإنما هو هذا الشره .. أو هو الاسراف فى توقى عدوان علينا .. لو استرحنا من نفقات التسليح لخطونا خطوات كبيرة فى التنمية .. هذه المرارة التى نشعر بها ليس سببها ما ذكرت لأنه سبب عارض .. السبب الصحيح هو أنا حصلنا على الاستقلال دون أن نقدم كثيرا من الضحايا .

ـ قلت له : الاستقلال هو الهدف والغاية ، أما الضحايا فوسيلة .. لم تستطيعوا استعمالها .. بهذه الفلسفة أو المبدأ أصله غاندى فيكم . « اللا عنف » .. اللاعنف يعنى لا ضحايا كأنما تريد أن تمسك بالاستقلال وقد سالت دماء يرهبها الشعب .. بالعكس ، إن الدم يبعث الجرأة على الدم .. إن الهند فى آلامها الطويلة كانت هى الضحية الكبرى ، وغاندى فى مصرعه كان ضحية يعدل الآلاف .. لقد ذهب واحدا ولكنه بالكيف لا بالكم ضحية كبرى رسخت فى أعماق الهند كألم طويل المدى ، عميق الأثر .. إن الضحايا لا يجرى وراءها إلا من يريد التصفية على طريقة هتلر ، أو من يتذرع بالتطهير على طريقة ستالين !

ـ قال : لا أريد هذا .. لو قدمنا كثيرا من الضحايا لوقانا شعبنا كثيرا من نفقات التسليح حينما يكون كله جيشا يدافع عن أرضه ولو بالمدى والفؤوس والعصى .. هذا الذى أريد !

ثم أردف قائلا :

ـ إن مشكلتكم مع إسرائيل لم تكن وليدة وعد بلفور ، ولا أنشئت باعتراف ترومان ، ولا طغت بالمعونات .. كل هذا كان يمكن ألا يؤثر لو انكم قدمتم كثيرا من الضحايا .. الشعوب التى تقدم الضحايا لا تمكن عدوها أن تكون ضحيته .. يسيطر عليها كل يوم

بعدوان جديد .. لو أنكم فى عام ٤٨ استمررتم فى الحرب ولو على صورة العصابات ، أو الكومندوز « الفدائيين » لانتهيتم من إسرائيل لكن بعضكم دخل الحرب وهو ينتظر الهدنة . وبعضكم رأى الهدنة نهاية المطاف . وحتى فى حربكم الأخيرة خفتم من تقديم الضحايا على صور شتى .

ـ قلت له : لقد تعلمنا هذا الدرس .. لقد بدأنا نقدم الضحايا .. كما قال شاعرنا شوقى :

ولا يبنى الممالك كالضحايا ولا يؤتى الحقوق ولا يحق
وحررت الشعوب على قناها فكيف على قناها تسترق ؟!

● حوار كحديث بين أكثر من واحد . وأقل من خمسة !

ـ م : كنا فى مرح ليلة أمس . نسينا ما نطلب لنعيش فى ذكرى ما نحب ، ومن نحب !!

ـ ج : لم أكن معكم لأنى لم أكن ضائعا خارج نفسى . ولم أكن ضائعا من التى هى نفسى .

ـ ز : يا للشباب المرح المتصابى روائح الجنة فى الشباب .

• الشباب مصاص تفاح ، يطرد الترحة وينسى الفرحة ، يتقابل المنعشات ويقتل المنغصات .

ـ ع : والشيخوخة ؟

ـ ز : هى امتصاص واجترار . تبلع وتختزن ، ولا تمثل فتطرد . كل شئ يأتيها تحمله حتى انها تستقل الفرحة خوفا منها وتستدر الترحة راحة فيها . فان اليأس هو أملها الملح . فمن أعاجيبها أنها تغترف القلق راحة وديدنا فلا تمله .

ـ ج : أو تقسو على الشيخ اغراء للشباب ؟ أم هى الحسرة ؟ أم هى غير ذلك ؟.

ـ ز : لا قسوة وإنما اعتراف ، ولا اغراء وإنما هو تحذير ، ولا حسرة وإنما هو الحرمان الما لذيذا .

ـ س : ما هو الفرق بين الألم اللذيذ واللذة المؤلمة ؟.

ـ ز : الحب والهجر والوصل والعذاب ألم لذيذ وتهذيب مريح . أما التشهى والنوال

وعقابيل الجنس فلذة مؤلمة .

فما من ألم ملذ تبغى عنه توبة . ولكن اللذة المؤلمة هى الرغبة قسرا بالندامة الى التوبة .

ـ ش : ما هو الجمال ؟

ـ ز : الجمال كل شئ . كل حى . كل حياة تأخذك فقوة الأسر فى أى شئ أو حى أو حياة تعشقه . تعشقها هو الجميل . هو الجمال .

أما ما يبعدك يقصيك ، فلا تأخذه . فلا يأخذك فهو القبح . القبيح .

من هنا تفاوتت النظرة الى الجميل والجمال .. فارس يبهرك . ملاكم ينتصر . زين يخطر خطرة الهيفاء .. حلوة . زهرة .. حصان .. بناء .. كل هذه حين تأخذك نفسك لنفسها هى التى أسميها الجميلة .. والجمال .. لا مقياس .. ولا نظام .. وإنما هو التجاوب والتلاقى كهربية يرسلها اليك تمغنط ذاتك لذاتها .

هذه القوة المغناطيسية هى دفق الجمال واندفاعه وأخذه وأسره .

فالطاعة له جمال فى نفسك من جمالك فى نفسه . لنفسك أخذها . لتأخذه بها .



صحافة وكتابة

صحافة وكتابة

● حتى فى الحب لا أحب الزحام ، ولا يعنى هذا أنى أحب الوحدة ، وأعشق الغربة .. لكن ليس من طبعى التباهى بالانتصار على أحد .. لا خوفا من الهزيمة ، فالهزيمة لا ضرائب عليها .. تدفعها هى فقط لا غير .. إنى أخاف الانتصار لشخصى فى أى معركة وجدانية .. لأن ضرائب الانتصار قد لا أستطيع دفعها !

من هنا ، اتخذ فى بعض الأحيان من « كلمة ونص » متنفسا ابتلع فيه الهزيمة ، واقتلع الانتصار !.. محطة استراحة .. فمثلا : أجد بعضنا لا يقدم على موضوع يكتبه ابتداء ، فأتقدم لأكتب فيه ، فلا أجده فى اليوم الثانى إلا فاقدا « السقاطة والانقرمنيس » .. أصبح « كل جماعة يشترى يا واد » !.

يذكرنى ذلك بالحجاج الجنوبيين أيام زمان .. يرحم ، أيام السقاطة و« الانقرميس » !.

وفى حال آخر .. أجد موضوعا كلهم كتب فيه .. زحمة .. تكاد تضيع الفكرة .. أهرب من هذا الزحام الى فكرة جديدة أرسلها بعد !

لا يجزعنى أن أكون الأخير ما دمت وراء الجماعة رداء لهم ، أو حتى « قشاشا » !.. ورضى الله عن صفوان بن المعطل !..

مزاج ، أو حالة .. لهذا سأتبجح فى اليوميات عن مواضيع حجبتنى عنها الزحمة !!

●●●

● فى المأتم عادة يجلس الناس للعزاء بأدب ، وسكينة ، ووقار .. صمت من الكلام الى درجة الهمس ، أو السكوت .. عدم استعمال أى شئ باليد .. السكون يخيم على الجميع كأن على رؤوسهم الطير .. لا أحد يستطيع أن يجرؤ على « شخطة » كبريت .. يولع سيجارة ..

لأن الانصات الى القرآن يعلم الناس الأدب ..

لكنى رأيت صديقا لنا هو أكثر صداقة لأصحاب المأتم قد وضع « الغليون » فى فمه .. هم يسمونه « البايب » تقليعة جديدة يجربون فيها طريقة تشرشل ، أو « جون بول » آخر يتكلم ، والبايب فى فمه .. ذلك أحدث لهجة جديدة فى اللغة الانجليزية اخنت على اللهجة أيام شكسبير من اعوجاج الفم !

استكثرت ذلك منه .. كيف يشرب الدخان وهو جالس للعزاء !!

نصحته حين قمت اليه ، فانصاع .. اعتذر بأنه قد نسى نفسه !!

حالة قلق .. الله يعين الناس هذه الأيام ، وتذكرت الأستاذ حمام فى قصة رواها لنا .. قال : كان أحد الشيوخ من الأكابر يقرأ القرآن فى مأتم لمصرى كبير من حقه أن يحضره الكبراء حتى رئيس الوزراء ، والتفت الشيخ فوجد أحد الوزراء قد وضع السيجارة فى فمه فقال الشيخ : صدق الله العظيم ، وهب قائما يترك المأتم ، فلما امسكوا به قال : لن أجلس حتى يتأدب هذا الذى يشرب السيجارة والقرآن يتلى .

● يظهر أن الزمن والأوضاع والأحوال هي التي تملي على كاتب هنا وهناك أن يقول مثلما يقوله الآخرون .

كل الفارق هو اتساع النشر لما يقولونه ، وضيق الانتشار لما نقوله ..

ذكرني هذا بكلمة فاخرة من صديق كبير حضر قبل خمسة وعشرين عاما مؤتمرا ضم كبارا من العرب في بلد عربي ..

وانتهى المؤتمر ، وجاء صاحبنا الى بلده ، فجرى حديث معه .. فقال وهو فرح فخور : كلهم مثلنا ، سرنا معهم حتى تحاذت الركب .. هم « زينا ولا فرق » ..

ـ ومرة أخرى يذكرنى ذلك كله بكلام سمعته .. كنت قائلا له من قبل .. تحدث به صحفي كبير في إذاعة عربية .. هو يروي كلامه ، ونحن صناع كلامنا ..

ـ قلت من قبل : إن القارىء هو كاتب ما يقرأ حينا يرفضه أو يقبله .. والكاتب قارىء لما يكتبه اذا وجد ما يلاحظ عليه من عيب أو نقص أو ندامة ..

- وقال الصحفي الكبير : إن القراء هم الذين يغيرون ويبدلون ما يكتب يوميا أو دوريا .. فما يعجب القارئ تستمر الجريدة فى نشره ، وما يرفض تلغيه ..

وليس هذا بالشيء القليل .. فإنه يعطينا الفهم لقيمة الجريدة من الفهم لقيمة القارئ .

إن يقظة الجريدة لمطلب القارئ هو أساس نجاحها ، تعطيه فكرها من فكره ..

وهو يأخذ فكرها لفكره ، ويعطيها فكره لتفكيرها ..

إن أى جريدة لا تعبأ بالقارئ فسوف تجد نفسها قارئة نفسها ..

وإن أي قارئ لا يعبأ بأن يفكر لجريدته ، فإنه سوف لا يجد نفسه قارئا ما يفيد ..

قسر الزمن ، وتشابه الأحوال يعطيان الكلمة الواحدة لحال واحد لا يختلف من مكان الى مكان ، فليس هناك كبير أو صغير عن التفكير المحتد بمقتضى تداعي الأحداث والأفكار ..

● لم أسمع أن البنات يلدن الأعداء أو هم الأعداء إلا أمس ، فلقد وجدت بجانبي « كليلة ودمنة » ، فأغراني أن اطالع فيه تسلية .

قرأت باب « الطائر فنزة » فوجدت فيه هذا الكلام .. فهل هي عقلية ابن المقفع الفارسية حملته على ذلك ، ام هي شبعة من الثقافة العربية الحاملة عليه ؟.

لا أرى أن أمة من أمم الأرض قد ذاقت طعم العداوة بأسباب البنات إلا الأمة القبلية في عصر العرب الجاهلي .. يتقاربون بالتزاوج كعمل العقل لتقارب الأرحام والانساب .. هذا يحميه اخواله إن جار عليه اعمامه .. فالخال عندهم والد ..

فكم من اخوان انصفوا ابن الأخت فأخذوا حقه وصانوه .. فالقربى بالخالات والاخوال جلبت الصداقة والصدق .. وهي أيضا في أوضاع شتى جلبت عداوة ولد البنت إن جار أخواله على قومه وأعمامه ، أو قتلوا اباه ..

أحوال شتى فيها الكثير من الطيب والجميل جلبته البنات ..

وأحوال أخرى جلبت عداوة ابن كليب على أهل أمه حين قتلوا أباه وحاربوا قومه ..

وأحسب هذه الأخيرة ولادة الأعداء ، لا تكون قانونا يفرضه سابق البلغاء .. معلم البيان عبد الله بن المقفع ..

فالبنات حبيبات ، يضعن الحب ويلدن الاحباء كما هو قليل أن يلدن الأعداء ..

فابن المقفع كان يشخص حالة مرفيها .. إنه قد بلي بنكبة الاعمام من ابن الأخ .. لا من الأخوال .. فما نكبة المنصور وهو الخال لعمه عبد الله بن على ، وإنما كانت النكبة لأنه عم .

فهل ولد الأبناء الأعداء ؟.

وقليل ذلك .. وهو لا يصلح قانونا .. يرحم الله ابن المقفع فقد قدم على رب واسع المغفرة .

● أستاذنا الرافعى كتب تحت عنوان « كلمة وكليمة » فلا عيب علينا إذا ما قلدناه .. بل إنه يسعدنا أن نشعر قارئنا بذكراه .

* عندما يتحول الفكر الى حب نسميه عقيدة .. أى عقيدة ، كل وما فكر وما أحب ، أو من أحب .

وحينما يتحول الحب الى فكرة نسميه عقدة أو فلسفة .

وحينما يكون الحب مجردا من الفكرة نسميه طبيعة .. أو هو العادى

وحينما يكون الفكر مجرد من الحب نسميه الواقعية . التجرد .

وحينما يكون الحب جموحا فى تحقيق رغبة نسميه شهوة . مطالب حيوان .

* وحينما تكون السرقة مجدا يصبح المسروق مستضعفا أو راشيا .. وإن خلا من هذين فهو السارق لنفسه .. أباح لسارق أن يسرقه ..

* وحينما تكون الأمانة أو العفة ضعفا أو بلادة فى نظر بعضهم . يصاب المجتمع بردة أخلاقية تنزع الفضائل وتزرع الرذائل .. يذل بها الكريم ويكرم من أجلها اللئيم .. ليكون رد الفعل فى الصورة التى تنسب فيما أذكر للإمام على .. « احذروا صولة الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع » .

الكريم لن يكون واحدا .. وإنما هم الذين أصيبوا بالردة الأخلاقية .. وأما اللئيم فواحد وإن تعددت الصور

* حينما تمضغ الشاة ورقة برسيم فإنها لا تفكر باجترارها .. كل عملها أن تأكلها الآن وإن اجترتها بعد .. عملية ديناميكية .. قصرية .. لا اختيار لها .
ولكن الإنسان حينما يأكل لحم أخيه يمضغه يجتره .. هو ليس له معدة تجتر ولكن عملية الاجترار فى عواطفه .. يجرجر صاحبه الى موقف مرذول ، عل الناس يصدقونه فيما قاله فيه .

* التفوق أو النجاح ستار سميك يغطى كل المعايب .. فيه فتحة يظهر منها وجه يشير الى الناس .. كل الناس : اتبعونى !

* والفشل ثوب فضفاض فيه مئات الرقع ، كمضربية الدرويش ، كل رقعة يطل منها وجه .. وعلى كل رقعة يمتد لسان .. الوجه يقول : ابعدوا عن طريقى .. الجربان يعدى .. والسنة البشر تقول : مسكين !

* بعض الشعوب تطرد الموت بالحياة .. وبعض الشعوب تطرد الحياة بالموت .. سلاحها فى يد الجبناء وأموالها فى يد البخلاء .. ورأيها املاء الدخلاء .. وحكمتها من أفواه السفهاء .

● وأمسكت باليد الأكرة أريد أن أفتح الباب ، فعندى إذن سابق ـ ندخل البيوت من أبوابها ونستأذن من أهلها ونسلم ، فوجدته مرتجا أغلقه إنسان يكتب .. كانت هوايته الكلمة فاحترفته الكلمة !.. يريد أن يخلو من غوغاء تأتيه سائلة عن الأخبار ، والجو والسيارات والسواقين ، والبصل والبطاطا ، والفلت والذباب والانفلوانزا ومشلحى الكفرات وهى على أبواب العمارات !.

وأذنت لنفسى بالدخول أسحب لسانى الى سكوت .. أمنعه عن أى سؤال من هذه الأسئلة الرتيبة يتخذها الناس مداخل لمخارج .. يأتى منها بعض ما يريدون .. أقله العكننة ، وبعضه سرد الأخبار فى مكان آخر !

وجلست فى مكانى أتسرمد فيه متقمشا فى لحظات أعيشها ، نخوض حينا فيما يخوض فيه لاغ من هؤلاء اللاغين ، أو نخوض معا فى حديث وحديث .. إذا ما اجتلينا أو خولنا .. نلمس جوانب الفكر والنفس والحال والأمل والسأم .. أتعلم فيه الاجابة وأتعامل فيه مع

انسوأل فى حوار نظيف لا يعجزنا من يلغو لنكتب ، ولا يلهو بنا من يتلهى عن وضع الحرف فى سطور بيضاء سؤددها فى سوادها من سيادة الكلمة المصفاة بالوازع النظيف للغرض النظيف !..

غرض الكلمة دائما نظيف حتى ولو كانت مقزعة جارحة . فالعصا آله نظيفة فى يد المربى .. يزجر فيها من هو راحم .. فبعض الناس يستأهلون أن تشوى آذانهم بكلمة لعل قلوبهم تصحو من لؤم يركبون به الناس !

الكلمة بوازعها من كاتبها ، ولموردها لابد أن تكون لها هذه الركائز الثلاث ، فإذا وجدتنى أحبك لابد أن أجدك صاحب وضع أو أهلية لهذا الحب .. لكن الضريبة عليّ ألاّ أرضى لك أن تعيش السارق المسروق ، أو الراشى المرتشى ، أو الكاذب فى غفلة زمان خدع الناس فصدقوه !.. حبى لك يجعلنى أمسك بالكلمة المقذعة كعصا المربى أرجو منها الصنو للحب فلا يذهب هدرا كموضوع فشل .. إن غوالي الوجدان يحرص على صونها الأمناء لتاريخهم وأحبابهم ..

الحياة ليست عطاء من يد تسيطر بها على آخر . وليست استعطاء تستخذى به أمام مستعين ..

الحياة عطاء من وجدان المعانى وأخلاق وسلوك وصداقة . يحترم فيها الصديق صديقه .. يحترم الذين يحترمونه .

إنه بهذا الحشد من الكرامة يستطيع أن ينتصر على المخزلين والناكرين .. تلك كلمة .. قلتها وأعترف بأن كل حرف فيها له ظله الواضح على مقاس إنسانه الذى لم يتضح بعد .

● فى الصيف يستجم الإنسان .. يستريح ـ يعنى يأخذ إجازة « يغير هوا » ..!!

وفى الشتاء يستجم الحيوان ، ولو دفن نفسه فى جحر من الثلج .. هى راحته ، بل هو دفؤه .. كما النبات يصوم فى وقت معين ـ يعنى يستريح من الامتصاص ـ الكفاء فيه ـ يعنى بقاء الكفاءة ـ من قوة امتصاصه لنفسه ، وأنا كانسان أسأل قارئي لعله يمنحنى إجازة .. فقبل أن أمنحها لنفسى ، أو استمنحها عكاظ .. أستأذن القارئ .. أى قارئ ؟!.. لا تحسبونى

أعنى المستجيب .. يستحسن كل ما تحسن فيه .. فللقارئ السالب المناقض كل الحرمة .. مثله مثل القارئ المستجيب .. كلاهما يزودنى .. على الأقل بالحرص على الارضاء كالتصميم على الاغضاب .. فمتعة الكاتب أن يكون بين هذين .. موجب يحثه ، وسالب يستحثه !!

أفكر .. إذا رزق الله ، وطلعنا إلى الطائف .. نكون لعبنا وبطلنا !!.. واذا حالت العقابيل ، وأبقتنا « صاردان طاح على بردان » نصبر على الندى .. الندى يعنى الضباب ، وليس هو الندى يعنى الجود (!!) .. فالجود من الموجود .. يعنى وجود الكرم فى النفس .. لا وجود المتخمين بما لا يجودون به ، وليس هذا المتخم الذى أعنيه هو المتخم بالمعرفة .. إنما هو المتخم « بالمغرفة » !

قوة أن يستمر القلم فى يدك تكتب الكلمة .. لا تستعيرها من المنفلوطى ، كما يفعل بعض المتخمين بالمعرفة الآن ـ أيام زمان !! ـ ولا تستعيرها من مسخر باليد العليا تخضع لها اليد السفلى .. تسخره أنت بالاكراه لأنه يمد يده ، أو تخضعه بالود لأنه يفتح قلبه ، أو تحتال عليه بالمسكنة .. تعطيه خلجاته .. كما إنسان استسعر عليه حيوان !..

وكفاءة أن تكتب ما تريد .. وقدرة أن تكتب ما لا تريد .. سواء كان هو المراد منك بالتسخير ، أم المراد لك بالسخرية طلبا لمنفعة ، أو إرضاء لمن تمسكن بين يديك حتى إذا تمكن « تملعن » !! فالقوة طاقتك المعدة يعنى هى « الفولت » و« الأمبير » والكفاءة ابراز الطاقة مرونتها .. تلوينها .. حتى تلويعها ، والقدرة زخرف هذه المزونة فى الكفاءة والقوة .. ليس هذا تعريفا كقانون المدلول ، وإنما هو قانون الحرف المطلول .. أتعرف به على فهم لتفهم ما أريد ، أو لأفهم ما تريد ، ولكن هذا الاستمرار بالقوة ، أو بالقدرة ، أو الكفاءة تكتب وتكتب .. قد يكون مبعثه من تضاعيف الاستضعاف ، أو مفعول الضعف هو مسخر القوة والقدرة والكفاءة لتكون السخرية من عجزك ، وحتى الاستعلاء ليس هو من مظاهر القوة .. لأنه القوة المفتعلة لستر الضعف !

السخرية من عجز تموت به الحروف على سنان القلم .. يكتب ما لا يريد ليرضيك بما تريد ! .. وحتى انصراف السائمين منك عنك قرأوا .. وقرأوا حتى إذا أصابهم « القرف »

من السرمدية المملة نفذ صبرهم على الطعام الواحد ! .. لا يسألون عن القوة والقدرة ، وإنما سؤالهم عن تقصير الكفاءة .. عن الضعف فى التلوين والتجديد !.

الضعف لك فيك .. من نفاذ الصبر .. يلقى بك القارئ فى سلة المهملات ومن الانفاق المستمر ينتهى به رصيدك : « جبال الكحل تفنيها المراود ، وكثر لمال تفنيه السنون » !

رصيدك ينتهى وينفذ من نضوب المعرفة ، وجفاف الاحساس وانعدام الصدق فى العبارة .. لانعدام الصادق من التعبير !! الاكفاء لا يسخرون من الاكفاء ، وإنما المضحلين .. المقحلين ابتلانا الله بهم ولو بالتحدث معهم .. لا تجدهم إلا الساخرين من كفاءة الأكفاء !

صياغة السيف كفاءة لكنها تبدو الكفاءة الأروع إذا ما نقدها وحكم على جودتها صائغ « كابن بانى » ولكنها تبكى حتى وإن لم ينقدها ، أو أثنى عليها صبيان الصاغة الذين ما صبوا لهم الفنجال ، ولا حزموهم حزمة الرجال !!

والملل الطويل قد تقدر عليه بالتمرس السرمدى .. أما الكلمة « الاصانعى » القصيرة .. يعنى الايجاز فصعب أن ترسل إنشاءها ترسلا ، أو خبرها مرسلا .. الاطناب سهل بالممارسة قد يستطيعه الذين الفوا الادمان على الكتابة ، ولو كانوا من سراق المقالات ، أما الايجاز فصعب لأنه ممارسة للفكرة والرأي والكلمة ، ولأنه العبء .. الامتلاء من كل ما حولك بما هو فيك ولك منك .. بهذا البسط من مقام الكاتب والقارئ نصحت لنفسى أن أتوقف قليلا استجم شهرا فى الصيف .. استريح من عناء ، واريح القارئ من غثاء .. فهل أمنحها ؟!.. إلى الآن لم أقدم الاستدعاء لمنح هذه الأجازة !.. الاستدعاء عليه طوابع ببضع قروش .. يعنى شئ يطير الريال !.. قد تكون هذه القروش السبب فى العدول عن الإجازة !!.

● .. وكثير هم الذين تغيظهم هذه الكلمة : « كما » .. أشاعها العكاظيون .. بعضهم يتهامس باستزذالها ، وبعضهم يملك من الحب ـ ولا أقول الجرأة ـ أن يصارح بخطئها !.. كأنما من يكتبها قد اقترف الانحراف عن البيان ـ بالانحراف عن تقنين اللفظ !..

هى لا تدخل إلا على الأفعال .. قانونها ، نحترم القانون ، وعلى رأسنا ما سنه

البصريون من أن التواتر فى السماع هو القاعدة ، والشاذ لا يؤخذ قاعدة ، ولكن .. لماذا لا تضعون قانون الكوفيين على رأسكم ؟.. ولنعم بهم .. من أن لكل سماع قاعدة ؟!

البصريون أكثر احترازا ، والكوفيون أشد احتراما وتوسعة ! ولا زلت ـ ورغم تبذل اللهجات ـ فإنى احترم سماع باديتنا فى سلامة النظم .. فى تركيب الجملة ، وصحة اللفظ ، ولو تبذل النطق به كلهجة ..! فالفاظهم أصلها فصيح .

ويعجبنى قول طه حسين : إن اللغة ينبغى أن نملكها .. نتوسع فيها .. كما هى تملكنا .. نعتز بها ، اما أن نكون عبيدا لا نتحرك فى الاشتقاق الواسع والتعريب المتسع فهذا شىء أحسبه الجمود يضر ويحجر فلنفصح الكلم الإعرابى العامى ليرتفع ، نغلق الباب على الانحدار بأسلوب كله العامى لا أصل له !..

كنت أنكرها كالمنكرين ، ولكنى قد أحببتها ، فارغمنى حبها على أن اتنكر لانكارى !.. وكيف أحببتها ؟.. الأن كاتبا فى عكاظ كتبها ؟.. أم لأن كاتبا عربيا آخر نقلها عن السودان فكتبها ؟!

لا .. لقد أحببتها ظهر يوم فى الهدا .. كنت مقبلا من الهدا فى مقهى يملكه إعرابى من ثقيف .. من هوازن ، ولما أردنا الرحيل حمل طفل معى قطا أصفر اللون .. مطعما بحبات باللون الكميت .. كان « البس » فى المقهى سارحا لكن يظهر أنه « خرج بيت » طيب !.. أنيس .. لم يشاكس الطفل حينما حمله ، وقلت للهوزانى : أهذا قطك ؟!..

ـ قال : أخذتموه ؟!.. وشعرت بهزة من الطرب لهذه اللفظة « أخذتموه » .. لم يقل أخذتوه ، وإنما زاد الميم إنتماء الى عرق .. جعل هذه اللفظة من أعلى الفصيح ، فكأنما أسمع نافعا مولى بن أبى نعيم يقرأ بها القرآن !.. طربت كثيرا .. حتى إذا ناولناه حسابه قال لنا : ما طولتم .. ليت كل الناس « كما كم » !.. قال هذه الكلمة .. فتنكرت لانكارى .. لأن بدويا من بلدى نطق بها ، فلا عيب على « عكاظى » ! ان يكتب بلهجة اعرابى !

والسودان أخذها منا .. فإذا كان اعرابنا يقولونها ، والسودان يتكلم بها .. فإن السماع منهم يصبح دليلا يعذر فيه كاتب اذا ما وضع هذه اللفظة طرفة .. كتحفة من وجدان الاعراب !

وفى اسطنبول لقيت « صالح أوزجان » عضو الرابطة الاسلامية فلما تكلم معى نقلتنى الفاظه ولهجته الى « الحرة » .. الى خيبر كأنما أسمع أحد قبائلها ، يتكلم مثل ما تكلم « صالح أوزجان » .. فهو من جنوب الأناضول ومن أصل عربى ، فكيف انتقلت لغة « الحرة » اليه ، ولهجة بنى رشيد ومن يقاربهم فى المنزل لا فى المنزلة من عنزة ، وولد محمد ؟!

إن السماع أعطى « صالح اوزجان » لهجة الحرة والفاظها .. انتقل بالهجرة الى شمال سوريا ، وجنوب الأناضول !..

عيب هؤلاء الحاجرين أنهم لم يرضعوا لبان العربية من الثدى ، وإنما تجرعوها من المرضعة الزجاج !!

● كدت أتمزق من ضيق الضيق .. كان مضاعفا كأنما هو ركام فى وسطه نار لما تترمد بعد .. عليه رائحة الدخان كأنما هو شياط لحم .. كأنما القلب فى توهجه جمرة لم تتفحم بعد !!

ليس هذا فى نفسى من نفسى ، وإنما هو بما فيها ، وبما هو عليها .. ضيق تعيشه وضيق يتراكم عليها من حيث المعايشة معها !..

ودخلت إلى المكتب إياه فى عكاظ ، فوجدت حرفوشا لما يبلغ الدرجة الكبيرة للحرافيش قد تسلطن على كرسى عريض ، وقفت على الباب أنظر إليه ، وكأنما كنت أعشى النظرة من جهرة الشمس تظلم العين حينما تدخل مكانا ضوؤه حالم . نظرت إلى هذا الحرفوش فحسبته إنسانا آخر من الذين تقمصوا بمكانة فى نفوس الآخرين ، ونظرت مرة أخرى حين قاربته ..

ـ قلت له : ظننتك الفلان .. تعال أخرج من كرسيك ، وانظر نظرتى لترى أنك تشبه هذا الفلان !.. وضحك الجميع ، فإنه إذا قام من الكرسى لا يبقى فلان فوقه !..

ـ قلت : لا تعتبروها نكتة .. هى سرقة الضيق .. صور لى بالعشوة أن اراه غيره .. حتى إذا سرقتنى لأنسى أنه غير هذا الفلان جئت بهذه النكتة !.

إنها ليست نكتة لأنها فاضحة الضيق .. أراد أن يسرقنى من بهجتى فسرقته البهجة بالكلمة لتتفرج النفس فأصبح فى لحظة ذات أبعاد .. بعدها الرابع تقبل الكلمة .. هذا

التقبل لم يطرد الضيق ، وإنما أوجد سعة السعة .. إذن .. حينما يأكل الانسان نفسه بالاجترار لشئ ضاق به فإنه يضيع ، وحينما تأكل الكلمة المبرقشة الضاحكة مع صحاب يفهمون فإنك طارد لهذا الاجترار لا تبقى أثرا منه ، فلقد خرجت أضحك لا بملء شدقى ، وإنما بما تسعه رئتاى .. بما ينبع من هذه المضخة : القلب .. لقد ذهب الضيق بضحكة صديق .. بكلمة رفيق .. ما أيسر المسعدات ، وما أغنى المكربات ، إنك لن تكرب إلا بما يعترى غواليك ، ولكنك لن تكرب إذا ما طرحت غوائلك تغتال نفسها .. هكذا ذهب الضيق ، وجاءت السعة ، واضحكوا معى !!

● .. وتنسمت أشم عبير ترابى .. فاذا بى أشعر بيقظة الوجدان قد أصابته نعمة من أمنة النعاس ، فكأنما أنا أصحو لأنام فى خدر العبير ، أو أنام لئلا أصحو على هدير محركات الطائرة .. وليس ذلك نومة العجوز وصفها حكيم يوما فقال :

ـ لقد أصبحت أنام فى الملا .. وأسهر فى الخلا .

أى ينام وسط الناس ، ويسهر فى الخلوة بعيدا عنهم يتطلب فيها النوم ، وكأنما هو يطرد الكرب بالناس .. ينام آمنا .. بصوت الانسان يسمعه .

وهو لا ينام فى الخلوة لأنه يكون وحده .. يطوى نفسه على كرب موقظ .. لا يطرد إلا بشئ مخيف من أحلام اليقظة تطرد إرهاقا غيرها ليكون بها كل الارهاق ..

إنها نومة السكينة .. اطمئن إليها وبها بعد سفر طويل مرهق من بومباى إلى بيروت ، ومن بيروت إلى جدة ..

وإنها لصحوة السكن .. اسكن فى غبطة الوجود بين الأهل والاخوان .. يلقانى كل ومقاس حبه .. أو مطالبه .

وكل يطالبنى أن أكتب عن الهند .. كيف رأيتها أمس قبل خمسة وثلاثين عاما ، وكيف أراها اليوم بعد الاستقلال ومخاض التجربة ؟..

ولست بمستجيب لكل ما يريدون .. فالكتابة عن الهند ليست الخطوة الأولى فيها الملاحظة بالإعراب عن المشاهدة وإنما هى تكلف المراجعة والمطالعة والتفكير والتحليل

والقبول والرفض ، وطرح ما يعتقده الانسان صوابا لأنه أصبح الخطأ الآن . وكل هذا محفوف بالأمانى والمحاذير والارهاق والانطلاق .

أعد أنى سأكتب الفصول عن الهند .. لا للهند ، فهى فى غنى عن ذلك ، ولكن لغيرها من الذين يحبون البقاء على صواب قديم ادركته التخطئة بالفهم الجديد .. فالصواب والخطأ ليسا فى واقع ما هناك ، ولا فى دوافع من هناك ولكنها فى التصور عن هناك .. والصورة عن الشئ فى ذهن قد تختلف عنها فى واقع أمرها أو فى ذهن آخر .

دعونى عن الكتابة عن رحلة خمسة عشر يوما .. إلى رحلة طويلة .. هى رحلة الانسان مع واقعه ومطالبه وآماله وترابه .. سواء كان لذاته .. أو كانت كلها لبيئته .

فإن البيئة تحكم السلوك .. وهى طليعة الحياة .. فعلى الذين ارادوا النقل بالمسطرة من تطبيقات بلد ليطبقوها فى بلدهم هم خاطئون لأن ما يصلح لبلد لا يصلح لآخر .. والمسؤولية تحتم انتزاع الفرحة بما يستحسنه الآخرون لزرع تطبيقات توائم عقائدهم وتقاليدهم .

إن النقل بالمسطرة لأى تجربة .. أو لأى تطبيق .. هو تقليد لا يأتى بالأصالة .. الأصالة تبنى الذات لبناء فى البيئة تقبله ولا ترفضه ومن هنا يصعب الموضوع على الكاتبين وإن سهل على الفرحين بالتقليد والانبهار بما رأوا ..

ومن هنا أيضا لا أتعجل لأنى سأتمهل وفى العجلة الندامة وفى التأنى السلامة .

● وتجيش فى نفسك الأحاسيس .. كل الأحاسيس .. وتنفعل أفكارك ، يصهرها عمق التجربة .. وتكاد تقرأ فى الهواء كل ما تشعر .. كل ما تفكر ، سطورا منسقة ..

وتتلفت حولك .. إنك فى « الشارع » تسير !

فتجرى .. تتجه إلى غرفتك .. أو إلى عالمك الصغير !

تريد قبل أن تتبخر انفعالات نفسك وضعها على الورق ..

أنت تعشق الكلمة ، بواسطتها فقط تستطيع رؤية ما بداخلك .. فى حروفها تثق .. فتسكب نفسك وروحك معانى لا تكتمل إلا عندما تصافح أعينا أخرى ، ومشاعر

آخرين ..

وها أنت تجلس إلى مكتبك .. قلم بين أصابعك .. وورق طوع إرادتك .. والابتسامة ، بطموح ما زالت على وجهك ..

ولكن شيئا يحدث !

الابتسامة تتحول إلى تقطيبة على جبينك .. والقلم بين أصابعك يتسمر .. لا يريد حراكا .. والأفكار والمشاعر قد تجمدت فى زاوية ما بداخلك .. وتكاد تحطم القلم بين يديك .. أو ترميه أرضا ، تدوسه بقدمك ..

ولكنك فجأة تتذكر معانى فلسفية كتبها الوالد « الزيدان » ذات يوم :

« إن العلم لا يفسر بالارادة ، ولا يكسر بالهوى .. هو دائما الآسر حينما يعبر عن النفس .. لئن كان مجرد آلة فإنه بنوازع النفس هو محركها .. والقلم بالتعبير كالمبرد إن لم يحطم القيد دفعة واحدة .. فإنه يفتت الحديد بالاستمرار .. بمحاولة الانتصار » ..

وهنا نترفق بالقلم .. وندرك بأن علامة السخرية التى رأيتها ترتسم على محيا قلمك إنما هى إنعكاس لشىء ما بداخلك .. وتتجه صوب نافذتك .. تتأمل محتويات تلك الفلسفة .. وتحلل الفلسفة الكامنة خلف المعانى .. وتستند برأسك إلى زجاج النافذة .. ترقب الطبيعة .. السماء .. تستمد منها معانى الحياة .. كل المعانى .. كلها .. وتهمس ..

نعم إننى أدرى .. إنه ليس القلم .. ولكنه أنا ! أو تغمض عينيك لتعترف ! إننى أخاف ، فتنتحر انطلاقاتى ..

لا أخاف يأسا .. ولا أخاف « خوفا » .. كما أنى لا أخاف انطلاقاتى ، ولكنى أشفق عليها ..

إنى أخاف على نفحات روحى من أعين لم ترأبدا من خلال منظار « هوفمان » .. أعين لا ترى وإنما تعسف فقط !

وقد ترد عليك نفسك قائلة :

إن السبب غير مقنع .. إن الأعين ليست كلها متحجرة .. وليست كلها رؤية من خلال منظار « هوفمان » .. هناك ظلال أخرى تصل ما بين اللون الأسود واللون الأبيض ! إن

الانطلاقة حين تخطها أحرفا .. تصبح ملكا بكل تلك الرؤى .. وليست بملكك .. إنها عطاء نفسي وفكري لا يجب علينا أن نقبره بداخلنا لمجرد أن هناك من لا يستوعبه .. وبالتالى يرفضه .

وتستمع إلى حديث نفسك .. أو ربما هو حديث إنسان ما أو اناس آخرين يشاركونك حياتك ثم ترتسم ..

وتجلس إلى وريقات تنقرشها ..

ثم تفرغ .. لتقرأ ما كتبت .. فيشوب ابتسامتك شيء من الحزن .

إنك تقرأ صورة لرواسب ذلك الخوف فى نفسك ..

إن الصورة تؤلمك .. وقد تؤلم آخرين معك .. فهل يقدرون ؟

ولكن سرعان ما تتلاشى نغمة الحزن .. أنت الآن تعيش دون خوف .. دون رواسب .. أنت الآن تملك انطلاقتك ، ولا تملكك !!

لقد ملكتها فقط عندما تأكد لك بأن منظار « هوفمان » حقيقة تتعمق من خلالها كل الرؤى فى مشاعرك ..

وتتأصل الابتسامة فى داخلك .. ولا تملك إلا أن تبكى سعادة .. وتتمنى أن تحل سعادة مماثلة فى نفوس آخرين .. بل فى نفوس كل الآخرين !

● بعض الناس يجلدك بكلمة .. أنت فى حاجة الى عملية سلخ لهذا الجلد السميك .. إذا ما تقطع بالجلد تفسح القلب كأنما النزف عملية حجامة لتطهير الدم !!

الجلد هنا ليس « بكرباج » فصاحبى الذى جلدنى بالكلمة لا يستطيع أن يمسك « الكرباج !» .

ـ قال لى : كنت اليوم فى دار التربية .. رأيت أشغال اليتيمات .. كلاءة الشؤون الاجتماعية لها أمرها ، وتفوق اليتيمات نحن الكاسبون لثوابه .. لنا .. رحمة .. عناية تكتنف مشاعرنا بهذه التحية للقائمين على الميتم أو المشغل للطالبات فيه .

ـ قال لى صاحبى : رأيت أشغال اليتيمات رائعة .. يتيمة من غلاوتها كأنما هى الدرة فى

تاريخ نفسنا الإنسانية .. رأيت الأشغال والتحف ستعرض فى مزاد علنى فى الحفل الذى تقيمه الشؤون الاجتماعية تحت رعاية سمو الأمير مشعل ، فسألت ـ يعنى صاحبى سأل .. اسمه محمد عبد الواحد ـ ذهب من عكاظ يواكب الاستعداد للحفلة لتغطية عكاظ حق الانتصار واسع الانتشار ـ قال الصحفي المذكور !!.. سألت القائمين : ماذا تصنعون بالقيم المدفوعة ؟.. وكنت أحسب الاجابة : أن تأخذ كل يتيمة قيمة ما صنعت ، أو أن يكون بعض الدخل عونا لتحسين فى المشغل .. لكن الاجابة قالوها لى : لقد أجمعت اليتيمات على أن القيمة كلها المدفوعة لكل قطعة فنية تجمع فترسل فداء للفداء .. عونا للفدائيين !.. هنا ليست الكلمة للمال .. الكلمة للحوافز والدوافع .. الكلمة لقلب يتيم يعطى اليتامى فى فلسطين بعض ما كدحت من أجلهم !.. وأتم قوله يستظهرنى الاجابة عليه !.

ـ قلت : الألم يحس بالألم .. اليتيم يعرف معنى اليتم و .. و ..

ثم قلت :ـ

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها !!

● تقرأ فى بعض الأحيان ما يكتبه إنسان ما ، فتتعثر فى الفهم .. تلقى بهذا المقروء أرضا .. تقول : لا نفهم .. لم نفهم ..

هذه مشكلة بسيطة .. المشكلة المعقدة ـ لأنها ليست صحيحة ـ أن تقول : لن نفهم ما كتب هذا الكاتب .

تظن أنك تجرحه .. تتهمه بالاغلاق . هذا صحيح حينما قلت : لا نفهم ، وهو صحيح أيضا حينما تقول : لم أفهم .. ففيهما التجريح ، أما لن نفهم ، فاهانة لك ليست استهانة به .

لو أعدت القراءة مرة أخرى لوجدت الفهم الصحيح .. تفهم ما أراده ، أو أكثر مما أراد ، أو حتى النقيض لما أراد .

بالأمس قرأت عبارة فى سطر واحد .. تجاوزت عينى لفظة واحدة ، قلت : لم أفهم ، ـ قلت : لا أفهم لكنى أحجمت أن أقول : لن أفهم ، هذا عيب .

ترفضك القراءة إن قلتها .. بطردك الكتاب إذا ما تعاملت معه بهذه الجملة ..

فأخذت السطر أقرأه مرة ثانية فإذا به يستقيم للفهم لأنى حين دققت النظر أنهضت الكلمة التى سقطت ، فنهض بى الفهم لهذا السطر .

قد يقول واحد : كيف يكون السطر معجزاً فى فهمه ؟! إنى أقول له : الايجاز المكتوب معجز ، والايجاز المقروء له المرتبة نفسها فى الاعجاز . الكثير من القارئين يفهم الكلمة المطولة لأن السباق ، والسياق والترجيع والترديد عوامل موضحة .. أما السطر المضغوط فليس هناك سباق أو سياق ، وما إلى ذلك . وإنما هناك ألفاظ معدودة تكونت بها كلمات محددة حصرت معانيها فى شئ محدد ، فإن تجاوزت عينك لفظة منها قلت : لم أفهم .. لا أفهم . وإن تجاوزت نفسك بالسأم حتى تقول : لن أفهم حكمت عليها ـ أعنى على نفسك ـ بالاستنامة إلى التردد والسأم .. إلى الانصراف عن الكد ، والجهد فى فهم الكلمة .

الكلمة كثيرا ما تجبر على الكد والجهد .. لتكون مفهومة ..

لكن .. كما قال أبو الحصين .. ذلك الثعلب : من يقرأ .. ومن يسمع ؟!!

أو كما قال الريحانى أمين : لكى تفهمنى .. ينبغى أن تقرأنى وأنت جالس !!

● الكاتب الرتيب ـ أعنى الذى يكتب يوميات ـ ملزم أن يجعل موضوعه : الناس .. يكتب عنهم .. يكتب لهم ، يدغدغهم حينا ، يقسو حينا .. يعدو كذلك ، أو يتهافت إلى تحت كذلك ..

مزاح !.. أساسه طبيعى فيه ، لأنه هو الذى سحبه إلى هذا الموقف ، ثم زاده الانطباع التزاما به ، لكنه لا يحب أن يثقل على الناس بشئ من أزماته .. بحال من أحواله غير أنه واحد من الناس .. بشئ من التجريد يصنع من إنسانه إنسانين .. واحدهما من الناس ، والآخر هو !

قبل أسبوع فاجأتنى لحظة مؤلمة كاربة من خطأ المترجم لبرقية باللغة الانجليزية .. ـ قال : من سميره ؟.. قلت : ابنتى . فسكت قليلا ، ثم قال بشئ من الأسى : إنها مريضة بمرض غير قابل للشفاء . قلت : سرطان ؟.. سل .. سكر .. أماتت ؟.. قال :

مريضة بمرض لا يشفى . كدت أنهار . تماسكت .. حملت نفسى أجرها إلى مكتب الصديق السيد ياسين طه .قال : ما بك ؟. قلت له الحكاية . وأنفاسى تتقطع (إنما اولادنا بيننا اكبادنا تمشى على الأرض) فنهض السيد ياسن وجاء بالبرقية مكتوبا عليها بالحرف العربى الفصيح كترجمة لها : عظم الله أجرك ـ سميرة !.. فإذا هى برقية تعزى فيها بزوج خالتها أو هو زوج أختها من الرضاع كقرابة ثانية ، حبيب كوثر رحمه الله .

ورغم الترجمة الفصيحة التى أراحتنى قليلا . فقد شغلت ، فسجلت مكالمة إلى لاهور ، وما اطمأننت إلا حتى كلمتها يوم الجمعة !

هكذا نكون آباء .. نسعد بالطفل بعض السعادة ويكتنفنا شقاء بالاهتمام بهم والحدب عليهم والحنان والمسؤولية .

وأخيرا .. تمت فرحتى اليوم .. جاءنى تقرير من المستشار الثقافى يثنى عليها لتقدمها ونجاحها فغمرتنى سعادة أزالت تلك الشقاوة التى جرعنيها خطأ مترجم أراد ألاَّ يفجعنى بأسلوبه الذى استطاع ، فأوجعنى كثيرا حتى أفقت اليوم .

أتحسبوننا نكتب لكم وكلنا خلي ؟!

لا .. إن شجوانا مضاعفة بشجوى كل قارئ .. لا نريد أن نعلن له هذه الشجوى لأن رحمتنا له تلزمنا ألاَّ نشقيه بعاطفة نحونا .

القارئ .. قال : كل أمانينا أن يكون سعيدا . فان هذه السعادة له وفيه هى السعادة نرتاح لها من كل ما يشجى !!

● حقوق الطبع محفوظة شرط يوضع على كل كتاب طبع فى حياة مؤلفه ، اذنا منه ، حجزا لحق ، تحملا لمسؤولية وإستفادة من غلة ثم التشريف لصاحبه .

وبعد وفاته ينتقل الحق للورثة كميراث ورثوه فأصبح ملكا لهم كما كان يملكه أبوهم ، إلا أن يحبسه على عمل خير أو جهة معينة أو أن يبيح لطابع أن يطبعه لينفع الناس به ، كل وقيمة ما يعطى مما ألف ، ومن حكم فى ماله فما ظلم .

وقد اتفق الإنسان فى كل مكان على احترام هذا الحق . ولكن ما بالنا لا نلتفت لكتاب

مات مؤلفه من زمن بعيد فأصبح طبعه مشاعا لكل مستفيد ، أو مستغل أو نافع ، فمثلا تفسير ابن جرير أو أحد الصحاح أو المعاجم ، أو أمهات أخرى فى التاريخ وما اليه يطبع كل منها على غفلة من يريد ، أو فى مطابع ومكاتب تطبع وتستغل ، حق ضاع على أصحابه فأصبح المشاع بين الطالبين والشارين والبائعين .

من هنا أريد أن أسأل مقترحا .. ألا يمكن وضع حد لذلك لا حجزا له ، وإنما لزيادة الانتفاع به انتفاعا جماعيا .؟

الاقتراح أدعو إليه ، وهو تشكيل هيئة على مستوى الفكر العربى ، أو مستوى الأمة العربية ، والاسلامية أيضا .

نضع نظاما لطبع الأمهات ، ولو عن جامعة الدول العربية ، ليكون الطبع وفق هذا النظام ، وفيه ما يوجب على طابع لكتاب مؤلفه من القدامى ، أن يودع نسخ لهذه الهيئة ، وبعض نسخ لمكتبة فى كل بلد ، ثم جزء ولو قليلا من القيمة يؤخذ من ثمن الكتاب كنواة لصندوق الكتاب العربى ، لتكون الحصيلة معينة لطبع كتب لم تطبع بعد ، وليكون للأمة سلطان على كنوزها !

يعنى أن الأمة سترث حق المؤلف القديم ، تصرفا وإجازة واستفادة ، حفظا لسمعة الكتاب المطبوع ، ورصيدا لطبع غيره ، اقتراح ظريف ، قد يكون خطيرا ، أرجو أن يكون تليدا بعد ، وخميرا نأكل الطيبات منه .

● ورق أسمر أو أبيض تشرق صفحته بشئ يدعوك أن تلاعبه بكلمة تكتب .. أو بحرف لم يتم كلمة بعد .. أو بخطوط عرجاء عوجاء يداعبك بعض المستنكهين لأحوال النفس ، ليقولوا : أنت قلق .. أنت تعب .. تفكر فى شئ لم يستقر فهمه ولا الشروع فى عمله .

وترخى أذنيك .. تسمع ما يقولون ، فتصدق مرغما بحكم الوضع النفسى لك ، وبتحكم الصورة المشوهة التى كتبت أو رسمت على الورق .. ثم أنت بعدها ترجع إلى نفسك .. تلتقط أنفاسك فتخرج ناطق الحرف .. لسانك لهؤلاء وتقول : هراء .. تخريف !

وأمسكت الورق قرطاسا يتلوى تحت عين غير باصرة ما فيه .. وإنما هى متبصرة باليقظة الوافدة لصحوة من خمدة الصمود أمام القلق .. إلى وثبة بالزحف الشجاع على كل عدم حولك .. تجد فى وجدانك وجدان الشيء الذى فقدت ، وهو الانصراف فالابتعاد عن الخطوط العوجاء والعرجاء . إلى خط مستقيم واضح ، وحرف مستملح مليح ..

فإذا القرطاس الأسمر أو الأبيض قد تزين بحلية عنبرية . قطرات من رعاف القلم .. تكتب بها عنها لها كلمات .. تقرأها فتجد راحة البوح ، ولا يعنيك أن يقرأها أحب الناس إليك فيرمى بها على الأرض ويقول : ماله يصدعنا بالقرطاس وما عليه من معايب هو صنعها . ثم يزيدها عيبا آخر بهذا المرح المستخلص من الترح .

وأود أن أقول له : أنت بهذا لا تعرف قيمة الطرد لاتراحك باصطناع الفرح والمرح !!

هبه تمثيلا تتستر به . هبه حبالة تصيد بها اغضاب الذين يشفقون على قلقك ويقتلعون بالاشفاق كل الجلد فى نفسك . ليكون هذا الصنيع منهم شماتة مقنعة واضحة فى نبرات العيون الناطقة بالومض . غير فاضحة بانحرافات اللسان يعوج بالمعاريض .

وأخذت القرطاس . أدفعه ليكون موضوع « كلمة ونص » أفهمتم شيئا .؟

لم تفهموا ، ولا أنا ، لم أفهم ..

خطوط عوجاء عرجاء على قرطاس ، نظلمه بها ، ونظلم أنفسنا كذلك .

● عجوز يدرج نحو التاسعة والسبعين من عمره كما يقول هو ، ذهب الى مكة يحسبنى هناك . وأخذ يسأل عنى . فلم يدله أحد .. لا شأن لواحد أن يقول له فى جدة ..

ولكن موظفا وكبيرا تبرع فقال :ـ هو فى رابطة العالم الإسلامى .. وذهب الشيخ الى الرابطة فى « المعابدة » يجر نفسه جرا ، ووقف عند الباب ، يسأل ويسأل فما دله أحد . لم يقل له واحد ملك شعبة من شعب الإيمان البضع والسبعين شعبة : ليس هو بالموظف فى الرابطة .. ثلاثة أيام يتردد وهو يسأل .

وأخيرا رأى فتى لعله لم يبلغ الحلم بعد .. فقال له :ـ فى جدة اسأل عنه فى جريدة عكاظ أو فى جريدة البلاد . وسمعت أن بيته فى « الكندرة » !!

أليست هناك رحمة لعجوز ؟ خنزوانة تجهل .. وغفلة جاهلة بأكثر من الجهل نفسه .

كلمتى للموظف الهمام .. أسأله !

ألم يقرأ قبل سنوات مقالا فى صورة حديث صحفى كتبه صديقنا الأستاذ عزيز ضياء فى جريدة البلاد .. وفيه على لسان الأمين العام للرابطة بأنه لا علاقة لى بها - وأنى لا أتقاضى راتبا منها .

ثم هو ألم يقرأ خبرا كتبته .. أعلن لمراسليَّ من الأصدقاء ومن اليهم .. ألا يرسلوا بريدا لى على عنوانى فى الرابطة .

كل هذا نشر .. ولازال حضرة الموظف الهمام لا يتورع فيتبرع بدلالة العجوز على مكان خطأ .

ليست هذه تبرؤا من النسبة الى الرابطة ، فأنا صديق لها . ولكنى غير عامل بها ، ولا متعامل معها ، فما بال هؤلاء الناس يتخلون عن دلالة الطريق لشيخ كبير نخلته السنون .

هكذا القطيعة بين الناس أصبحت سمة الحياة الجارفة بقلقها ومدنيتها .

واعتذرت للعجوز . ولكنى ما عذرت نفسى ألاَّ اكتب عن مفارقة كهذه .. فلا يهمنى أن أكون مجهولا من صاحب يعرفنى حق المعرفة ، وإنما يهمنى من هذا الصاحب أن يعرف شعب الايمان لعله يعمل بها فيرحم الشيخ المسلم ..

« الايمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها كلمة .. لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .. » .

● مدهش : مدهش وأكثر من مدهش أن تقرأ « مع الفجر » يكتبه فى غياب صاحبه محرر فى عكاظ اسمه « على مدهش ! » شاب صغير السن .. يشق طريقه ، وما كان ينبغى لقلمه أن يصنع كلمة فى عمود يومى اختص به رئيس التحرير .. لجريدة هو أحد المحررين فيها ! ولو كان عبد الله خياط رئيس تحرير عكاظ يقلد غيره أو يبخل على الطليعة أن يتقدموا .. أن يبرزوا لما رأينا (المدهش) يملأ فراغا .

والدهشة ليست فى عقلى ، ولا هى من ادراكى ، ولا تجد بؤرة فى عواطفى .. فلست من

الباخلين على أحد بالتقدم إذا ما كان جديرا به .

لا أبغي بحمد الله منزلة غيري أحق بها إذا راما

ولست من الذين يصنعون الركام دمارا فى نفوس شابة تتطلع إلى الفوز . ولكن هذه الدهشة تصيب الذين يبخسون الناس أشياءهم .. يحسبون أن الحياة كلها : أنا .. « أنوية » ما أفظعها ! مع أنهم لو عرفوا لوجدوا أن الحياة هى : نحن .. « نحنية » أجملها !

لقد عرفنا الباخلين لنجدهم يعيشون وحدهم ، وعرفنا الباذلين فوجدناهم يعيشون للناس .. بالناس .. مع الناس !

ولست بهذه أزجى تحية لولدى « على المدهش » وإنما هى التحية لسعة الصدر ، وقول البذل ، وافساح الطريق فى رجل اسمه « عبد الله خياط » وهى أيضا أرسلها نصيحة ليعدل الباخلون عن بخلهم ، ولا أريد أن أسمى (!!) .. فحبى للجميع يلزمنى بحب الخير للجميع .. حتى يعلم الذين يعطون مشافرهم أن الحياة أقوى من عبث الأحياء !

ولو كان الخياط حاضرا لما سمح لى بنشر هذا ، ولكنى أغافله فأنشرها كأنما أنا أطلب التأييد لما صنعت ، ولما أصنع ، ولقد صنع الخياط خير ما يصنع مفسح الطريق لغيره حينما نشر افتتاحية بقلم فتاة .. أنا جدها كما نعتتنى .. أبوة الرعاية ، وغنى النفس .. كما أفسح الطريق « لعلى مدهش » ولغير على مدهش !.

تحية لكل مفسح طريق .. فالحياة هى المستقبل .. وعلى الذين كتبوا « بيضة الديك ! » يدلون بها علينا بأنها مجدهم أن يعرفوا أن المستقبل غير ما صنعوا !!

● أنكر بعضهم على الصديق « عبد الله جفرى » ما كتبه فى « الحوار » .. جرى بينه وبين الشيخ عن القدامى ، ولم أذكر ذلك لأنى أعرفها لم تكن حملة ، ولم يكن فيها شيء من التجريح ، ولو فرض كل ذلك لكان من المعيب ألاَّ يأتى عبد الله جفرى بالبديل .. أما وقد أتى بى حينما سد الثغرة هو وجيله فلا غبار على ذلك !!

الخطأ منا جميعا أن يسكت بعضنا فيكتفى ببيضة الديك ، أو أن يحاول بعضنا أن يجر زمان الآخرين الى زمانه ، وأكثر من هذا الخطأ هو الاستعلاء .. فرض الأستاذية .. سواء

بالممارسة لها ، أو التلميح بها على سبيل الصمت ، كأنما الصمت يقول : « بلاش شغل عيال » !!

الم يكن ما عملناه أولا كان « شغل عيال » ؟!اقرأوا ما كتب من قبل ، وللأكثرين على الأخص الذين صمتوا الصمت المطبق فلا تجدون إلا كلمة واحدة رشحت كاتبها لأن يكون موظفا كبيرا ، وأديبا مشهورا ، وطليعة ظافرة تأبى ألا تكون قاهرة ، وليس هذا فى بلدنا فقط فقد أصبح الجيل الجديد فى أكثر من بلد عربى ينكر الاستعلاء منهم - أى من طه حسين والعقاد وغيرهما بأستاذيتهم ، وبالآراء الجديدة ، وبالثقافة العريضة ، وبالنفس المتطورة ، والفعالية المغيرة ، ولكن الجيل الجديد - وإن احترم ما قاموا به وما قدموه له - فإنه لا يطيق أن يحترفوا به لعبة يمتطون أكتافها ، فلا يكون إلا صورة طبق الأصل لهم !!.

من هؤلاء المستعلين أذكرهم هناك ، ولا أريد أن أذكرهم هنا .. أذكرهم هناك لأن الدليل بهم أقوى وأتغافل عنهم لأن « القرف » أقسى !.. ابراهيم الوردانى أصبح كاتبا كبيرا بعد أن قسا عليه الصاوى محمد ، وكان أحد المستعلين ، رفضه رفضا قاسيا .. أبى أن ينشر له مقالا .. كان هذا الرفض الحافز لأن يكون الكاتب الكبير ، والداعى لئلا يكرر هذا الاستعلاء على الجيل بعده ، ثم ليكون أكثر رفضا للذين يستعلون على الناس !!

فنحن بالاستعلاء ، وبالنظرة الشرزاء نطرد أنفسنا حينما نكون أساس الانفصال .. كان ينبغى أن نتقبل الجديد بشئ من رحابة الصدر .. لا نرفض الكل ، وإنما نبصر بالباطل ونفرح بالحق ..

الذين يجيئون بالبديل فينصبون قاماتهم يسدون الثغرة ليس عليهم معابة إن قالوا حوارا مثل ما قاله الجفرى !!

لكى نبنى الحياة بالكلمة ينبغى أن تستمر الكلمة كراية يسلمها جيل الى جيل بعده .. إن الراية ستتمزق إذا صندقت فى مقصورة كاتب يستعلى ، وشيخ لا يرحب بالجديد !!

● .. وكثر حوله السعار ، وتناولته أخبارهم .. فتارة ينقلونها بألسنتهم وأعينهم ، وتارة يكتبونها فى أوراق ، ويدسونها فى البريد ، أو يناولونها لخادمه فى مكتبه الكبير . كلهم .. يريد التقرب الى السيد الكبير بشئ واحد يحسبونه يسره .. بينما هو فى الواقع يؤذيه .. يزعمون أنهم الناصحون له .. كأنما هم يبصرونه من خيالهم بحال ولده الوحيد ..

ـ قالوا له : إن ولدك سرق بيض الدجاج من حظيرة خاله .. إن ولدك يذهب الى صديق له يركب معه الدراجة يلعبان فى فناء الحديقة التى تملكها جدته !

وكبر الولد ، فلم يتركوا الوالد .. قالوا له : إن عطارد يلعب كرة القدم فى قهوة .. يسبح فى أبحر .. رأيناه يأكل شاورمة .. نخاف عليه من المرض .. يسابق فى السيارة الموتيسكلات .

وأكثر من هذه الأشياء ، وكتبوا عن ما هو أقذر مما يفعل الابن ، أو لا يفعل .. فنقلة الأخبار إذا استمرأوها . صاغوها كذبا وصدقا .. بل وإنهم ليمعنون فى تعمد الكذب أكثر .

إذا كان كل يوم تقبل منهم رسالة أصبحت راتبا ، فلابد أن تكتب ، ولا مناص من أن يكون فيها الخبر .. صادقا فى القليل .. كاذبا على الأكثر !

وكان جواب الأب لكل ناقل خبر .. لكل كاتب رسالة : هل هو يكذب ؟

ـ فيقولون له : لا .. ما جربنا عليه الكذب .

وأكثروا عليه . فجمعهم ، وأخذ يقول : لقد أكثرتم عليَّ ، ولم تفطنوا لسؤالى .. هل هو يكذب ؟ لم تفطنوا لذلك لأنكم كنتم فى عماية السعاية .. تحترفون نقل الأخبار ، وكنت أجزيكم أجرا على ذلك ، العماية ، والطمع جعلتكم لا تفهمون سؤالى . إذا لم يكذب الطفل ، أو الشاب ، أو الرجل أو الأنثى ، فالنهاية حميدة . الصدق يقتل كل هذه الزلات .. يبصره بضررها ، مادام لا يكذب فسينتهى من كل ما يسئ ، الكذب تستصغرونه ، وتقترفونه .. بينما أنا أستهوله .. أراه أساس المفاسد كلها .

وأرادوا النهوض فقال الأب : لا تذهبوا هكذا .. لتقولوا إن هذا كلام والد يعطف على ولده ، ثم تعيدون الكرة .. تنقلون إلىَّ الأخبار عنه ، اجلسوا حتى أقطع دابر ذلك .

ونادى عطارد : أليس من العيب عليك أن تقول عن أبيك أنه « أغا » ؟

ـ قال : نعم .. لقد قلت ذلك لفلان ـ أحد الحاضرين ـ لكن لم أقصد أنك خصى ،

وإنما قصدى ، وصدِّق ما أقول وأنت تعرف ذلك ، أنى أردت بكلمة أغا أن أصف بها تصرفاتك ، فكل أهل البلد يقولون عن التصرفات التى لا تفهم إن صاحبها أغا !

ـ قال : صدقت .. فى حدود ما تعقل ، وبما أردت لكن هذا الصدق منك هو الكذب بالعين بالنسبة إلىَّ .

لقد قلت الصدق حقا إنى أغا . فأنا يا ابن أخى مجبوب وخصي .. تزوجت أمك باتفاق بينى وبينها لتكون فى رعايتى بعد وفاة أبيك أخى . هكذا علمتك الصدق ولو كان جارحا لى .

وأريد أن أرفعك لتصدق هذه الشتيمة منك فى عرف هؤلاء نقلة الأخبار . فأردت أن أبين لهم شجاعة الصدق منى ، ومثالية الصدق فيك .. جعلتك تنطق بالحقيقة التى ما أردتها وإنما هى أرادت أن تكشف نفسها ، أنت ولدى لأنك ابن أخى .

وهنا هرب نقلة الأخبار . وذهبوا لا يرجعون . أما الولد فقد أصبح مكان عمه سيدا كبيرا يبصق فى وجه كل من نقل إليه خبرا !!.

● كيف تهرب الكلمة المشعة المشرقة ذات الرونق الجميل .: المعبرة عن الأبعاد العميقة فى أغوار النفس ، ومظاهر المجتمع ؟؟

كيف تهرب من المعدين لأنفسهم لاقتناص الكلام وارساله ؟!.

الجواب بسيط .. الاعداد احتراف ، وكثيرا ما تهرب الغوالى من المحترفين ، والغوالى تأتى من وجدان الهواة . وهى على قلتها أكثر روعة مما يأتى على السنة المحترفين !!

المحترفون مكثرون ، والمكثار لا يسلم من العثار .. إن بعض الكلمات تسمعها مرسلة من إنسانها فتغبطه عليها رغم الغيظ من أنها جاءت منه ، ولم تأت منك ،لأنا نحبها أن تكون قد جاءت منا .. لنا .. لكم .. نسمعها .. نصفق لها .. نغتاظ بالضحك البهيج فرحا بها ، وبالآهة الباكية لأنها ذهبت عنا كأنما هى ملكنا سرق منا .. ليس هذا ثناء عليها فهى ، وإن استأهلته فإنها فى وهمنا المغالى بالثقة أو الغرور نحسبه قد سرقها من الفحول .. كأنما الكلمة قد حبست على إنسان معين !

وقد تسكن لواعجنا حينما نعالجها بأنها صادرة من هذا الإنسان المعين الكبير فى الثقافة والمكان ، ولكن .. كيف تسكن النفس إذا أشرقت من غير هؤلاء ؟

سؤال حصيف فى حدود المقارنة بمقاييس الحجم والكم . ولكنـه سخيف بميزان القيم الإنسانية فى نفس إنسانها ..

إن الإنسان باحساسه ومشاعره هو الكبير بها ولها . وعنها .. الكيف هو القيمة فى إنسان ما .. من أى نوع كان ، ومن أى قدر . فالمصدر الأصيل للتعبير الأصيل والرصين هو النفس من أى إنسان !

وكم هى الكلمة هذه معبرة .. طابعة سمة فى وجدانى .. فى هذا الوصف .. وصف الحال المستكن المعلن فى إنسانها .. من روعتها أخذت منى هذا الوصف الرشيق : إنها التمرد النبيل .. فأنا ما كنت أغتاظ منها حتى ارتحت لها لأنها أعطتنى أن أقول كلمة رشيقة .. ذات جرس فى أذنى : التمرد النبيل !!

ما الفرق بين تمرد ، وتمرد ؟!

الفرق كبير . وإنه لأعمق حينما يكون فى وضع واحد . والشرح طويل .. لكنى أقتصر بمثالين : ايمان بلال تمرد لأنه شهادة بالحق . لكن دوافعه هى طرد الطغيان للسادة المعذبين له ، أما تمرد خالد بن سعيد ابن الأكرمين فهو تمرد لأنه شهادة بالحق .

فى الخطوة الأولى كبلال . ولكنه فى الدوافع تمرد لطرد السيادة من نفسه .

● أتريدنى أن أضع رقم (١) للكاتب اسمه « ع » ورقم (٧) لكاتب إسمه « ع » مكرر ، ولآخر اسمه « ف » أعطيه رقم (٣) .

« فال الله ولا فالك !! » فلست مدير سجن أضع رقما على قميص أزرق .

ولست مدير مستشفى المجاذيب أضع رقما على قميص أصفر ، أتريد أن امسخ الأسماء فأضع الأرقام بدلا عنها لكتاب عرفوا بأسمائهم .

إن هؤلاء وأولئك قد أصبحوا كما تقرأ لهم بشئ اسمه الحرق والكرب والألم والأمل .. لتريد أن يوضعوا فى أرقام كأنهم « اورطة » عسكرية ذاهبة إلى حلبة تمرين إنهم اليوم عرفاء

.. نقباء أركان فى جيش الفكر والرأي والكلمة .

هم جنود المعرفة .. والمعرفة تعريف بكيف وكم وقيم لا أرقام صماء .. تحسبها درجات التقييم وإنما هى دركات الخطأ فى التقسيم غير المستقيم .. وسكت .. حتى قال : لقد فتحت فى رأسى فكرة فلن أعود لهذا « التفنيط » .

الفكرة هى أن أعرف لكل واحد قدره . فلعل خيره فى واحدة يوافى خير غيره فى ثلاث .

ـ قلت له : من هو القادر على الصواب فى كل وقت ؟ على صدق التقييم فى كل حال . إنه لو صدق مرة لكذب هو نفسه مع الواحد نفسه فى مرة أخرى !

إن أكلة الفول المدمس ـ كما هو قول الدكتور الأستاذ العميد طه حسين ـ أمد الله فى عمره ـ تغير تفكير آكلها .. فمرة يستجيد فيعطى رقما عاليا . ومرة يستقبح من كثرة الغازات المكربة تفرض عليه كربها ليكرب بحكم غيره فيعطى رقما نازلا .. فارهاق المعدة ارهاق للفكر وارهاق الفكر ارهاق للمعدة .. وصاحبنا للرقم المفنط ما هو إلا معدة قد يكون لها فكر . يخطئ ويصيب وإن هو أصر على التفنيط فخاطئ متروك ..

● طالب فى الثانوية العامة ، أدركته حرفة المتاعب فأحب أن يكون مراسلا لواحدة من صحفنا العربية السعودية ، ولعله إن وجد الفرصة .. فأعانوه بالمادة وبالتشجيع ليصبح متعبا لنفسه وللآخرين مراسلا وكاتبا وقارئا !!

كلف نفسه فزارنى فحمدت له حب التطلع لزيارة أب . وحب الاطلاع .. جعله يقرأ ويقرأ حتى عرف كثيرا مما هو ظاهر على السطح .. ولا عيب عليه أن تغيب عنه ما هو مطمور فى كهوف النفوس التى ضامها حين ضمها شئ مرهق ، وأفحمها الشئ التافه .. تقسر عليه .. لأن تكون معتلية بالتوافه .. مخبأة عن الدسم يمتنع عليها أن يظهر ، وتمنعه هى أن يعلم فلا يعلن !!

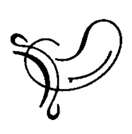
وسأل : رتب لى هؤلاء الكتاب ـ وأغلبهم من العكاظيين ـ على درجات كل باسمه ورقمه ؟ وأضحكنى سؤاله ولكننى عذرته ، فلا زال حديث عهد بالترقيم كتلميذ ، فلا عيب فيه إن غمرته هذه المشغلة الرقمية ترتيباً فى درجات ، ورتابة فى سنوات .. فهو يعيش الترقيم

.. اسمه وامامه رقمه تلميذا فى كل فصل ، سنة فى دراسة ، ورقة امتحان . نتيجة . نجاح . قيمة تفوق . إن الرقم كسبه بما يستأهله فى حاضره ومستقبله .

ـ وقلت له : أنت معذور فى هذا السؤال .. ولكن لن أعذر نفسى إن أنا اجبتك عليه كما تريد .. فهؤلاء الذين سميت ليسوا فى حلبة امتحان مدرسى . إنهم فى معركة الحياة . ومصارعة الأحياء .. فهى وهم تعطى ويأخذون الرقم صيتا أو إخفاقا .. رعيا أو طرحا . مجدا واهمالا .

ليس فى قدرة أو طاقة أو قوة أحد أن يفرض أرقاما فى خياله يضع منها رقم الرجال .. قد يريد بعض الواهمين ذلك « يفنط » الرجال على هواه . يضع المنازل والمقامات حسب ما يشتهى حبا لفلان ، واغضاء من فلان آخر أو غضا وهضما لفلانين آخرين .. أو خوفا من الفلان السليط !!

هذا يفعله الذين يحسبون أن ذلك قيمة لهم ، رقما يأخذونه لأنفسهم .. إنهم واهمون ، فأقدار الرجال لا « يفنطها » صاحبنا .. وإنما هى تفرض نفسها بعملها وخلقها وانتاجها .



أكثر من موضوع

تليفزيوننا العزيز وأفلامه

شاهدت التمثيلية المتلفزة ، عن سيف الدولة وأبي العشائر فارهقتني في ثلاث صور :

● صورة الدس بين البطلين من أرومة واحدة ونبع واحد ، كلاهما حمداني ، لبس الامارة فألبس دولته عزة العربي ، ونبل الفروسية ..

فدخل بينهما واغل « جندبة » أكله الحقد ، وأعمته الحفيظة ، فأغرى أبا العشائر بابن عمه ورأس دولته .. أراد أن يكسر الشوكة ، ويميت القوة ، يحطب في حبل الروم فسمح له أبو العشائر، وعبأ جيشا يقاتل به أهله ..

وكادت تقع الكارثة ، لولا أن سيف الدولة ترك الأرض براحا دون حراسة ، يشرع أبواب حلب ليدخل أبو العشائر ، فلم يسد الثغور ، وذهب بكل قوته يصد الروم ..

● موقف سيف الدولة ينكر الخلاف ، ويرضى أن ينتصر عليه ابن عمه ، ولا تأكله المخافة والحفيظة فيشغل نفسه وجيشه في لقاء ابن عمه .

تركه لا عراقه ودينه وأخلاقه .. فاثمرت خطة على بن حمدان سيف الدولة ممدوح المتنبي أبي الطيب أحمد بن الحسين شاعر الدنيا .

● صورة العفة في نفس أبي العشائر ، أجاد عوني المصري تمثيل دوره فيها .. كما أجاد « جندبة » تمثيل دور الخائن الدساس ..

كاد يضع أبا العشائر في فم التاريخ .. لكن الحيرة من خطة سيف الدولة ترك له الأرض دون حارس هي التي هدته الى الطريق .. ثم موقف البنت العريقـة ، والحب

الصادق والاخلاص في الحبيب .. حبب العشق للأرض وابنة العم .

هذا الموقف كان صمام الأمن .. قيد أبا العشائر ليرجع الى هداه .. فلقد نزع الى عرق وخشي العار ، فاذا هو يطبق بجيشه فينتزع النصر بعد أن كادت الهزيمة تحيق بسيف الدولة .

في هذه اللحظة تذكرت قول ابي الطيب في سيف الدولة وتذكرت تندر سيف الدولة في المتنبي فى حادثة وقعت .. فدمعت عين ، بعدها ضحك سن !!

● العجوز فى حاجة إلى النوم كما حاجة الطفل .. كلاهما يبدأ مرحلة الطفولة ..

فالعجوز قد عاد طفلا من جديد .. كل المتعب أنه لا يعرف ذلك ، وإن كان تعامله كتعامل الأطفال ، وكل المرهق أن من حواليه لا يعرف ذلك أيضا فيزعجونه بالاحترام الذى يقصيه .. بينما هو يريد الحنان الذى يدنيه .

أكبر مشكلة عندى ـ كعجوز ! ـ أنى عرفت الطفولة فيّ . ولكنهن لم يعترفن بعد !!

سعدت بهذه الفكرة فذهبت أنام فى الخلاء نوما عميقا كان يحسدنى عليه أيام زمان صديقاى محمد عمر توفيق ، وياسين طه .. لقد كانا حريصين ـ لا أقول من حسد وإنما عن غبطة ـ أن يزعجا نومتى ، ولكننى كنت أنام رغم صراخهما .. فى حسبانهما أن الصراخ يزعجنى بينما لو سكتا عن هذا الصراخ لافقت ، ونالا بغيتهما !!

لقد نمت فى الخلاء أمس على عكس ذلك المثل الذى يقول :

« الشيخ يسهر فى الخلا ، وينام فى الملا » توحشه الوحدة فلا ينام .. تؤنسه الجماعة فينام .. أفليست هذه طفولة ؟!!

إن الذى أنامنى هذه النومة الحلوة هو« دكتور هول » حينما تحدث إلى زوجه فى الحلقة من المسلسل الذى شاهدته ليلة أمس .. تحدث الدكتور هول بشئ من الحنان عن أستاذه الذى عاد من باريس .. علمه ، ثم انتقل إلى باريس كهلا وعاد عجوزا .. كان الوفاء مجسدا فى الدكتور هول لأستاذه ، وكانت الأنثى التى تحترم عواطف زوجها أشد حنانا منه على أستاذه ..

يظهر أن هذه تربية نشأوا عليها . وذهبا إلى الأستاذ . وكانا يعرفان مجلسه فى حديقة ما .. عرفاه بنفسيهما ، وكان حصيفا حلوا .. جلس الدكتور مدير الجامعة بين يدي هذا العجوز كأنه التلميذ الأول .. يدغدغ عواطف الشيخ . وكانت الزوجة تستجيب لهذا الحنان .. تحامل الشيخ كأنه أبوها . وعرض الدكتور على زملائه الأساتذة يسألهم عن الطريق لمساعدة الشيخ .. بعضهم اقترح العون على صورة الاحسان لكنه رفض ـ أعنى الدكتور هول ـ قال : « إن البروفيسور لا يقبل احسانا » وأخيرا قرر مجلس الكلية أن يعين الأستاذ بصورة شريفة .. يرجونه أن يكتب الجزء الأول من تاريخ « اينى » يأخذ جزاء المؤلف .. مبلغا يسد الحاجة . كانت المشكلة أمام الدكتور هول فى الطريقة التى يبلغه بها ذلك ، وبكل الاحترام عامله بأسلوب الحياة للذكريات : قال له :

ـ « هلم نتناول طعامنا فى مكان نظيف » فما استجاب الشيخ لأن العجوز من الصعب أن ننتزعه من مكان ألفه مهما كان الترغيب ، ولو كان هذا المكان كرسيا فى حديقة ، لكن الدكتور هول يعرف الطفل فى العجوز .

فقال : نتناول الطعام فى مطعم سماه .. كان العجوز يرتاده دائما أيام شباب .. أثار فيه الذكريات ..

● لمحة خاطفة شاهدتها أمس في مسلسلة « بولنزا » ، « لتل جو » أصغر الشباب كان فرجينيا يسرع الى المهارشه والقتال فى أكثر الحلقات ، لكنه فى حلقة أمس كان الحيلولة الصاخبة المضطربة يقف ضد العداوة .. يحول دون القتل والقتال .. قلم فى جانبه : غريب .. ما هذا التبدل فى هذا الفتى ؟!.

ـ قلت : الحب .. فى هذه الحلقة فتاة ستظهر بعد .. علميه ألا يكون فرجينيا ، وأخيرا صدق حدسى فاذا هو روميو على صورة مصغرة ، وإذا هى جولييت فى صورة مكبرة !!

وانتهت الحلقة بالكلمة المجنحة حينما شهقت شهقة الموت بين يديه :

ـ إنها قالت لى : « لن تكون صلة رحم بين أهلى وأهلك !»

كانت العبارة تنفى الصلة فى سامع تجرد من الفهم ، لكنها فى أذنى كانت الفهمة لهذا الحائل البعيد المدى .. العميق الأثر .. المفرق بين الأحباب : الموت !!

● أتابع باصرار ـ وللمتعة والتزود بفكرة طريفة ـ الحلقات المسلسلة التى تعرض « الدكتور هول » عميد كلية ـ إيفى ـ فيها شئ يحرك الفكر النفسى ، ويرمى الى بعيد .. يقرب اليك هذا البعيد كأنه السهل الممتنع ـ حلقات مخدومة ..

فى الحلقة قبل يومين عرضت مشكلة الطالبة المثالة ، والتمثال الذى صنعت ، وموقف العضو فى مجلس إدارة الكلية وموقف صديق المثالة ، ثم موقف الدكتور هول نحو هذه الطالبة التى صنعت تمثالا تريد أن تهديه إلى الكلية كشرط لما تبذله من عون لإتمام صالة الألعاب .

كتبت كتابا لعضو مجلس الادارة ، وكتابا آخر للدكتور هول ، فنشاهد المنظر فيه مكالمة تليفونية بينها وبين عضو مجلس الادارة تسأله رأيه .. يرحب متحمسا ، فكل ما يريده أن تتم صالة الألعاب ، ولا يعنيه من أمر التمثال شئ .. إنه يقبله ولم يره ، وسألته قائلة : « لقد كتبت للدكتور هول ، فلم أتلق إجابة منه .. هل أهمل كتابى ؟.. أنا حريصة على رأي الدكتور هول وهو الأهم فى نظرى » ويخاطب عضو مجلس الادارة الدكتور هول يسأله : « ما بالك لم تجب على كتاب المثالة ؟.. إنك تفقد الكلية صالة الألعاب » بينما الدكتور هول لم يعلم عن الكتاب شيئا .. أخذته زوجه ووضعته فى جيب الجاكتة التى لم يلبسها .. سأل عن الكتاب فأخذت الزوجه تقدح زناد الفكر حائرة تسأل نفسها أين تجد الكتاب ، وأخيرا وبعد توقف وبعد حوار مع صديق للمثالة مهتم بها وبالكلية وبصالة العاب وجدوا فى ظلال المناظر الخلفية الواضحة من خلال التصور .. المبطنة فى ظلال التصوير تجدهم قد ذهبوا جميعا الى بيت المثالة ليشاهدوا التمثال . كان التمثال محجوبا عنهم مبرقعا بستر يحجب النظرة عنه . وبعد حوار وقفوا ينتظرون كشف الستار ، فتقدمت المثالة تكشفه فاذا عضو مجلس الادارة يبهت . شئ كل التصور فيه أو له أنه لا صورة لتمثال لكنه وبعد استرخاء يرحب بالتمثال لأنه يريد صالة الألعاب . لا يهمه من أمر التمثال شئ . وينظر صديق

المثالة للتمثال فيتحير .. ترى الهزيمة على وجهه لكنه يجامل .. كل رغبته أن يرضى صديقته .. بعض من رغبته أن تتم الصالة . هنا قالت المثالة : « دعوا الدكتور هول يتكلم ، أريد رأيه » .. وتكلم الدكتور هول كلام رجل يقدر المسؤولية يحترم الفن لا يريد أن يهدر قيمة الكلية بقبول هذا التمثال الذى لا يصلح .. همه الحقيقة ، لا يسأل عن المال أو عن صالة الألعاب .. لا يريد أن يخدع نفسه ولا أن يخدع المثالة ، ولا أن يجترم على الكلية إنما يهدر ذوقها .. قال كلمته الصريحة : « إن هذا لا يصلح ».

ضاق عضو مجلس الادارة .. ارتبك صديق المثالة ، كاد يضيع رشد الزوجة من هذه الصراحة .. لكن الطالبة ـ إيفى ـ أثبتت أنها تحب الكلية أكثر من حب الشهرة الكاذبة .

● لحظة نقيم فيها حوارا جادا مع تلفازنا .. تلفازنا المتنفس والمتعب نريده أن يقدم تاريخنا على غير هذه الصورة التى أجبرنا أن نشهدها فى إحدى عشرة حلقة حتى الآن ، ولعل هناك بقية من الحلقات تزيد عن الواحدة ، هذه الحلقات من مسلسل « أسير المحراب » لا أظنها تأخذ من كاتب مقتصد مبين أو من مخرج يحترم الثمن المدفوع لقيمة الحلقة أكثر من حلقتين ، وإن زادت فثلاث حسب ما سمعنا أو رأينا .. لا حوار دسم ، وإنما هى حركات فقط .. الكلام فيها مكرور وغث .. بعيد عن لغة هؤلاء الأبطال وعن روحهم .. لا نشعر بهم إلا فى ظلة قاتمة من اسم أقحموه على هذه التمثيلية .. من هو الشيخ علام الذى يجر قيس بن عاصم الى الإسلام ؟!

إن قيس بن عاصم رضى الله عنه أكبر فى الجاهلية من هذه الصورة وإنه لكبير فى الاسلام على غير هذه الصورة .. هو سيد أهل الوبر كما سماه النبى (صلي الله عليه وسلم) .. معلم الأحنف الحلم .. محرم الخمر على نفسه ، وإلى أكثر من ذلك تعرضه التمثيلية فى صورة ذنب للشيخ علام !!

الرسل الذين بعثهم رسول الله يحملون رسائله معروفة اسماؤهم لا أعرف أن فيهم الشيخ علام .. هل فى ديار قيس بن عاصم هذه الطبيعة هضبة .. مغارات .. تضاريس ؟!.. ليس فيها ذلك ، وهذا يعنى لا تاريخ .. وخطأ فى جغرافية الأرض .. مسخ لصور الأبطال ..

تاريخنا ينبغي أن نكتبه نحن .. لماذا هذه الحلقات ، وهى لا تمثل الا المسخ لتاريخنا ؟!

لم يكن فى هذه الحلقات واقعة واحدة تلمس ما يعرفه الناس ـ أعنى ناسنا ـ وإنما هى حركات مفتعلة .. إذا لم يستطع الحصان أن يسير فان الجمل يستطيع ..

فهل هان المسلمون على أنفسهم بهذه الغفلة التى تصورها التمثيلية .. بمثل من ثعلبة ـ ولا أدرى من ثعلبة ـ يتصيد الرجال كما يصيد الأرانب ؟!

كل التمثيلية تدور فى كهف .. كم من مرة وجدنا الأسيرين يرفسان بالرجل من شيخ يمثل الخبث المعتوه ، أو العته الخبيث ..

إحدى عشرة حلقة ؟!.. لا أشتريها بفلس .. لا تهمنى قيمتها النقدية ، وإنما تهمنى قيمة الزمن المهدر فى مشاهدتها .. ثم .. كلمة رفاق التى تردد فى هذه التمثيليات .. ما كان أبو عبيده الثقفى شهيدنا يوم الجسر ولا قيس بن عاصم المنقرى يعرفانها .. سواء فى الجاهلية أو فى الإسلام .. يعرفان إبن العم والأخ والخال .. ثم ـ مرة أخرى ـ كل هذه التمثيليات لأشخاص يتكررون كأنما هى فرقة واحدة تبيعنا وتشترى ، ويضيع زماننا فى مشاهدتها ، فحضرة الضابط هو أبو بكر الرازى وقس على ذلك وأكثر !!

● ومن صورة أخرى فى حلقة من المسلسل التلفازى ، « كلية ايفى » أو الدكتور هول ..

أستاذ مشغول بالكلية والأعمال الإدارية . اختلس من وقته فالف كتابا عن علم أمريكى . فى حسبانه أنه مغمور . ولم يدر أنه مشهور وأرسل الكتاب الى ناشر كبير .

فى حسبانه أنه مغمور ، ولم يدر أنه مشهور .

وأخذ ينتظر إجابة الناشر . أسر فى نفسه حرارة الانتظار .

وقالت زوجته : « تليفون من نيويورك » لم يعرف الطالب . لم يكلمه أحد فقد الغيت المكالمة من طالبها كما الغى هو المكالمة . شئ من اللهفة ، شئ من الخوف .. يخشى الا يقبل الكتاب . ودخل صديق . سمع أن الكتاب عن « جوتنان » قد تقرر طبعه واستأهل الجائزة الكبرى « عشرين ألف دولار » .

وبعد حوار ملغز . أخبر الصديق القادم صديقه الدكتور هول عن نجاحه وزاده حينا قال له : (إن الناشر مستر « كارتر » سيأتى اليك يقدم الجائزة) وفرح الدكتور . وقسم المبلغ على عدة مطالب مثالية ، وذاتية . وفرحت الزوجة ، فقد ارتفعت حرارة البهجة فى تأكيدها أنها من الأسباب التى صنع بها زوجها هذا الكتاب الثمين .

وجاء صحفى يعرف الحقيقة . وإنما يريد أن يعرف رأي الدكتور هول فى نجاح تلميذه المؤلف الذى حاز كتابه الجائزة .

وكتعمية . وطرد لفهم الواقع ، ومواربة فى التصريح عن المؤلف الذى يعرفه الصحفى . وعن المؤلف الدكتور الذى ينتظر الخبر على أوضح صورة وكانت المفاجأة أن عرف الدكتور من صديقه ، اعتبر أولا بأنه غالط التبس عليه الخبر . فهو يعرف عناية صديقه بموضوع الكتاب . فأعطاه الجائزة بالأمنية التى تمناها لصديقه . ثم يعرف الخيبة فيما ظن . فأخذ يعتذر ويوضح . فاذا المؤلف غير الدكتور هول .

وكانت نكسة للمستر .وغمضة من الترحة ، تدارك الدكتور بعدها نفسه فصبر . وصبرته الزوج الأمينة . وجاء المؤلف . يقدم الشكر لأستاذه المعلم له والملقن لفكرة الكتـاب . فأهداه نسخة عليها عبارة مجنحة فى الاهداء الى أستاذه . يعلن فيها :لولاه لما استطاع .

وعرف الدكتور هول . أنه كأستاذ معلم هو الذى حرم نفسه الجائزة فلولم يعلم الطالب لما كتب عن « جوتنان » .

هكذا يصنع المعلم فى نفسه ، لكنه العزاء فى الشكران . فى صناعة الرجال .

كان عزاء مبلسما أشبع الدكتور هول اكثر من شبع العشرين الف دولار . فعزاء المعلم الحرف والكلمة إذا ما وجد الناجحين والشاكرين . أما المأساة فانها تظهر حينا لم يثمر ما صنع فى ابراز تلميذ واحد .

● قارئ القى الجريدة من يده ، وأمسك لسانه يجيب على سؤال لم أطرحه بعد .

فقد كنت أنكر : هل يستأهل قارئ يلقى بالجريدة ساخطا من شئ لا يعجبه ، أو لا يهضمه ، أو لا يفهمه .. أن تخوض حوارا معه عن تصرفه ؟؟

ولو سكت قليلا لما تحركت اليه بسؤال .. لقد اعتبرت الجريدة قطعة من ورق مسودة بحبر غير مقروء . كما هى فى انفعالات صاحبنا الغاضب عجبا بفهمه ، أو تيهاً بذكائه . أو قنوطا من انتفاعه بشئ ما يوجد فى أى ورقة مكتوبة !!

ولكنه تحرك بالاجابة الظاهرة فى سلبها ، المبرقشة بالايجاب اللدنى فى مشاعر صاحبنا .

ـ قال :« هذا الكتاب لا أفهمه .. أنه يضع فى تخطيط الصفحة موضوعا بارزا لأرغم على النظر اليه !

انظر . اقرأ سطرا . ثم ارم الجريدة كما رأيت .

ـ قلت له : (هذا كل ما عندك وبس ؟ أم هناك لدنيات أخرى ؟) .

ـ قال : « هذا كل ما عندى . الرمز يزهق .. ما عندى وقت أحل الرموز والألغاز !! ».

ـ قلت : « ليس هو الوقت كل المشكلة ، وإنما هو الاحساس أساس المشكلة !

لو كنت تحس ما أحس .. لفهمت . ولكنك تريد شيئا آخر . كأنما أنت تفصل مقاسات لما تقرأ على نمط ما تهوى ..

إن اتفاقك مع قارئ كتب ما تهوى .. يجعلك أنت الكاتب لما كتب ، ثم القارئ لما كتبت أنت » .

وأخذت أقرأ له بجرس أهزه فيه هزة فيها بعض العنف .. وفيها كل اللطف لأنى أحب أن اكسبه قارئا لهذا السبب ..

وقرأت وقرأت . وركبه بعض عناده « بس .. بس » لا يريدنى أن أتم !

ثم قال : « لك رأيك .. وسأفكر » .

أحسبه قد فكر ، وسيقرأ كاتبنا بفهم جديد . ومن الغرابة بمكان أن الحديث والحوار كانا فى حالين مع اثنين . أحدهما لم يطل الحوار لأن قادما يتكلم أكثر من عجلة سريعة فى دوامة نهر كبير قد وصل .. أما الثانى فلم يدخل بيننا أحد . فسمع وسمعت .

شئ مرهق .. أن تصب الفكر فى قوالب على مزاجك ..

الفكر والحرف .. وضع زمنى . وحافز نفسى . ودافع موضعى .. واندفاع مع التفاعل مع من حولك لمن هم حولك . واقتناع بأحد الاختيارين .

فاما الرفض . وهو استجابة قد يكون منها ايجاد البديل . وهكذا كسب . واما استجابة نتقبلها لتأتي بما هو أحسن . وهذا كل الكسب .

● الأذواق تختلف ، والأساليب لا تأتلف ولكن الذوق يرتفع أحيانا ليجد لذة فى شئ لا ينخفض لذائق لا يعرف قدرا للجهد الذى بذل فى سبيل ما يذاق !..

والأساليب كثيرا ما تختلف فى المجتمع الواحد لترى بعضها مؤتلفا مع أساليب دنيا أخرى وناس آخرين .. فمثلا : الاسم اللماع جواز مرور فى أى شئ ، أو لأى شئ .. سواء كان مقالا ، أم رجاء أم تصرفا ، والاسم الناشئ لا يجتاز طريقه الا بصعوبة أو أحيانا يسقط فى منتصف الطريق لأسباب شتى !.

من هنا أعجبنى التصوير لهذا الموضوع فى حلقة الأسبوع الماضى التى عرضت فى تلفازنا من مسلسل الدكتور هول ..

دق على الآلة الكاتبة يكتب مقالا . ثم انتهى بهذه الكلمة .. لم يكتبها وإنما قالها : الآلة الكاتبة لا تصنع الكاتب .. أنا لست أرنست هيمنجواى !..

وجر الحديث ذكر رواية حديثة أحدثت ضجة ، واسمها (العاطفة) .. لم يضع المؤلف أسمه الصريح بل استعار اسما آخر ، فقرأها وشاهدها على السينما كثيرون .. القدامى استهجنوا لأن كاتبها فيما ظنوا من جيل جديد .. أستاذ صغير فى الكلية ، والمحدثون صفقوا لها لأنهم ظنوا أن كاتبها واحد منهم . وهنا دخل أستاذ كبير من أساتذة الكلية بصورة مزعجة يتناثر منه الغضب .. يطالب الدكتور هول بمعرفة اسم الكاتب لأنه فسق فى المجتمع بهذه الرواية الاباحية كما وصفها وبألفاظ أشد منها .. دكتور هول لم يكن من رأيه .. قال : « لم أقرأ هذه الرواية » وسأل الأستاذ الحانق : « هل أنت قرأتها ؟! » .. قال الأستاذ : « أنا لم أقرأها ، وإنما قرأتها زوجتى ، فأنا أحترم رأيها » وهنا كانت السخرية فى ظلالها الصامتة ، وجاءت سيدة كهلة تقول للدكتور هول : « إن البروفيسور وارن ـ مخدومها ـ قد أصبح ثريا ..

إن رواية العاطفة هو مؤلفها ، فقد جمعتها من سلة المهملات فى سبع سنوات ، وعرضتها

على الناشرين فدفعوا خمسة عشر ألف جنيه ، وضعتها باسمه فى البنك .. المشكلة عندى أنى لا أستطيع أن أصارحه » . وأخيرا جاء الدكتور هول بالرواية فأهداها الى مؤلفها الأصيل ، وبطريقة فى الحوار صرح الكاتب باسمه ، وبينما هو عند الدكتور هول يشكر برجيس الخادمة على ما صنعت ، دخل الأستاذ الكبير يسأل الدكتور هول : هل وجد هذا الكاتب الذى خرج على المجتمع ؟! .. وكم كانت المفاجأة مذهلة حينما عرفوا أن الأستاذ الكبير الحانق ما جاء يفتش عن الكاتب ليسترذله وإنما جاء ليعرفه ويثنى عليه لأن مجلة كبرى طلبت اسمه وستنشر هذه الرواية .. وكم كانت المفاجأة مذهلة أكثر حينما قال له الدكتور هول : « مؤلف الرواية هو هذا الدكتور وارن .. كان ينبغى أن تعرف هذا من قبل .. لأن البروفيسور هو الذى يستطيع أن يكتب التاريخ على هذه الصورة »..

وخرج الأستاذ الحانق مذهولا يتمتم : « بروفيسور وارن .. بروفيسور وارن !»..

●رواية قرأناها من قبل ، وسمعناها تمثيلية من زمن بعيد فى إذاعة القاهرة .. كاتبها روسى .. ظلالها طمع الانسان فى الأرض .. مغزاها كيف يقتل الطمع صاحبه !

لقد أخذ يجرى بطل الرواية ليأخذ المنحة من معطيها له أرضا تتسع بقدر خطواته يذهب بها ويعود قبل مغرب الشمس ، فأخذ يجرى ويجرى ، ويحسب أن الشمس باقية .. يريد أن يكسب خطوات أكثر تتسع بها المساحة التى سيملكها ، وقبل مغرب الشمس رجع ينهب الخطوات سريعا .. يلهث فلم يكد يصل الى نهاية الشوط حتى سقط ميتا .. لم يكسب من الأرض إلا قبره !

ومن الغريب أن تكون هذه الصورة هى التى رأيناها فى فيلم أمريكى شاهدناه على تلفازنا .. قائد الفرقة الأمريكية ذهب يحتل أرضا يحكمها الأسبان المكسيكيون .. تساقط الجنود حول الحصن تحت العلم الأمريكى ، ولكنهم انتصروا على القائد الأسبانى وأسروه ، ولأمر ما لم يقتله القائد الأمريكى .. أبقاه حيا ، وبعد نهاية التصفية تخلى القائد عن جنديته ، وأصبح طامعا فى هذه الأرض التى ينبغى أن تكون ملك الأمة ، فأجبر القائد الأسبانى أن يبيعه الأرض .. هذه الأرض لم يعد يملكها الأسبانيون ، ولكن

الاحتيال على الصفقة ينبغى أن يكون عن طريق المبايعة .. كان صك المبايعة بقيمة ٨٥٠ دولارا بينما قيمة الامتلاك للأرض كانت الدماء التى سفكت فى سبيلها .. لا من أجل أن يشتريها هو على هذه الصورة البشعة ، وإنما من أجل أن يملكها شعب !

عملية طامعة أنكرها ضابط معهم ، لكنه تحت التهديد بالمسدس قد شهد على صفقة البيع القبيحة ، وتنبه الرجال من الشعب الأمريكى باسم العدالة ، فأخذوا يجمعون الأدلة لابطال الصفقة ، فلم يستطع الضابط المفكر لهذه الصفقة الذى شهد بالتهديد أن يدلى بشهادته الصادقة ، ولكن إنسانة الشعب ـ المرأة ـ حثته على أن يشهد فكان جزاؤه رصاصة من أعوان القائد الذى اشترى الصفقة .

لقد وقع الأسبانى الصك مقابل حياته ، ولكنهم أطلقوه ليقتلوه ، وأصابوه فعلا ولكنه نجا بأعجوبة . وحينما اشتد القضاء العادل فى مطالبته وعرف العزيمة فى أن يحضر الى المحكمة دبر خطة العصف بالأبقار .. سرحها أمام أعوانه ليهاجم بها ـ أى بهذه الأبقار ـ المنفرة النافرة ، تطأ كل ما فى وجهها ومن فى وجهها .. أراد أن يدمر بها الرجال ، والعدل ، والأخلاق ، وخرج ليشهد الدمار بأظلاف الأبقار ، فذهب قتيلا ، وطأته أبقاره ، وتحققت العدالة لا بحكم عليه ، ولكن بحكمه هو على نفسه .. هو قتل نفسه بأبقاره !

أليست هذه الصورة فى الفيلم الأمريكى هى الصورة نفسها فى الرواية الروسية ؟!!

لكن هناك فرق دقيق فى الرواية الروسية .. معلنة امتحان الرجال للرجال .. فى الفيلم الأمريكى محنة الرجال بالرجال !!

● فى مسلسل « حمام الهنا » أشياء تعجب !!.. مثلا حكاية الأرز وجري الناس لشرائه كانوا يجرون على البقالات كل يشترى « رز » من اشاعة بسيطة أطلقها « غوار » لبيع عشرين كيلو أرز كمقلب فى « أبو صياح » !

انطلقت الاشاعة فصدقها الناس ، وهكذا حين ينعدم الوعى تخيم المخافة على طريقة (اللى قرصه الحنش يخاف من الحبل) .

الاشاعات الكاذبة ، والخائفون يصدقونها .. ولكن هناك أناسا يعملون على تأكيدها .

يجدون فيها الفرصة لكسب أو لعبث أو هو ما شر من ذلك .

فمثلا فى أيام زمان يأتى الخبر : الباخرة « علوى » أو « جهنقير » ستصل الى ينبع ستصل بالأرز والحنطة وما الى ذلك .

الخبر صحيح ينتشر بفعل الخزانة .. والتجار يعرضون فى السوق ما لديهم بأسعار أقل من سعر الأمس ، حين لم يكن خبر عن الباخرة .. والأفراد لا يشترون المعروض ، ولكن هناك دهاقنة كهنة لديهم ذهب يشترون المعروض .

فالخلى أو غير الواعى يقول : « هؤلاء مجانين » وهو لا يدرى أن واحدا من هؤلاء ما دخل السوق مشتريا إلا وأرسل نجابا معه شئ من المال الى الذين يمكنهم منع (القدو) من الوصول الى المدينة !

وتصل الجمال الى المسيجيد ثم ترجع الى ينبع خوفا من (العقد) .

ويشيع الخبر !!.. من هنا تأتى الفرصة لهذا الخزان المحتكر يتحكم فى السوق ، يربح هو ويخسر الآخرون .

إن الحال قد تغير بالأمن داخل البلد لكنه قد تطرأ هناك أحوال تجعل من تأخر البواخر معنى من معانى الحجز (بالقدو) على طريقة :

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

● وسألنى بعضهم منكرا ، يستغرب استعمالى لكلمة « تلفاز » انطق بها ، واشتق منها « تلفز » و« متلفز » و« التلفزة » و« المتلفزة » إلى آخر ما يجرى به الكلام والخطاب والحال ومقتضاه ..

وأجبته على الوجه التالى :

١ ـ إن الاشتقاق من الجامد عربى ومباح ومتبع . فذهّب السيف من الذهب ، وطيّن الجدار ، وجصّص .. وحجّر ، وخشّب ، وفضّض ونحّس وحدّد إلى كثير من أمثال ذلك .

العرب فعلته ، وجاءت المجامع تقره .

٢ ـ إن التعريب ملكنا نحن العرب كما يقول الدكتور الشيخ العميد طه حسين .. والعرب قبلنا عربوا .

والقرآن الكريم وبلسان عربى مبين أيات تتلى علينا صدق ما عربت العرب فجاء عربيا بينا يتلى إلى يوم يبعثون ..

فالميزان والاشتقاق منه ، والصراط ، والزنجبيل ، والدمقس ، والقرطاس وما إليها كلها عربت فأصبحت عربية بلحن اللهجة العربية لا عوج فيها ..

٣ ـ وإنى لأرتضى لنفسى ما ارتضاه صاحب المقتطف يعقوب صروف فى تجويزه الابقاء على كلمة « بنك » لسهولة لفظها أصبحت عربية .. ويسوغ ذلك بان فيها حرفين ذلفين من حرف الشفة ، وهى أعنى الحروف الذلفية من علامات العروبة فى الكلمة .. ثم لفظة « بنك » ساكنة الوسط لا تمنع من الصرف رغم عجمتها .

وأرتضى لنفسى ما ارتضاه أمير البيان شكيب أرسلان أبو غالب من إشتقاقه « تلفن » من التلفون .

إن الحياة للغة هى فى احياء العامى منها نفصحه كما فصح المازنى كلمة « يستاهل » وغيرها ..

وأن نعرب فنهضم ونصقل ونوسع أذهان القارئين .. أما التوقف والطرد .. واخضاع الناطقين لشئ لم يجر على لسانهم فأمر يميت ولا يحيى .

العامة لا المجامع هم الذين عربوا « البسكليت » دراجة .. والاتومبيل سيارة .. بل إن العلامة الأستاذ عبد الحق فاضل ، يفضل استعمال العامة لكلمة « طيارة » عن استعمال الخاصة « طائرة ».

أريد أن نجارى ولا نرفض .. نعدل ولا نحول .. نحول العامة إلى اتجاه صائب وسلس وبين .

وقنع محدثى ، ولعل غيره لا يقنع لأنه لا يملك ملكة فى لسانه وذهنه تطوع له أن يشقق الكلام ويشتق ، ويتصرف ..

● فى ليلة أمس الأول .. شاهدت التلفاز ـ أعنى الفيلم الطويل !

هو فيلم أمريكى فى القصة هدف وتاريخ .. تاريخ الشبل .. أحد أشبال الصحافة الممتلئين بالنظريات الأخلاقية والوجدانية . وما قبلوه فى مؤسسة صحفية الا بعد أن قاسوه طولا وعرضا واختبروه .. مر بكل المعاناة حتى الطرد ، والفصل والصفعة !

لقد وجد الأساتذة العتاة ، وقد درس نظرياتهم أنهم فى الواقع المثال الحي لتطبيق هذه النظريات .. ولكن ما وجده على العكس (أمسك لى وأقطع لك .. شيلنى وأشيلك) .

وجد الحقائق تختفى والأكاذيب عليها زخرف الحقائق ، والجرائم تلبس لغير من اجترمها .. أمضه الحزن لكنه شبل .. هم هكذا عبروا عن الفيلم .. الترجمة كانت باسم الشبل .. هذا الشبل صعد ، وناضل حتى طوع أحد الأساتذة الكبار .. فطوح الأساتذة الكبار !

ذهب الى المحكمة ليشهد محاكمة مجرم .. فوجد فقيرا مكسيكيا ما ظنه حمل السلاح يوما ما .. كاد يتم الحكم لولا أن الشبل تدخل قائلا : ليس هذا هو المجرم .. لا يمكن أن يكون هذا مجرما .. المجرم مستر « كيلى » النائب العام .. أى حامى العدالة .. هو مقترف الجريمة ولكن بأسلوب العصابات .. كل من يقف فى طريقه .. يعارضه فى أن ينتخب .. يزيله بالأسلوب الخفى لتعلن الجريمة .. يلبسها مسكين .. أى مسكين يلتقط من أى شارع !

وجاء الأستاذ الكبير الذى استيقظ ضميره يخوض المعركة مع الشبل .. فظهر النائب العام ليقضى على الأستاذ والشبل ، وبعد معركة ذهبوا به الى الزنزانة بعد أن كان على منصة القضاء .. يحاكم بقانون .. كان يتحكم به فى رقاب الناس !

يظهر أن كاتب القصة كالأكثرية من غيره يعالج هذه الأوضاع الخفية فقد شاهدتم الحلقة الأخيرة من فيلم الهارب .. كيف أطلقت القوة الخفية ـ تمشى على عكازين ـ القاتل .. الأكتع بعد أن أمسك به الهارب .. أطلقته من يديه بسلطان القوة على البوليس وعلى القانون .. قوة رهيبة مخيفة تعمل فى الخفاء !.

إن هذا الفيلم يحاول فيه كاتبه ومخرجه . وحتى الممثلين فيه علاج داء . ولكنه فى خارج الولايات المتحدة يعلمنا تاريخ حضارة القرن العشرين (!!)

● وقبل أعوام مضت شهدت فيلماً اسمه « ذئاب الميناء » وشهده معى صحاب نائمون !

ناموا ساعة عرضه فلم يفهموه . فلم يعجبهم قالوا : فيلم « بطال » ما فيه شئ مفيد .. خسارة قيمة التذكرة ..

لقد دفع كل واحد منهم قيمة تذكرته .. فعلى أساس النصفة فى الانفاق . كل ينصف نفسه .. يدفع عنها .. تقليد غير النخوة فى جيوب الذين يزعقون « بالجبا » والحساب خالص .. اتبعنا سنن غيرنا ، فتغير كل شئ علينا .. ولم يتغير بنا .

شئ تعلمناه من حياة كل ما فيها مادى حتى ليأكل الواحد على مائدة لا يدعو صاحبه اليها فاذا ما حضر دفع حساب نفسه . وخرجت شبعا من الفيلم ، عرفت مغزاه . وبعد شهور أعطوا البطل « مارلين براندو » جائزة الأوسكار .. الفيلم يلخص كيف يطغى رئيس العصابة حتى إذا انبرى له حر يكتشفه يضيق به ذرعا .

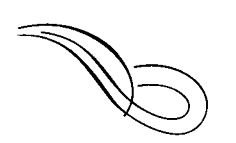
لقد اكتشفه الانسان الحر يكره الضيم من هذا « البلطجى » واحتك به . وأخرجه عن وقاره .. غضب رأس العصابة فرفع يده يضرب الفتى كفا ، فاذا الفتى لا يرتعد فضرب رأس العصابة بكف حار .. فاذا بالمنومين يصحون .. قسم مع الرئيس ، وقسم مع الفتى ، فانشق عليه أنصاره فسقط ! سقطت هيبته ، وانكشف قناع فزالت اللمعة عن رأس العصابة .

هذا مغزى الفيلم ، فبعض الذين يكسوهم الوقار يذهب عنهم بثورة غضب ، بجرأة فتى متهور .. الوقار كساء يمزقه الغضب ، والجرأة .

● رأته ينظر إلى السماء يدعو الله أن يمنحه التوفيق . وابعدت نظرها عن التحديق فيه ، وقالت فى نفسها لقد رجع إلى ربه حينما رجع إلى نفسه : فاللهم اجعله من الذاكرين حق أنفسهم على أنفسهم ليعرفوا حقك عليهم . فالذين تضيع منهم أنفسهم هم لغيرها أضيع ، فاللهم احفظه بالذكر والدعاء والتوبة . واجعله من الذين يعرفون لاخوانهم حقهم عليه . لتعطيه يارب الايمان .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ورأى دمعة العين فاسترجع يقبل يديها . إنها أم . رجع إليها ولدها فحمد الله أن هداه .

وسمعت أخبار نجاحه . فقالت : « أنت يا رب ولي النعمة واهب التوفيق ميسر النجاح ».



ذكريات

● حينما يتحدث اثنان بما يشبه البوح .. أي بما يطرد النوح يستطرد الحاكي « شاكي وتسمع منه » !.. هو يستطرد فلا يفوته شيء . أما أنت فيفوتك أكثر الشيء !

هو لا يسأل عن الفوات .. يكفيه البوح . أما أنت حينما تصطفى نفسك في لحظة سارحة تجتر ما سمعته منه تشعر بهذا الفوات .. تفتش عليه .. تعتزم في نفسك أن تسأله غدا ليسرد عليك ما سرد ..

هذا هو الفوات الذي لا يسترجى . فأنت أقدر منه على التذكر لحظة بعد أخرى بعض ما باح به . أما هو فالبوح قد أراحه فأنساه صور الملامح التى سكبها في بوحه ..

قد يسرد عليك الحكاية كما كانت لكنه لن يكون مثلما كان معك أمس .. هناك وضع ، وحالة ، ومشاعر فرضت سلطانها على ما قاله . فهي حلية ذلك . وهي المؤثرة فيك أن تنسى .. أن تتذكر . أما هو فالحكاية هي عنده لكن أين الديكور ؟!..

وجربت أن ألبس هذه الحكاية التي سردها . فأغير الأسماء . والأمكنة . وأتكلف الوضع . وأزخرف الحالة لأكون أنا البواح !!

وجلس يسمع .. لقد « انخم ! » حسبها حكاية صحيحة كنت أنا بطلها ..

لم يكن هناك صدق فيما حكيت .. كان خيالا . لكنه كان الصدق حينما سمع !..

هي حكايته هو .. سمعها بصدق لأنها لامست مشاعره .

كثير مما نكذب فيه قد يكون هو الصدق في الذين يستشعرون وضعا ، وحالا لهم !!

وضحكنا من هذه الكذبة البيضاء .. من هذا الصدق العميق .. مني وفيه !

واذا بي أتغير كأنما نبشت الدفين الذي ذهب .. ذكرني به وضع جديد .. غنة من صوت جديد . فأخذت البوح . وأخذ هو السماع !

لا أدرى .. هل يعيد التمثيلية معي ، أم أن كلنا في « الهوا سوا » ؟!!

مع فارق واحد هو مثله أن يكون حياة لحياة .. مثلي أن أكون حياة ذاهبة الشخوص .. باقية المعاني !

التجسيد ، والشخوص من لوازم الحياة للحياة .. أما المعاني فهي فواصل بين الذكريات يستريح البوح في واحدة .. يجمل النوح على واحدة !

لا تصدقوا هذا .. إنه « هدرشة » مزكوم .. حرارته ٣٩,٥ .. يشرب الماء مر المذاق ، ويأكل الخبز أبو دقيق معطن .. مشوى على طريقة التجفيف تحت الشمس !!

● وأرسلته جدته العجوز الكسيعة .. يشترى لها زهرة « نيلة » تصنع منها صبغة خفيفة تستر عيب البقع على ثيابه .

لم يكن يعرف غير جدته والحوش .. لم يذهب الى كتاب بعيد يشهد منه الجديد في المدينة ، ولا يعرف كيف ذهبت أمه بموت عاجل ، ولم تكن المدرسة مرغوبة في عقل الكبار ، يخافون على الصغار منها .

واذا زارهم أبوه خطف قبلة منه فلم يذق لها طعما فهى خاطفة تسرع ، ومخطوفة لا تشبع ، فلا زال فى جوع الى القبلات ، فهى ألذ ما يطعمه الآن ، لا يستعطيها من أحد ، وإنما هو يعطيها للغوالى عنده ، يأخذ الخدود والأكف يقبلها حبا فى حب ، واحتراما لحبيب غال .

وأخذ القطعة « استنبولى » أى القرش ، عشرة بارات اربع هللات .

وبالوصف وسؤال الرجال الكبار عرف « زقاق جعفر » إن فيه دكانا « للقازنلى » يبيع النيلة !!

ودخل الزقاق ، فشعر بنسيم بارد ، بعد لفح السموم لأن الظل والمسارب ثلجت اللفح ، وبردت السموم ، فود لو كان بيتهم فى زقاق جعفر ، فى مكان بارد ، وفيه دكان « القازنلى » لا يضطره الى بعيد يمشى حتى يشترى الزهرة .

ونظر الى الدكان .. دكان طوله متران ، وعرضه متر ، فتح قسرا فى جدار البيت ، كأنما

أحدث بعجة فى السدة المدخلة الى القاعة .

ونظر الى هذا المعلب فى القوارير ، أصفر ، أخضر ، أحمر ، ما هى ؟ .. ما هو ؟..

واشترى النيلة ولم يرفع عينه عن الألوان . فأعطاه القازنلى واحدة صفراء ، حلاوة موزية .

فالآن عرف الحلاوة الموزية ، وجدها شيئا جديدا مرغوبا فيه أكثر من الحلية .. التمرة التى كان يأكلها من يد الجدة .

ورجع فاذا هو يسمع دويا يرجع صداه كل ما فى الزقاق من مسارب ومداخل ، وتهتز الجدران .

وذهب يجرى خائفا كالناس حوله ، كلهم جروا .

فالمدافع من جبل « سلع » تضرب أهل العوالى .. مساكين لا .. يستاهلوا . لا . ايش ذنبهم ؟

لا تسأل .. هؤلاء خانوا الدولة .

وسمع الكثير ، وارتمى فى حضن جدته ، فوجدها تبكى !

ـ لماذا تبكين ؟!

ـ قالت : خالك ركب ذلوله ، وذهب مع سيف العوجان يقتل قومه .

أنا خائفة أن يقتل !! قتلونا فى القصيم . ونقاتل معهم هنا !!

● .. ويعلو الرمز فى بيئات تحول دون الوضوح والدنيا اليوم على حال من الغموض البليد ، والوضوح الفاجر لا ينتصر عليها إنسان إلا بالرمز القاهر يتنفس به إنسان يحس ، وتنفجر به بلادة في ما حوله ليقضى على الوضوح الفاجر، يريد أن يحوله من إنسان روح الى جسد بشر !.. فالبلادة عند الذين يطردون من أنفسهم التعلق بالمثل ، ويفرون عن الحقيقة الواقعة ، والوضوح الفاجر عند الذين يطاردون بالركض والقذف واللا مبالاة كل ما هو مثل .. كل ما هو تاريخ .. كل ما هو قيمة .. كأنما إنسان اليوم يريد أن يفرض حياة الغجر على دنيا البشر !!

بلادة ألا تناضل دون حبك .. دون تاريخك ، وفجور أن تهدم القيم بالبلادة المستكنة فيك ، وبالذكاء الطاغى فى هؤلاء .. اسميهم : قتلة الفضيلة ، كأنما يريد هؤلاء الراكضون بالبوينج ، والصاروخ أن يكون الإنسان راكضا فى البنك .. راكضا فى البيت .. يطلبون منه أن تنتحر الدقائق الهادئة المريحة لتحيا ثوانى قلقة ضائعة فى الزحام .. لا ترحم صاحبها ، فكيف يرحم هو غيره ؟!..

إن البلادة إذا ما اعتورت محيط إنسان ، وإن الذكاء الراكض الرافض والمغرض اذا اعتور نفس إنسان كلاهما يهزم بالفنان .. ذلك أنه لا بليد .. ذلك أنه يرفض الركض ، فالريشة فى يده ذكاء ، وهى أيضا أناة ، من هنا شريت الرمز المقهور فى انحباسه .. الباهر فى انطلاقه عصا تضرب البلادة ، وتوقف الركض .

اليوم شريت هذا الرمز فى معرض ابنتنا الغالية « صفية بن زقر » لقد وقفت أمام بلادة أضاعت التراث بعامل البلادة وعامل الركض ، فأخذت تصنع تاريخا بالريشة يصور لنا التراث الذى ضاع فى أدوات كنا نحيا معها ، وحيوان كنا نعيش به ، وأزياء كان سترها ضافيا علينا . إنها فى كل معرضها هذا .. فى كل الصور صانت التراث .

ـ قال لى أحمد ابار : انظر الى « دزقة الشاهى » لقد ضاعتْ من كل بيت .

ـ قلت : نعم ، لكن هذه الفنانة حفظتها على الصورة ، وهناك نظرة أخرى : ليس فى كل هذه الصور الابراز لمأساة فرد ، وإنما هو كل البروز للمآسى التى الغينا بها التراث بالجرى وراء ما هو ضخم ، والطرد لما هو فخم « الفخامة غير الضخامة » !!

● مسكين هذا الإنسان يصنع لنفسه أبراجا وأعشاشا وفراديس ومخابئ ومقبرة وآمالا ويأسا وفرحة وترحة ، ونصرا وهزيمة ، و .. الى آخره .. كل هذه من قوة الضعف فيه تستحيل فى أى حال منها الى ضعف القوة له ، أو تسلط القوة عليه .. يستحيل عليه أن يعيش بغير هذه المعذورات .. فى تناقضها تناسقها .. من قساوتها تصارعها .. من فهمها بلادة ذكية ، أو ذكاء بليد ، وهو لو لم يكن كذلك لتحجر الذهن ، ولمات احساسه ، وتفهت حياته . وأعاد يمشى القهقرى الى (وراء الوراء) !.. فكل التقدم والتفوق له .. هو من

عراك هذه التناقضات .. من صراع الجزء المحس بالجزء المتألم .. لكل المنفعل إحساسا وألما !!

● عشت أياما فى أشهر لما تبلغ العام بعد أجتر ذكرى مؤلمة .. أتلمظها بلذة خائفة من خبر جاءت به واحدة تروى أنها رأت صورتها ـ أعنى صورة التى جاء ذكرها ـ مصادفة .

ـ قالت : رأيت صورتها على نعش حينما أخرجت من مقبرة فى طريق تهشمت فيه سيارة كانت تركبها مع ...

وابتلعت الخبر .. أغص به .. أضحك من بكاء دفين .. أبكى من ضحكة معلنة .. أرسمها« كالاكليشيه »أقابل بها من يعرض لى من هؤلاء السائرين بنا معهم . أوهم الذين نسير بهم معنا،سائرين فى سؤال : ما هو الخبر .. كيف حال الجو ؟!.. وهم لا يدرون أن الجو هو هذا الخانق المعذب حامل تبعات الهوى على كتفيه .. وجاءت مصادفة أخرى فقالت واحدة : لا .. لا .. لم نكن معه !.. قلت : وهل تتحدين حينما تعودين بالسؤال عنها ، والأنباء بالجريدة التى نشرت الخبر والصورة ؟! .

ـ قالت : لانتصر فى هذا التحدى ساتيك بالخبر اليقين عن حياتها !

وهنا جاء فعل المتناقضات .. أضاع الألم اللذيذ ليحل مكانه الألم التافه .. الألم اللذيذ هو أن تكون حياتها فى وجدانى ثباتا لا يتغير يعطينى حق الامتلاك لها .. سوف لا تكون لغيرى .. أنانية . لكنها لذة لايضار بها أحد .. أنتفع بها حبا فى الحب .. تسمو ذلك عن الأنا لتكون هى .. أما الألم التافه فهو أن أجدها ولا أجدها .. تستحيل اللذة الى حسرة من فقدانها ، حقا لا أشعر بامتلاكها فقد يمتلكها وجدان آخر .

اللذة فى الألم كما هى فلسفة أرسطبوس .. كما هى كلمة جبران :ـ ابتغوا اللذة فى الألم وابتغوا الألم فى اللذة .

أما الحسرة فألم تافه بجذوره أمل أحيانا ما .. الخيبة فيه تتضخم بتلك الحسرة .. لقد أحسنت تلك التى أخبرت أولا .. وما قصدت الاساءة التى أخبرت ثانيا . لكن هذه المتناقضات هى التى تحسن وتسىء !!.

● الصيف ربيع حياتنا .. فى صحرائنا وواحاتنا . وهو جنى الربيع فى الحياة .. حياة السمر ، وقطف الشجر ، ورعى الكلأ من الحياة .. فيه ملاعب الفرحة وفرحة اللاعبين .. أترابا .. أترابا .. كواعب وفتيانا .. ليس أكرم منه فى الفصول .. فى جوده ونداه .. هذه الواحات .. خيرها فى الصيف .

كنا نعيشه .. لا نسأل عن الرمضاء .. نمشيها ، لا نحمل الشماسى ويكفينا ظل نخلة وإذا بنا اليوم نستجير من الصيف لا نطيقه .. نعيش فى كهوف أرغمتنا عليها المكيفات .. نترك الطبيعة ونعيش الصناعة ، وكنت أتحمل حرارة الشمس كأنما أنا عاشقها . أرضيها وترضينى لأن وراء المشى فيها ما يرضينى وأرضيه .

وذكرنى به الحمار .. فقد صرت اليوم أركب سيارة فاذا بى أعود الى الكهف .. أما الحمار فقد كنت أركبه أو أقوده فأنقاد به الى فلاة واسعة .. أشق به الوادى لأصل الى النخلة أتفيأ ظلالها لأجد ما يرضينى !.. والحمار .. حمار لو أترفوه بالعلف المنقى .. إن هذا العليق سواء من الحلبة أو شعير من البصرة أو قضب بذرته من القصيم أو من أختها من المدينة .. ولو غروه بالسمن الشفوى .. أو حتى حنكوه بالملح من « مجز » أو مجزان على ساحل « الرايس » أو البسوه الكشحة والجلجل ، أو جللوا « الولايا » بالمخمل ، ولو كانت هذه « الولايا أو البراذع » من شغل « أبو ديبرباله » فى المناخة ، أو شغل الريس فى سوق الليل .. فلا زلت غاضبا على هذا الحمار رغم احيائه الذكرى فى نفسى – هو حمار الحاج ميلاد المغربى .. كان عند ميلاد الحاج الجزار المتخصص فى الذبح . فى المجزرة أيام زمان حمار أسود « غطيس » أى فاحم ، مقطوع الذنب – يعنى أبتر ! – أترفه كل الترف .. يعشق ركاب الحمير أن يركبوه .. وكنت أحد هؤلاء العشاق . وترقبت يوما أن أكريه من المكارى أنزل به الى العيون .. خطأ أن تقول : نطلع العيون كخطأ أن تقول نطلع المسفلة .. فالصواب هو الطلوع الى العوالى ، أو المعلاة ، أو هو التسنيد الى نجد أو النزول الى تهامة !

وجئت أحمل صينية « تبسى كنافة » .. من شغل الشيخ صالح شرف النابلسى ، وليس هناك أحسن منه صانع للكنافة يعنى من بحرة ..! واكتريت الحمار الأسود ، فاذا أنا على

ظهره ، « والتبسى » فى حجرى ، وإذا هو كالهبوب .. حتى إذا خرجت من الباب الشامى حرن ، « وجحش » والتفت بمكر ليذهب الى المجزرة .. لا يريد أن يسير الى أمام .. ونزلت عنه فى الرمضاء أحمل الكنافة على رأسى ، وأقوده لا من قدامه ، وإنما أسوقه الهوينا من ورائه .. ورأى حمارا فأخذ يجرى ، ولم أركبه إلا بصعوبة كادت تضيع الكنافة منى ، ودخل الحمار الى « ضيف السيد » فاذا بى أنزل عنه ، أداريه ، أمشى الهوينا معه .. يريد أن يرجع وقلت له : إنك لحمار .. أمك من حمير « الحرة » وأبوك من خلائف الحمر اليهودية فى خيبر !..

ورأى حمارا بعد أن قطعت وادى قناة وأخذ يجرى كأنما هو اليهودى لا يمشى إلا بعون رفيق حتى إذا غاب الحمار « جحش » ولم أصل به الى « المدافعية » فى هجير الرمضاء الا بعد لأى ، فدخلت الى النخل أحمل « التبسى » على رأسى .. يلقانى بها الأحباء فسلمته لواحد وضربت الحمار سوطين .

الطريق الى مزوده .. يجد العلف المنقى فيه ، فرفع رجليه وأخذ يجرى ليعود ! ولا أدرى كيف كنا نتحمل حرارة الصيف . لكنها نوازع الكنافة ! ولا أدرى كيف يشق علينا الصيف . ولكنها نوازع الكيف والتكييف .. فوازع الكهولة !

يا للشباب المرح المتصابى روائح الجنة فى الشباب .. الشباب جنة .. رغم الهجير والكهولة « جُن » - .. بضم الجيم تسوق الى الزمهرير .. إن لم يتداركنا ربنا برحمته ، ولا أدرى فلعل هذا الحمار قد أنجب من هو أشد حميرة منه ، فالعرق دساس !!

● كدت أذهب كأحد أفراد البعثة الأولى التى ضمت السيدين أحمد العربى ومحمد شطا والسيد ولى الدين أسعد . أمد الله فى حياتهم فكم لهم من يد بذلوها فى تعليم أجيال بعدهم !

قرأت الاعلان فى أم القرى (الجريدة) وبحثت الأمر مع أبى لأتقدم بطلب يضمنى اليها ، فلم يمانع صراحة .. أى لم يواجهنى بالمنع بل قال : شاور الشيخين محمد صقر وكان فى المدينة ، ومحمد العلى التركى وكان فى مكة .. أسأل الله لهما الرحمة .. فقد كانا إنسانين يبذلان الخير تعليما ونفعا وتأديبا .

السيد محمد صقر قال : لا تذهب .. أبوك يريدك مسجديا تتعلم فيه وتدرس ، ولا مكان

للعلم ينحصر فيه .. المكان هو الرغبة والأستاذ والكتاب . وهم هناك مثلنا ونحن مثلهم .. لا فرق إلا فى الحصيرة والرتابة ..

وكتب إلىّ الشيخ محمد العلى التركى : لا تذهب . أريدك هنا فهو خير لك . أعرف أن أباك سيزوجك فتزوج وعلى الله ثم علىّ الباقى .

وسألنى أبى .. بماذا أشار عليك الأساتذة ؟ قلت : نصحوا ألا أذهب .. فقال : هذه رغبتى لقد خطبت لك فلانة . وبعد أسبوع نعقد لك عليها .. فتزوجت . وأنجز محمد العلى التركى وعده لقد كانت يده هى اليد التى جعلت منى أستاذا أعلم زملائى واخوانى . ومن المصادفة السعيدة أننى وأستاذى محمد صقر قد عين كل منا أستاذا فى يوم واحد . هو قد عاد الى مكانه . وأنا شملت بتقدير !!

زملاء وأصدقاء لم تتغير نظرتهم إلى لأنى لم أغير عملى لهم ومعهم وبهم . يعرفون قلة حصيلتى من العلم . ولكنهم يثقون بأنى أجد لهم الجواب بالمراجعة لقد تعلمت منهم وتعلموا كيف نقرأ ؟ كيف نراجع ! والحصيلة الحاصلة التى لم أشعر بندامة أن لم أذهب . بل إنى اعتز بشعور المتعة بهذا الكفاح فى سبيل المعرفة نتعلمها على ضوء فانوس وفى غربة من الكتاب والمجلة . حتى إذا اقترب الكتاب وما اليه تخاطفته الأعين القارئة ليكون مزقا كورق . وليكون غذاء عقل كفهم ومعرفة ..

أكتب هذا دليلا للذين حالت ظروفهم دون سفرهم . فلديهم الكفاح والجامعة والكتاب .. لديهم من النور واليسر أكثر مما كان عندنا . العلم رغبة وكفاح .. ونحن فى حاجة إلى كفاح أقوى فى سبيل المعرفة .

● شرقت بالدمع حتى كاد الدمع يشرق بى ..

كان البكاء نزيفا من الداخل .. ذلك أقسى الحزن أن تكون فى نفسك على غير ما تكون فى حاضرك مع إنسان !..

كنت الحاضر الغائب .. يسألنى : ما بك ؟.. أقول : لا شئ ..

لكن التشابه فى الحالات يعطى صاحبك السائل الاجابة التى يريد منك . إجابة من

نفسه كأنما أنت هو ، أو هو أنت .. غير أن الفارق بعيد .. هو يحن إلى الذكرى .. أما أنا فقد أحنتنى الذاكرة !!

ذاكرته حية .. عائدة ، أما ذاكرتى ففاقدة الوجود .. تعيش ترغم الفقدان المجسد إلى ايجاد معانيها .. ماثلة فى النفس !!

كنت أقرأ فى مجلة تكتب خبرا عن انتصار فريق فى لعبة .. ينسبون هذا الانتصار إلى بطل قد ذهب .. ذكرى البطل قد تكون جاءت بهذا الانتصار .. لهم مجدهم .. أما أنا فمن ذاكرتى قد جاءت تحطيم ما وجدت لابنى لها الوجود فى نفسى !!

هم تذكروه ، فذكرونى بها !!

كان البطل قد ذهب بها معه .. فأصبحوا يذكرونه ، ولا يتذكرونها .. أما أنا فحينما قرأت اسمه كانت هى التى ذكرتنى به ..

لقد مات ، ولم يكن قاتلا ، ولكنه حينما ذهب بها أصبح شارعا فى تقتيل نفسى أنفسا تتمزق .. فى كل يوم يمزق بذهابه وذهابها هذه النفس !.

كدت أنساها ، لكن الأبطال إن لم يذكروك بأنفسهم لأنك لا تعيش على مجدهم .. ذكروك بما صنعوا فى حياة أو موت .. بهذه التى تحيا فى نفسك !.

لقد ذهبت فى الحريق ، فخمدت النار التى أحرقت ، لكنها أوقدت النار التى ما زالت تحرق .. هذا مجدها .. مجد الحب يبعث فى الانتصار حينما أصبحت الحفيظ على الذاكرة لأكون الحفيظ على الذكرى !!

من هنا .. صنعت الاجابة له ، ولا زال السؤال قائما عنده ، وهذا فارق آخر .

أنا قد تحددت إجابتى ، أو استجابتى بها ، بقيت فى نفسى فـ « الأنا » فيَّ أجدها بهيجة لأنها بذهابها أصبحت لى لا لغيرى .. أما هو فبقاء الحياة يتعبه لأنه يريدها أن تكون له ، ولكن الغفلة تعتريه .. لا لأنه يخاف نفسه ألا يكون لها ، وإنما يخاف أن تكون هى له ، وليست له !!

شئ مكرب أن نعيش على الذاكرة .. وأشد كربا أن تبكينا الذكرى !!

حفظها الله .. تلك التى أشعلت فيَّ المعرفة عنها لتكون هى المعروفة دائما لدى !!

رسائل خطية وتليفونية

● وكتبت خاطرة عن الهدا ، عن رؤية عابر في طريق .. تغزلت في رائحة الثرى والنضح الرطيب من قطرات المطر ..

وكأني قد أغظت قارئا يعيش في الهدا .. فعرف ما أساء من الانسان من عبث واهمال .. أف من هذا الانسان ، فكثيرا ما يفسد في الأرض إن قهرته التعاليم عن القتل وسفك الدماء ، قهر نفسه من حيث لا يدري بهذه القاذورات اذا ما القاها بعيدا عن فنائه ، فانه يظن أنه قد باعد بينه وبين افناء الحياة بالجراثيم ..

وكان قارئا لم يعجبه ما كتبت فأرسل الىّ يعقب عاتبا ..

ولعلى انشر كتابه بنصه لعل الناس يعرفون أولا .. وكما يعرف المسؤولون ما ذكر ليزيلوه !!

واليكم نص كتابه بالفاظه دون أي تعديل أو تبديل :

حضرة الفاضل الأستاذ محمد حسين زيدان الموقر ..

تحية وتقدير .. وبعد :

أستاذى العزيز ، في المقال المنشور في العدد رقم « ١٧٣٤ » وتاريخ ٢٦ جمادي الأولى لعام ٩٠ وتحت عنوان « كلمة ونص » كتبت تقول إن جو الهدا قد اعجبك .. الغيوم ، الهواء العليل ، الرذاذ .. كل ذلك يعجب كل انسان ولا شك ولكن ؟

هناك أشياء تدعو الانسان الى ترك المصيف الجميل ، ليس الأهل والولد ، إنما الروائح الكريهة أعزكم الله ..

١ ـ الحمامات التابعة للخيام .

٢ ـ القصابون الذين يقذفون بالأوساخ بعد تنظيف الذبائح .

٣ ـ فضلات الأكل المتبقية من المصطافين .

٤ ـ الأوراق المتناثرة سوف تجعل من الهدا بعد عدة أعوام كدوة أعزكم الله .

٥ ـ التسعيرة بزيادتها غير المعقولة ..

٦ ـ مراقبة المأكولات ..

أستاذى العزيز ، سعادة .... من المسؤول ؟ سعادة أمين العاصمة أم سعادة رئيس بلدية الطائف ؟. إن في اعتقادي أن منطقة الهدا سوف تصبح مصيافا للجراثيم لا قدر الله .. إن أملي كبير أن يلقى خطابي عناية منك ، وفقك الله لخدمة البلد الطيب وشكرا ..

المخلص : توفيق عريف

إن هذا القارئ يسأل شارحا ما أساء ليرضى بما يسر .. أشكره شكرا على وعيه ..

● أخى محمد على البكرى :

لا أريد أن يتبدل هذا الاسم لك لأنه العلم الذى قتلت عليه ، ولأنها منحة القدر لك .. تجمع فى اسمك هذه الأسماء الحبيبة التى تحول بها تاريخ قومك .. قومك الذين كانوا يقتلون غيلة ، فبمحمدك النبى الرسول .. تحولت الغيلة الى شهادة .. كان القتل فى قومك من أجل شئ لا تكون به الحياة ، ولكن محمدك النبى صنع من القتل .. هذا التاريخ الطويل العريض .. لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرم الغيلة ، وجعل القتل فى سبيل الله .. فى الدفاع عن الدين .. عن الأرض التى تحوط الدين .. عن الأهل ، والعرض ، والأرض .. جعله اسمى ما يبذله انسان (تقتلون وتقتلون) (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) يشرى نفسه من القتل الحرام .. الغيلة والاغتيال .. بالقتال الحلال كل الحلال : الجهاد .

أنت حولت التاريخ لأنك ذهبت تجاهد عن أرض قدس ، ودين أقدس ، وأمة صنعت التاريخ .. ذهبت لتقاتل حتى نحيا نحن الذين وراءك . إن التحويل فى التاريخ لا يستكثر

أن يصنعه شاب متواضع رقيق مثلك ، فأنت بهذه الرقة حملت القلب العظيم ، أنت ما قتلك يهودى برصاصة .. أنت قتيل الأمم التى تداعت عليك .. أنت قتيل الصهيونية ، والاستعمار ، وبلفور ، وترومان ومن اليه ، والذين فرطوا من قومك العرب فيما مضى .. الذين لم يصنعوا الفداء أول الأمر .. لم يبرزوا الكيان الفلسطينى فى اللحظة الأولى .. كان ممكنا أن يبرز فى أول يوم من أيام الانتداب لأن الانتداب كان تنفيذا لوعد بلفور ، لكن الكثرة حينذاك كانت كغثاء السيل .

أنت برهان على أن الشعوب العربية أصبحت كلها تقاتل ، وأنت نبراس جعلت النور بالدم يتدفق فى وجدان الذين قبلوا صورتك .. لم يقبلوا الورق . وإنما قبلوا معانيك !!

أيها المحمدى : لا بد أنه كان فى نوازعك أن محمدك النبى حينما شرع الجهاد لم يحجب ابن عمه عبيدة بن الحارث عن الشهادة فى بدر ، ولم يمنع عمه حمزة عن الشهادة فى أحد ، ولم يخلف حبيبه وابن عمه جعفرا ، وحبيبه زيدا ، وصاحبه ابن رواحة عن الشهادة فى مؤتة .. ما قدم الابعدين .. بل خاض الشهادة الأقربون والأبعدون ، وكلهم كان الأقرب اليه لأنهم المؤمنون . ليتهم دفنوك فى مؤتة .. هناك بجوار جعفر وزيد وابن رواحة .. تلك دماء أهلك وقومك من هذا التراب .. ليتهم دفنوك فى اليرموك بجانب عكرمة وسهيل بن عمرو أولئك كانوا آباءك من هذا التراب .. ما صنعت بدعا فقد سبقك اليه أبطال فاتحون ، وإنما صنعت البديع فى زمن قل فيه صناعه .

أترحم عليك .. دعوة مسلمة ، وإلا فالله قد وعد لك بالرحمة ، تعيش روحك فى حوصلة طير أخضر مع هؤلاء الشهداء ، إن لم يدفنوك معهم فأنت اليوم تحيا معهم !!

لا أحب أن يبدلوا اسمك ، جمع الأسماء الحبيبة . محمدا . عليا . أبا بكر .

● حكاية وقعت أخبارها وحوادثها في ليلة أمس ، أقصها للعلم بها وليمكن إصلاح النقص في الناحية التى ترى أنها تحتاج الى تحسين علاقتها بعملها وبالمحتاجين اليها ..

ففى الساعة الخامسة وعشر دقائق قبل الفجر .. يعنى الساعة الحادية عشرة والنصف تقريبا كنت في دثاري أقرأ . فنزل ولداي ..

قالا : إن رجلا يلبس « بنطلونا » دق الباب ، وقال : « كلموا بوليس النجدة . لأن فى بيت جارنا عبد العزيز بن محمد البليهد تماسّا كهربائيا ، وعمود الكهرباء الذي أمام بيتهم يقدح بالشرر . ويفرقع مطرقعا بصوت الاحتراق أو التماسّ الكهربي .. » .

وأخذت التلفون .. ضربت رقم ٩ فرقم ستة . عن غلط ثم ذكرنى طفلي أن الرقم هو ٩٩ .. وأجاب الضابط المناوب حينما ذكرت اسمي كطالب ..

أجاب بكل احترام ويقظة وفطنة !!

ـ قلت له : « الجيران طلبوا مني الاتصال بكم لكيت وكيت » فأجاب : « حاضر .. سأكلم شركة الكهرباء . وكلم الاطفاء . فرقمه ـ ٩٢ ـ وسأرد لك الخبر عن مكالمة الشركة !! » .

وكلمت الاطفاء . فأجابنى يسأل : « ما اسمك ؟! قلت : « ذكرته لك » قال : « ايش اسمك ؟ » ذكرت اسمى . فقال : « فين المكان ؟ » وصفته له . فقال « فين .. فين ؟ وراء فرن بدر ؟ أين فرن بدر ؟ » قلت : « في شارع المطار بين الكندرة والمطار » .. قال : « ايش اسمك ؟ كم رقم التلفون ؟! » .

ـ قلت له : « من أنت ؟ أين الضابط المناوب ؟ » قال : « هو فيه ما اسمك ؟ كم رقم تلفونك ؟ أين المكان ؟ » .

وتركت الكلام معه لأني عرفت أنه مأمور السنترال وأحسبه لا يعرف الكتابة فلو كتب الاسم والرقم لما تكرر السؤال منه !!

وكلمنى الضابط المناوب في بوليس النجدة : « يا أستاذ الشركة قطعت التيار عن العمود . المهندس في طريقه اليكم » .. كلمت المطافئ فألقى مأمور السنترال السماعة . وقطع المكالمة !!

ـ قلت له : « لابد وان لديك تقريرا عن وقائع الليلة . ويمكن شرح ذلك كله الى من ترفه اليه التقرير .. » .

ـ قال : « انت كلم رئيس المطافئ في النهار !! » .

وخرجت فوجدت جماعة من الجيران . وبينهم مهندس الكهرباء وكان خارجا من بيت

الأخ عبد العزيز البليهد .. ومن بين الواقفين الأخ عبد الوهاب الزاهد ..

ـ قال : « أنا لاحظت التماس والشرر .. تكلمت في تلفوني فوجدته عاطلا . وذهبت اتكلم من تلفون السيد هاشم الزواوى . فوجدته معطلا . فطرقت بابك لتكلم البوليس والمطافئ .. شكرا يا أخ » .

ـ قلت له : « انت المشكور » .

● قرأت اليوم « أمس » فى الندوة مقالا كبحث كتبه فضيلة الأستاذ هارون أحمد العطاس يشرح حوارا أقامه مع فضيلة الأستاذ / على الطنطاوى حول مقتل الحسين ابن فاطمة وابن على رضى الله عنهم أجمعين ، كأنما نحن قد فرغنا من كل مدعاة للخلاف .. نريد بدعوة التضامن الاسلامى القضاء عليه .

إن خلافا كهذا إذا ما أثرناه فاتنا تنصب مناحة من كربلاء .. وانتصارا فى الفيحاء وحزنا فى المدينة وحسرة فى مكة وبغضاء فى كل مكان .. من صنعاء الى « قم » الى الدار البيضاء .. ما أحرانا أن نطفئ كل ما يثير ضغنا .

والكلمة فى هذه أوجهها لصديقى الأستاذ على الطنطاوى .. لا ردا عليه ولا نقاشا مع رأي .. وإنما تنبيها له على طريقة هى أخذ الأكابر عن الأصاغر .. فالتدبيج بينهما من مفاخرهما .. أريد شيئا آخر هو ما ينبغى أن يثار بين عامة الناس من هذه المواضيع التى تطرق لبعضها .. خصوصا فى بلدنا هذا .. القائم أمره على مذهب سوىّ .. حب لا بغضاء فيه .. وعقيدة لا مراء حولها .

هذه المواضيع جدير بها أن تعقد لها ندوات خاصة بين طلبة العلم لدعم الحق ودحض الباطل .. إن نشر هذه وأمثالها على صفحة قرطاس .. فى جريدة يومية .. أو الحوار فى التلفاز عن موضوع مضى وانتهى فهذا شئ أرجو لأستاذى ألاّ يفعله .

حدثنى من أثق برأيه وخبره ومن أفرح بتوجيهه .. قال : « لا أدرى لماذا سمح الأستاذ على الطنطاوى وهو من هو رفيعا فى قدره أن يناقش فى التلفاز سؤالا وجه اليه عن خلق القرآن ؟!»

ـ قلت : ما سمعته .. ما رأيته .. ولكنى كم كنت أتمنى أن يكون فى التلفاز.. قبل المجيب « كونترول » رقابة على الأسئلة لا تعطى للمجيب الا بعد تنقية لها .. ونقد ، ثم يعرض المنقى على المسؤول لينتقى ما تحسن الاجابة عليه وليترك ما تكره الاجابة عليه ، وليترك ما تكره الاجابة عنه للكراهية للسؤال نفسه .. أحسب أن صديقى الأستاذ على الطنطاوى واثق من قدرته على الاجابة عن كل سؤال ، فلم يحرص على أن يتفقد الأسئلة ليحذف الشائك إن لم يكن عسيرا عليه .

القدرة على الإجابة ليس مجالها التلفاز.. يراه .. يسمعه كل الناس .. إن القدرة على النفس هى أقوى من القدرة بالنفس ، القادر على نفسه يمتنع عن إظهار القدرة بالنفس فلا يجيب على سؤال كهذا .. فما أحرانا وقد مات هذا السؤال بعزمة أحمد بن حنبل رحمه الله وشيع الى قبره بالومضة من صاحب الحيدة .. وأهال عليه التراب ايمان « الواثق » بالتوبة النصوح ، يرحمهم الله .

وهذه مسألة اليوم .. أعنى قتل الحسين .. لماذا تثار على جريدة تؤجج نار فتنة .. تفتح جراحا .. تثير بغضاء أحسب أننا فى غنى عن ذلك لأننا فى فقر الى وحدة صبر وعمل .. الى اتحاد فى رفض الخلاف لتكون العزمة واحدة فى الدفاع عن كل كلمة واحدة .. هى كلمة التوحيد « لا اله الا الله محمد رسول الله » نحن فى فقر لنتفق .. لتخليص أرض واحدة .. هى سياج الحرم .. فيها أبوابه .. من « العقبة » الى « جولان » من « الحمة » الى « قناة الغور » الى قناة السويس ، قبل أكثر من ثلاثين عاما جاءنى أخونا المسلم محمد أسد وكنا فى المدينة المنورة .. وكان أيامها يسمى أسد الله .. فقال : « ألا ترى كيف أن الشيخ رشيد رضا ومحمد كامل قصاب وأمين الحسينى يصلون وراء كاشف الغطاء محمد حسين « ؟! » كيف رضى هؤلاء السلفيون أن يصلوا وراء شيعى ؟.. » .

ـ قلت له : لقد صلى البارونى وأطيفش يومها وهما من تعرف مثلما صلى هؤلاء .. فلقد كانوا فى مؤتمر إسلامى .. ولقد صلى هؤلاء وهؤلاء مثلما صلى ابن أم عبد ، عبد الله ابن

مسعود رضى الله عنه وراء الوليد بن عقبة وهو على حاله الذى تعرف .. وكما صلى أنس ابن مالك ، خويدم رسول الله وصاحبه وراء الحجاج وهو من تعرف .

إن صلاة هؤلاء لا يمنعها خلاف على حب الرجال وبغض الرجال .. وإنما دعاهم لها الحب الأعمق فى الدفاع عن « لا اله الا الله محمد رسول الله » تناسوا خلافاتهم ليتفقوا على كلمة التوحيد .. لتوحيد الكلمة ، وكأنما استيقظ محمد أسد ليكون معى لا علىَّ ، وزدت أقول له : « الا نحمد الله حينا نرى الشامى يصلى وراء العراقى .. والعمانى يصلى كذلك ؟!.» وقبل أكثر من عشرة أعوام وفى حوار مع السيد رضا الشبيبى ، عالم العراق وهو من تعرف .. قلت له : « أليس الضيعة أن تقفوا طوال هذه السنين حبا فى رجل وشتما فى رجال .. ونقف نحن طوال هذه السنين ندافع عن رجال ولا نبخس الإمام حقه (؟!) » .

ـ إنها لضيعة .. خسارتنا منها كبيرة .. وكسب لعدد كثير ..

ـ قال يرحمه الله : « لعلنا نجد الفرصة للتقارب وتنظيف الفكر من هذه الشوائب » .

وشكرت السيد الشبيبى .. أذكره بهذا البيت من شعره :

فتنة الناس ـ وقينا الفتنا ـ باطل الحمد ومكذوب الثنا

دعوا أقوال المؤرخين .. واستجيبوا الى مواقف أئمة المحدثين .. فعند سعيد بن المسيب والثورى ومالك ، وابن حنبل ما يكفى .

لقد حدثنى أستاذى وصديقى الشيخ صالح بن عثيمين .. ساكن الحرم عن حوار جرى بين إمام السنة .. قاهر البدعة وقامع الفتنة أحمد بن حنبل وبين ابنه صالح .

ـ سأل صالح أباه : « هل تلعن يزيد يا ابتاه ؟.. » .

ـ فقال : « هل رأيت أباك يلعن أحدا ؟ » .

ـ قال صالح : « وهل تحب يزيد يا ابتاه ؟ » .

ـ قال : « وهل تر أن مؤمنا بالله ورسوله واليوم الآخر يحب يزيد .. » .

هذا أدب الأئمة .. فدعونا عن غيرهم .

أنتا الطنطاوى والعطاس ابن أخت وخال فاجتمعا وصفيا المسألة فى حوار العلماء .. فى

مجلس خاص . فالطنطاوى أمه حسنية فهو سبط السيد عبد القادر الجيلانى إمام الحنابلة فى وقته .. والسيد العطاس علوى حسينى .. فأعجب لخال وابن أخت أن يختصما فى جدهما الحسين بن على رضى الله عنهما !!

● أيها القارئ : أنت صديقى وإن خاصمتنى ، وإن كنت ضدى فانك لى ما دمت تقرأني .. على العكس من الكاتب ـ أى كاتب ـ هو مناقضى ولو كان صديقى (!) .. لأن القراءة استيعاب .. تقبل ، ولو بأسلوب الرفض .. أما الكتابة فتنافس .. فكر .. وتحد ، ولو كنا كتابا نتصادق .. نكتب فى جريدة واحدة !

الصداقة مع القارئ هو الوضع المرتضى المرغوب فيه ، والتنافس مع الكاتب هو الوضع المرتضى ، والمحذور منه !

القارئ إذا ما غضب فكتب اليك عن غضبه فانما هو الرضى .. يريد الاستزادة بما يرضيه .. وخير لك أن تسعفه .. تطوع فكره بالاكثار مما يغضبه لأن الغضب لا يليق بالقارئ فهو أكبر منه .. فالغضب يفوت الكثير !!

بعض الغاضبين من أسباب الغضب فيهم هذه العجلة فى القراءة والاستعجال فى الإثارة !

الغاضب قرأ وهو واقف .. فجلس ليكتب .. ولو قرأ وهو جالس لوقف احتراما لما فهم !!

الريحانى أعطانا الفكرة عن القارئ حينما جعله القارئين الاثنين .. قارئ يقرأ له وهو واقف فيضيق .. لأنه ضيق الظرف على نفسه ، وجعل القراءة فى مكان لا يسع إلا رجليه .. بينما ما يحمله فى يده يحتاج إلى مكان يسع رأسه (!) .. وعينيه ، وأذنيه ، وقلبه !.. ليجرب قارئ أن يقرأ بصوت مرتفع فانه يفهم بالجرس فى أذنه أكثر من الفهم بأنفه .. فالقارئ واقف .. قارئ « على الريحة ! » يشم ، ولا يرى ، ولا يسمع !

وقارئ ثان لا حاجة للتفصيل عنه لأن ما وصفنا به القارئ الأول يعطينا الصورة عن القارئ الثانى ، وهو الذى يقرأ جالسا .. يقرأ بكل الحواس !!

وأزيد على الريحانى ـ ثالثا ـ واسميه : قارئا بالمجاملة .. أعنى تسميتى له ، وإلا فهو

ليس بقارئ .. هو ذلك المضحل .. المقحل .. « الفقران » .. قد ابتلانا الله به من حيث وضعه المادى .. فى الزمان ، أو المكان أو المكانة !.. يمسك بما يقرأ ، فلا يكاد يقرأ حرفا حتى ينحرف مزاجه من التفوق عليه .. ولفقدان التفوق عنده .. فيرمى بما يقرأ ، ويسند رأسه على الأريكة ، ويأخذ ، نفسا من « الجراك » ! ويلتفت إلى تابعيه فيقول :

ـ دا ايه .. ؟! .. شيل .. شيل !!

هذا الثالث ليس عدوا للكاتب ، ولكنه عدو نفسه .. كتب عليها الحرمان ، فازداد فقره ، وإن كثر غناه !!

والكاتب الخصيم الصديق .. إن خاصم بالسلب لا يأتى بالنقيض جهرة ، فانه يحرمنا من أفضاله وفضائله .. وبهذا تصبح الخصومة فاشلة ، والصداقة مشلولة .. أما ذلك الذى يناقضك .. فان الخصومة تنقلب إلى تنافس شريف يقوى بها عقل الصداقة ، وانسان الصديق !

من الخيانة للفكر إلاّ تجهر به .. ومن الأمانة للصداقة أن تجاهر صديقك بما تنافسه فيه !..

عيبنا أننا كثيرا ما نخضع للمجاملة كما نخضع للخوف ، وكثيرا ما تكون المجاملة خوفا من الخوف ، وفى هذا ضياع للفكر .. كأنما الكاتب يحجر على نفسه بما لا حجر عليها فيها !

لا تجزع من قارئ غضب منك ، فالمجاهرة منه فضيلة تكشف عن جوانب الصداقة لك ، واغضب من الكاتب الذى يتوارى لك بك عنك !!

لا تجزع من الغضب فقد استهدفت لأن يقال لك : إنها ضريبة التفوق تدفعها لزاما .. فالغاضب منك أخذ الضريبة لكنه دفع القيمة !!

● أستاذى الزيدان !!

أنت فى الطائف .. تتلطف بجو الصيف .. تطرد ركام الإرهاق .. هروبا من « قرصنة » الحر .. و« لفلفة » المياه المثلجة على ظمأ مرفوض .. وشبع جائع .. ونحن « هنا » نتوق إلى تطلعات أفكارك .. إلى نضج تجاربك الواعية .. تفرغها فى الأذهان الشابة فاذا هى حية

تسعى فى الوجدانات الصاحية .

إننى خجول من احساسى الظافر بعناد صمتك .. وأنا أقحم قلمى المتواضع .. يسد ثغرة لا يملأها إلا فيض أسلوبك الواثق من رصانته .. وقوة محجته .. لكن ما رأي أستاذى فى أن جميع حواسى انقلبت إلى « أفواه » تحتج وتلح بالمطالبة : أن عد إلى منبرك « كلمة ونص » بدلا من فرارك الصغير (!) .

أستاذى !!

ما هكذا يفعل البشر .. الذين يشيخون حين يشمئزون من أنفسهم ومن حياتهم .. يفكرون فى الانفلات من روتين الالتزام كجزء من نظرة الاعتناء بأنفسهم ؟! إن التزامك الفكرى .. بما فيه من عملية الخلق والإبداع .. قد عزز انتصار الرغبة .. فى استمرارية الكتابة عند تلامذتك .. وأنا منهم ـ ولا فخر ! ـ لكن مسألة « التوقف » غير العادى قد يعكس انطباعا مغايرا لهذا المفهوم .. يكسبه عنصر التراضى .

أستاذى !

فى الوقت الذى تعودت فيه أن تسمع ما كتبته أنت .. فى صدر ليل عبر أسلاك التلفون .. بدأت أنا فى صياغة هذه الرسالة احوجتنا اليه تركتك الثقيلة علينا إذا نحن تحملنا تبعاتها .. الخفيفة علينا إن نحن تلقيناها من وحى مشاعرك (!) .

ومعذرة إن جاءت غير متناسقة العبارة ذلك لأن العبارة نفسها حيية لا تود الاقتحام أو الطول .. الأمر الذى جعلها أشبه بفتاة لبست « الخمار » لأول مرة وكلما حاولت الاعتدال فى مشيتها .. أربكتها كثرة التسوية فى « الخمار » النافر !

وعلى كل فهى وليدة « الزحمة » .. والغريب فى « المزحوم » ـ كما تعلم ـ أنه لا يستطيع أن يفلسف الأشياء على حقيقتها .. ولكنه يتصرف بذهن عاثر .. حسبما اتفق .. وهذا الفراغ هو رأس الزحمة فى رأسى ..

ومع ذلك نحن فى انتظار ما يدفع عنعنات هذه الزحمة .. ولتكن أنت أستاذى !

على مدهش

● كلمتى اليوم مستعارة .. لم أجد أحسن منها .

كاتبها لامنا على القصور والتقصير حينما لم نواكب ما كتب عن صندوق الطالبات تجمع فيه التبرعات والاشتراكات فى كل مدرسة للطالبات تعين من يستأهل العون .. تأخذ بيد العاجز ، وتكسو العارى ، وحتى لتشترى الدواء الى مريضه !

صندوق سيكون صغيرا أول الأمر لكنه سيكون كبير الأثر ، والتأثير فى التوعية لقيمة التعاون .. لمعنى الاحسان ، وقد يكون منه مشروع لتكبير المدرسة ، أولأى شئ آخر ..

لقد استعجبت الملامة فعلى أقل تقدير أشعر بأنى قد وجدت قارئا أحس بألم الآخرين ، أو بنخوة الآخرين ، فأنكر علينا ألاّ نتألم مثل ألمهم ، أو لا تكون لدينا النخوة مثل نخوتهم .. أتقبل ملامته ، ولا أريد أن أرشده الى أنى كتبت عن هذا الموضوع فى يوميات أواكب بها الداعية لذلك الذى أحب أن يجرب نخوتنا ..

هو الكاتب الذى أثار الموضوع صاحب « الظلال » .. أستعير هذه الرسالة مستأذنا الصديق عبد الله جفرى فى أخذها منه لأنشرها كدعوة لهذا المشروع ، وكشكران لكاتبها الذى لم يرسل كلمة فقط وإنما قرر تبرعا منه شهريا ، فهو بذلك خير منا نحن الكاتبين .. هو كتب الكلمة ، ويدفع المال .. أما نحن فليت يسعدنا النطق على رأي المتنبى :.. وكما تحملنا الملامة لأنه ظن أنا لم نكتب ، فليتحمل مجتمعنا ملامته لأنه لم يتحرك !.. وهذا نص الرسالة :

أخى العزيز عبد الله جفرى المحترم

تحية صادقة :

من اسبوع وأنا أتابع بلهف وقلق ردود الفعل المختلفة لمشروع إنشاء صندوق الطالبات ، من خلال متابعتى ليوميات أمس الخميس أدركت العقم الانسانى الذى يعيشه مجتمعنا .. مجتمع القادرين والموسرين حتى الأقلام المؤثرة فى يوميات عكاظ « الزيدان ، المناع » ، أصابها العجز عن ملاحقة فكرة المشروع وتناوله بأى شكل إيجابى ، فالاستجابة للجديد لا تأتى بسهولة !

من أعماقى أهنئكم وأهنئ أصحاب القلوب الطيبة الذين صفقوا للفكرة والمستجيبين

لها . وأرجو أن تثبت الأيام القادمة أن الخير ما زال يورق بين أضلعنا . يعشش فى قلوبنا .. وأنا على استعداد للتبرع بمبلغ « ٢٥ » ريالا شهريا لعام كامل لأول مدرسة تبدأ فى إنشاء صندوق .. وسؤال بسيط : ماذا يضير مدرسات كل مدرسة لو تبرعن بمبلغ خمسة ريالات شهريا بالاضافة الى تبرع بعض الطالبات ؟. إن مثل هذا الشعور من المدرسات يوجد الصدى الايجابى التنفيذى لهذه الدعوة والسلام ..

المخلص .. سليمان سالم با جعيار

● رسالة جاءت إلى صديق كاتب .. دفعها إليّ فقرأتها .. وقلت : هذا أب قد كرب من ابن أو أبناء . فأخذ ينشد الشعر . ويناشد الأصدقاء أن يكونوا معه . وسمع الصديق ما قلته له تعليقا على الأسطر المغفلة من التوقيع والمشفوع بها هذه الأبيات من الشعر .

ـ فقال : أنا فى ظرف كما تعرف لا أمارس فيه هذه الشكوى . وفى حال أكره من أب أن يشكو ولده ! أفلا تقبل مسؤوليتى أمام كاتبها فتكتب أنت . ولو ليشعر بأن مشاعرنا معه ؟

ـ قلت : سأكتب وأنشر القطعة (الشعر) على شرط واحد : هو الا يعتبر نشرى لها تأكيدا لموقفى كله . فقد يكون عليه بعض الأسباب التى حملت الابن ومن اليه على الخطأ معه .

فالسماع من لسان واحد بأذنين اثنين فيه إجحاف بالآذان . فعندى كأى انسان أذنان فلا بد أن أسمع من لسانين . ليمسك الأب بذراع ولده ويطلبنا نتكلم كما يتكلمان ونسمع ما يقولان ثم نصلح ذات البين . أو نحكم لواحد من الاثنين . على واحد من الاثنين .

وسلم الرسالة ومشفوعها لأتولى نشرها دون أن أعلم اسم صاحبها . لعله يسر أو لعله يراجع نفسه . أو أن ولده يقر فيراجع موقفه . ليعدل ويعتذر .

واليكم القطعة الشعرية . فالمشكل قديما مع قلة المعوقات والعقابيل هو المشكل نفسه مع كثرة العقد والمتناقضات وتضخم الدريهمات أو قلة الشيكات أو ندرة الصلة القلبية بين واحد فى بيته وآخر يجاوره فى غرفة :

غذوتــك مولــودا وعلتــك يافعا تعــل بمــا أحنــوا عليه وتنهل
إذا ليلــة ضاقــت بك السقم لم أبــت لسقمــك إلا ساهــرا أتململ
كأنــى أنــا المطــروق دونــك بالذى طرقــت به فعينــاى تهمل
تخــاف الــردى نفسى عليك واننى لأعلــم أن الموت شئ مؤجل
فلما بلغــت الســن والغــاية التى اليهــا مدى ما كنــت فيك أأمل
جعلــت جزائــى غلظــة وفظاظة كأنــك أنــت المنعــم المتفضل
فليتــك إذ لم ترع حق أبوتى فعلــت كما الجــار المجــاور يفعل

ويرحم الله المتنبى .. تجده فى لسانك حينما عليك شئ فى وجدانك .. حتى الوجدان ينبح ؟!

نعم .. انه ينبح صراخا من فحيح الآخرين .. المستقدمين مما هو هين .. والمستأخرين عما هو غال وبين ..

المتنبى يقول :

وكم من عائــب قولا صحيحا وآفتــه من الفهــم السقيم

ويقول :

إن من القــريظ هذاء ليس شيئــا وبعضــه أحكام
منــه ما يجلــب البراعــة والفضل ومنــه ما يجلــب البرسام

أى ان البراعة والفضل يجلبان الحكمة فى المنطق والزين فى الكلمة والحصافة فى الفهم .. والنظافة فى السلوك .

أما البرسام سواء أكان انفصاما أم ازدواجا .. أم ورما فهو جالب الغث المغث .. والكدر المكبت والسلوك الأعرج .

تذكرت المتنبى وقوليه وشعره .. حينما أسمع القاعدين غير المقعدين يتنفجون على الماشين فى طريق لم يصل الى ما جمعته يتيمة الدهر .. ولم ينحدر الى كلمة عهر .. فالناصب نفسه قديسا وهو سروق .. هاديا وهو ضال . نغل ينبح بالغل على الذين نشأوا فى حجر أب صان .. وخائن أعز وبيئة لا تعطيه الفضلات فى قدح .. لا يخلع مئزره الا إذا شرى له مئزرا

آخر .

أيها السروق .. حاسب نفسك قبل أن تحسب على الناس عيوبهم .

واستغفر لذنبك قبل أن تعدد على الناس ذنوبهم .

أعرفك .. لو أمكنك ألا ترى قلما يكتب ولا عينا تقرأ .. ولا أستاذا يعلم ، كأنما الدنيا ستعمر بك لا بغيرك .

لقد أرجعتنى الى ما أكره .. وأنا على يقين من أنك لن ترجع الى ما نحب ، فأنت قد حرمت من نعمة المحبة .. تورمت فى أوداجك وتضخمت فيه .. أنت لا تجرؤ أن تقابح .. أو أن تصارح ولكنك وسواس خناس !

● لو قلت لكم : يا قرائى حاذروا من القراءة .. لكنت مناقضا لنفسى .. فكثيرا ما قلت لكم اقرأوا ، ولكنى اليوم ـ وقد تمرست بالقراءة سنين طويلة ـ قد فجعت فى نفسى .. بكلمة قرأتها فى الرواية « الشك لكولن ويلسون » قارئ مثلى يزعم أن الأساس لديه متين ، فلا يبالى أن يقرأ أى شئ .. تأتى كلمة تخلخل وجدانه .. تبعث الانشطار فى فكرة .. الندم على ما فات منه ؟!

كم هو الحرف خطير .. كم هى الكلمة مؤثرة ! فى هذه الرواية كلام كثير عن لسان اليهود الذين تفلسفوا لا ليرسخوا شيئا فى الحياة وإنما ليرسخوا شتات الفكر .. ملكوا قدرة الكلمة .. لا يرسلونها هكذا ، وإنما هم يعبرونها ليعبروا عليها بقانون العلم .. بقوانين الطبيعة .. لقد استخدموا البيان فى أروع صورة . واستخدموا العلم فى أقسى تصويره ليكون التأثير عاطفيا بالبيان .. عقليا بقانون العلم !

الكلمة هذه عن الأنانية .. حب الذات ، أنا ومن بعدى الطوفان .. « اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر !.. » .

تقول هذه الكلمة : فى الأنانية تفوق الانسان .. نجاحه ، لا يمكن للانسان أن ينجح دون أن يكون أنانيا !

من هذه الكلمة تخلخل وجدانى .. ندمت على أن لم أكن أنانيا .. لأعيش الراحة

« التحتانية » خير من هذا التعب الملذ باللذة « الفوقانية » الأنانى جماع .. كسيب .. واطئ .. يدهس من فى طريقه لا يبالى .. من هنا تتجمع لديه الحصيلة المريحة .. « التحتانية » والمؤثر على نفسه .. المشغول بالناس لديه المتعة « الفوقانية » ولكنه مرهق بالألم المادى .. « التحتانى » !

لقد انتزعتنى كلمة الثناء على الأنانية لأفكر ساعة فى الأمنية ليتنى كنت الأنانى وقد ملكت تحقيق أغراضى .. ليتنى لم أكن « الغيرى » حينما رفضت أغراضا تتحقق بالأنانية !

إنى أصبحت أخاف القراءة فخافوها معى !

لا .. لولم أقرأ لما عرفت ما أنا فيه من لذة « فوقانية » لأرفض الراحة « التحتانية » !!

● صاحب الفضيلة نائب الرئيس الأعلى لمدارس البنات .. متعه الله بتوفيقه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فمعرفتى لما لفضيلتكم من مكان كريم ، ومكانة فى نفوسنا صونا وعفة وكرامة ورعاية لمسؤولية أنتم جديرون بها . وأنتم القادرون على الحفاظ عليها ، تجعلنى أكتب هذا الخطاب مفتوحا واضحا ، نص كتاب وصلنى يهمكم أمره .

وإنى لأعلم أنكم تدركون عقابيل الروتين الصارف نفسه لاجراء المعاملات والمتصرف بكثرتها عن انجاز ما يهم الشاكيات انجازه .

روتين لا تقع تبعة ما يتأخر به على واحد ، وإنما هو على كثير من العاملين ، فأكثر ما يتساءل الرئيس عنه .. هو أقل شئ يقع فى مسؤوليته المباشرة ، لأنه من عمل الموظفين ، من عمل الروتين . لا من عمل الرؤساء ..

واليكم نص هذا الخطاب ، أنشره راجيا إيجابية الطلب إن كان حقا ، أو إيجابية السؤال إن كان باطلا ، وأحسب أن الكريمات . لا يطلبن إلا ما هو حق لهن .

أرجو إذا ما قرأتم النص ، أن تشمل الطالبات بعين راحمة ، فأنت أب وراع .

والدنا العزيز محمد حسين زيدان الموقر ،

تحية وتقديرا ،

وبعد فنحن طالبات المعهد الثانوى بجدة نتقدم اليكم برفع طلبنا أمامكم للقيام بمساعدتنا فى الموضوع مع الجهة المختصة واعلانه فى موضوعاتكم القيمة إما فى كلمة ونصف أو مع « الأيام » حسب رغبتكم الكريمة وهو أننا كنا مدرسات بمدارس جدة وعندما فتح المعهد المذكور تقدمنا للالتحاق به وقد قوبل طلبنا بالترحيب وكان دخولنا فى أول يوم من رمضان ٨٩ هـ ، فدخلناه طالبات بعد أن كنا مدرسات ، وحيث إن لنا راتب شعبان لم يصرف لنا ليوم تاريخ جوابنا هذا ، ومنا من له رجب وشعبان ، وقد كتبنا للرئاسة بجدة فأخبرتنا أن المعاملة بالرياض فانتظرنا مدة ليست بقصيرة وكلفنا ولاة أمورنا بمراجعتهم فكان جوابهم كالجواب السابق ، وحيث يوجد منا الفقير وميسور الحال بادرنا بالكتابة اليكم راجين منكم مساعدتنا فى الموضوع ، هذه لا تعد شكوى من الرئاسة أو عدم تقدير لها ، حاشا الله بل تذكرة لها شاكرين ومقدرين مساعدتكم ومساعيكم لنا أمام الله توفيقا بكم .

هذا ما لزم كما نرجوكم عدم المؤاخذة فى ذلك ، والموضوع تحت نظركم اختصروا فيه ما ترغبونه ودمتم .

طالبات المعهد الثانوى

● وجاءتنى هذه الرسالة من صاحب التوقيع .. وقد سبقت منه رسالة نسيت أين ذهبت ، لقد كنت حفيا بها ، غير أن ضياعها أضاع عليّ التعليق عليها .

ولقد طربت لهذه الرسالة التى أنشرها رغم ما فيها من حرارة .. حرارة أعزوها لصادق الرغبة منه فى أن يعرف الحق ، ويزيل الشبهة عن نفسه .

والأمر ليس كما ذكر ، فلا سر ولا نية سيئة مبيتة ضد سؤاله ، أو من خبث نحو مواضيع تاريخية هى عندى من الرفعة والاكبار والحرص فى المكان المصون .

أنشر الرسالة ، ليطلع عليها ، ثم ليكتب إليّ بيانا مفصلا بما يريد تصحيحه ، فإن عرفت الخطأ أوضحته بصواب ، وإن كان صوابا أرجعته عن خطأ ، فأنا أحفظ نفسى بشئ من الوضوح ، فلا أسعد عندى من لحظة أعرف فيها الخطأ . وإنى لأقوى مرة بواحد يرينى الخطأ .

إن الصواب تجرى وراءه ، فلا خير فينا إذا لم نرجع عن الخطأ .. اكتب إلى تفصيلا ، أجبك تفصيلا .

وهذا نص رسالتك :

حضرة الأستاذ محمد حسين زيدان الموقر ،

تحياتى إليك .. وكل عام وأنت بصحة وسعادة ، وبعد : يؤسفنى أنك لا تجيب على الرسائل التى فيها الحقيقة ، أو التى عن الحقيقة ؟

إنى لم أسأل ما سألت إلا لأصحح به المعلومات التاريخية التى قرأتها فى كتابك .. وفى أمهات الكتب التاريخية ، ولا أدرى هل التشويه فيما قرأته فى كتابك أم فى الكتب الأم ؟

أكاد أجزم لعدم ورود ردك .. أن هناك ـ سرا ـ ينطوى فى طياته ما قرأته من تشويهات .

فهلا تكرمت باجابتى على الرسالة السابقة لهذه ، سواء فى رسالة أم « كلمة ونص » .. ومهما كان الجواب فانى اتقبله ، وإنى شاكر لك سلفا ذلك ومقدر والسلام .

مكة ـ الجودرية ـ زقاق غراب

عبد الله ابراهيم رجب

● ابنتى الحزينة عزيزة أحمد سنبل !!

وتكلمت فى التليفون . تسألين عن أختك فى الصداقة .. والدرس عائشة .

حسبتك تسألينها عن شئ خاص فى الدراسة والامتحان والنتائج .. أو تزفين اليها خبرا مفرحا عن أختك سميرة .. كنجاحها فى دراستها العائلية ، فوجدتنى بكل الجهل لحالك وشأنك ، وبكل التسرع فى تلقف السؤال .. لا لأنه منك . ولكن لأنه من الغالية .. فوجدتنى بكل ذلك أجيب بأنها فى مكة .. صعدت اليها تؤدى نذرها .. طواف عمرة بالبيت العتيق واحياء لعلاقتها بتراب أرضها التى ولدت عليه ونشأت فيه .. وحمدا لله وشكره على ما أنعم عليها من نعمة الرضا بما هو لها بما هى فيه .

ووجدتك ترتجفين تخافتين بالاعراب عن حالك ، فليس هو السؤال منك .. وإنما هو الخبر عنك وارتجفت السماعة فى أذنى من ارتجاف الناطقة فى يدك . تقولين : قل لها : أبوها مات

.. من ؟!.. من ؟! أنا أبوها ولم أمت بعد .. قال خير .. فالموت حياة فيه النجاة من الحياة الدنيا الى حياة عليا . الى رحمة نرجوها من الله .. فى اليوم الآخر .

فلولا تكاليف العلا ومغارم ثقال .. ولولا بنيات كزغب القطا ، لاستراح الانسان الى خبر الموت .. فلا طعم لحياة لا حياة فيها .

وسمعت الصمت المتحشرج بالجهشة كأنما تسيل الدموع .. فى تلافيف سلك .. فى نبرة كلمة منك .. قلتها أنت : أبو عزيزة مات .. أبويا أنا .

وأجهشت تبكين .. فهل تجدين فيّ راحما كأبيك .. لتبكينى .. لعلك لا تدرين أننى لم أبك معك .. وإنما هو الشئ أشق من البكاء .. هو التفكير لا بحزنك اليوم ولا بحزن سميرة .. ولا بموت أبيك .. وإنما هو الحال الذى تسيرين عليه مع أختك لرعاية أخيك .. للعون .. كل منكم يصبح يد الآخر وقلبه وعواطفه ولسانه وماله .

وأمضّنى هذا الفكر .. القيت الكتاب الذى أقرأ فيه .. والملهاة وكل ما يشغل لانشغل بك .. شئ واحد طمئننى .. هو أن أباك يرحمه الله كان رجلا من الجيل القديم « دقة قديمة » له شيمة .. يعرف المسؤولية .. يتحمل أعباءها .. يعرف الشرف .. شرف شعرة الوجه ، فغرس الحب فيكم لأنه كان يحبكم جميعا ، يتحدث عنكم بفخر وفرحة .

هذا الحب غرسه أبوك .. فيه الانقاذ والوقاية .. لأنه يجعلك أنت وأختك وأخاك ومن اليكم تحرصون على ألا يكون بينكم خلاف على شئ .. « مغراف » أو « خصفه » أو « جلالة » أو عقار أو درهم أو دينار كلكم لبعض .. وكل البعض لكم .

أخوك سيكبر ويكبر بعطفك عليه وحنانك .. وبالسماحة معه المسامحة له .. فلقد مات أبوك وهو يحيا فى حبه لبنيه .. فما من إنسان أحب بنيه فصانهم وعلمهم إلا ورثهم الخير والثقة .. يرحم الله أباك .. فقد كان فى شبابه شرسا يبتعد عنه الناس حتى إذا شاب واكتهل اكتمل بالحياء بالصلاة .. للخير .

وأنا على يقين أن الله سيحفظكم جميعا .. وأسأله أن يحقق فيكم رحمة فى قوله تعالى « وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم .. فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

لكم العزاء .. ولسميرة تحية أشد على يدها لئلا ترضخها المحزنة فتعدل عن دراستها .. فقد كانت أمل أبيها .. تكلف فى سبيلها ما طاق وما لا يطيق ، يرحمه الله .

● وكم كان سرورى كبيرا ، وشكرى كريما لهذه الرسالة التى أجاب بها صاحب الفضيلة أستاذنا وشيخنا ناصر حمد الراشد الرئيس العام لتعليم البنات .. أنشرها بنصها وتاريخها مكبرا هذا الخلق نتعلم منه ، ويتعلم الآخرون احترام الكلمة الصادقة فى سبيل الصالح العام ..

لم يجزع ، ولم يغضب ، بل تكرم بهذه الاجابة تحفزنى أن أطيق الشكران ، وألا أعصى طاعة لأمثال هؤلاء الطالبات المعلمات المتعلمات .

ولم أكد أكتب هذه المقدمة حتى دفع الى مدير التحرير الأستاذ عبد الله الدارى هذه الرسالة من مدير تعليم البنات بجدة .. أنشرها بعد رسالة الرئيس العام ليعلم فضيلته اسماءهن من الأخ عابد عجيمى .. وليعلم تأكيدا بأن الصرف تأخر حتى انه لم يصرف إلا قبل كتابة كلمتى بأيام .. ملاحظا أنى لم أتأخر عن نشر الرسالة ليقال ان فوات الوقت كان من تأخير النشر ..

واليكم الرسالة الأولى ، وبعد الثانية شاكرا وداعيا للجميع بالتوفيق ..

حضرة الأستاذ الفاضل الأخ محمد حسين زيدان ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

اطلعنا على ما كتبتموه فى جريدة عكاظ عدد ١٦٥٧ فى ٢٥ ـ ٢ ـ ٩٠ هـ تحت عنوان « كلمة ونص » حول طلب طالبات المعهد الثانوى بجدة صرف ما تبقى من رواتبهن قبل التحاقهن بالمعهد .

نشكركم على اهتمامكم لخدمة الصالح العام . ونأمل موافاتنا بأسمائهن لنتمكن من معرفة من بقى لها استحقاق لتعميد الجهة المختصة بصرفه وبالتالى مناقشتها عن أسباب التأخير عندما يتأكد لنا هذا .. ولكم تحياتنا ..

الرئيس العام لتعليم البنات

ناصر بن حمد الراشد

● المكرم رئيس تحرير جريدة عكاظ المحترم

بعد التحية

اطلعنا على ما نشر بجريدتكم بالعدد رقم ١٦٥٧ الصادر بتاريخ ٢٥ ـ ٢ ـ ٩٠ هـ فى « كلمة ونص » فى رسالة موجهة للأستاذ محمد حسين زيدان من طالبات المعهد الثانوى بجدة اللاتى كن يعملن فى السابق مدرسات وقدمن استقالاتهن للالتحاق بالمعهد الثانوى وشكواهن من تأخر صرف استحقاقهن عن شهر شعبان ٨٩ هـ وقبل نهاية الشهر المشار اليه بأربعة أيام قدمن استقالاتهن ورفعت لسماحة الرئيس العام لتعليم البنات لاصدار قرار طى قيدهن ، وطبيعيا ترتب على ذلك تنزيل استحقاقاتهن لعدم استحقاق غالبيتهن لشهر شعبان كاملا .

وبعد صدور قرار طى قيدهن اتخذت الاجراءات لتحقيق أيام الغياب التى تغيبتها كل واحدة منهن دون عذر من تاريخ بداية العام الدراسى الحالى الى تاريخ طى قيد كل منهن تمهيدا لاصدار قرار بحسم مدة الغياب .. وبعد تحقيق ذلك أصدر قرار الحسم وبلغت الجهات المختصة به ، وجرى اعداد استحقاق كل منهن ضمن أقساط شهر محرم ٩٠ هـ واستلمت كل واحدة ما تستحقه كاملا قبل اسبوع من تاريخ صدور هذه الجريدة ، ولذا جرى تبيان ذلك آملين التكرم بنشره فى نفس المكان الذى نشرت فيه الشكوى ، ولقد كان بودنا لو تكرمتم أو تكرم أستاذنا الكبير محمد حسين زيدان فأحيلت الينا الرسالة قبل نشرها لأفدناكم بما يهمهن عن الموضوع . والله من وراء القصد وبه التوفيق ..

المخلص

مدير تعليم البنات بمنطقة جدة

عابد عجيمى

حكايات وأساطير

● حكاية اذا ما قرأتها عرفت المراد منها ، نسردها بتعليق !

ـ قالوا : إن حلبة المصارعة بين فارس وبين ثور ، هى نفسها حلبة المصارعة بين إنسان وإنسان .. بين دول قوية وشعوب ضعيفة ، لا يشغل النظارة أنفسهم إلا بالتصفيق للبطل المنتصر ، سواء كان مصارعا اسقط ثورا ، أو إنسانا طرح إنسانا ارضا واوجعه ضربا ، أو دولة قوية تقتل شعبا ، وتحرقه بقنابل النابالم ، أو حتى بقنابل تحمل الميكروبات .

فالهتاف هو الهتاف ، والنظارة تحجب عيونهم وتطمس أفئدتهم بهارج الزينة وأكاليل الغار على هامة المنتصر .

كأنما التصفيق من أفراد أعدوا لذلك ، هو جالب التصفيق من الجميع .

لأن النظارة رعاع كجماعة ، تخفى ميزة الفرد اذا ما استقل بنفسه وسط هذا الطغام من الناس . فالواحد الممتاز فى جماعة غوغائية ، هو واحد منهم . بطغيان التلقائية والمشاكلة ، وايحاء التداعى فكريا مع افكار الهاتفين ..

وضربوا لذلك مثلا فى هذه الحكاية ..

قالوا : تجمع النظارة في حلبة المصارعة ليشاهدوا بطلهم المزخرف وهو يقود ثورا ، يتحرش به ليصرعه ، ونزل الفارس ووقف يهارش الثور بخلق أحمر ، ولم يفطن واحد من الآلاف المؤلفة الى عرج في رجل الثور .

كلهم هاتف للفارس .

غير أن شاهدا جلس لتوه فشاهد عرجة الثور ، فصرخ : إن المصارعة غير متكافئة ، اوقفوها .. الثور أعرج ..

لم يسمعه أحد ، كلهم غارق فى الهتاف .

وصرخ . وصرخ . لم يسمعه أحد .

لكن صراخه لفت رجلا ثاب الى رشده فناداه يسأله : لماذا تصرخ ؟..

ـ قال : المعركة غير متكافئة ، فالثور أعرج .

وكان السائل رجلا يملك المنع للمصارعة ، وايقافها ، فأوقف الفارس ، وانقذ الثور .

ثم التفت الى هذا الصارخ يسأله : كيف رأيت وحدك أن الثور أعرج ؟.

ـ قال : جئت قبل أن أغرق فى زحمة المشاهدين . فرأيت العرجة فى الثور .

ـ قال الوزير الأسبانى : إن غيرك لم ينتبه وهم آلاف ..

ـ قال : كانوا منساقين بفكر أعرج ، وعين عوراء ، لم يفكروا إلا فى القوة والقوى ، لم يروا إلا المصارع وحده ..

فتنة القوة .. عرج النظرة الأولى دون تمعن ، دون التفات الى ما وراءها .

وهكذا كل النظارة اليوم يعرجون بعواطفهم ، يفكر الفرد منهم بالرفض لطغيان القوة وحده ، ويهتف لها مع الجميع !!

● قرأت في عكاظ اليوم الخبر عن قيمة إنسان بسعر ثمانية عشر شلنا ، دولارا ، ريالا ، فرنكا ، درهما .. العدد ثمانية عشر واسم العملة يسمى به الرقم تبعا للبلد الذي سعّر قيمة هذا الإنسان ..

وقد يكون الخبر غريبا اليوم .. ونشر لغرابته وندرته في هذا الزمان .. ولكنه فى التاريخ له نظائر وأشباه .. تروى كالأساطير يكاد القارئون لا يصدقونها ..

وكم هم العظماء الذين جرى عليهم الرق بالثمن البخس دراهم معدودات .. لكن الحقائق تدمغ الاسطورة ..

فهذا رسول الله ونبيه يوسف الصديق .. وبعده بلال بن ابى رباح ، وبعدهما الملك المظفر قطز .. كلهم بيع فى سوق الرقيق ..

فالحقيقة أن يوسف الصديق عليه السلام قد بيع بثمن بخس .. دراهم معدودات !.

● **الزواج قسمة ونصيب !**

كلنا نقول هذا الكلام ، ورغم كل المحاولات في دقة الاختيار ، وحتى استساغة الرؤيا ، فلا زال الأمر فيه قسمة ، وحظ ..

أذكر لتوفيق الحكيم اسطورة قدم بها لقصة قصيرة .. يقول : إن الزواج كالقدر وغطاه .. يعنى لازم « وافق شن طبقه » !.. فليس كل غطاء يصلح لقدر غير قدره ، ثم قال : كان هناك شاب أراد الزواج ، وتعب في أن يجد الزوجة ، ثم وجد من نصحه .. يقول له : سافر تجد في طريقك زوجتك ، وشد الرحال من بلد الى بلد ، وكاد يغرق في سفينة .. غرق ركابها ، ولم ينج منها إلا هو ، وبضعة أشخاص .. وجدوا غابة شاسعة على ساحل البحر فلجأوا اليها .. لا طعام معهم .. كان الوقت خريفا .. الأشجار تساقطت أوراقها .. جاعوا فاجتمعوا في مؤتمر واقترح أحدهم أن ينذروا لله طاعة يؤدونها اذا رزقهم بطعام ، وأخذوا يفتشون عن اللحم لعلهم يجدون أرنبا ، أو غزالا ، أو حتى حمارا !.. ولكنهم وجدوا فرخ فيل ـ أى فيلا صغيرا ـ حملوه فذبحوه .. اكلوا منه إلا صاحبنا لأن نذره نطق به وهو لا يدري .. نذر على نفسه ألا يأكل لحم الفيل .. أكل رفاقه وبقى جائعا وفاء لنذره ، وفي الليل ناموا ، وجاءت أم الفيل تفتش عن ولدها تقص الأثر بانفها حتى وصلت الى هؤلاء تشمهم فاذا ما وجدت رائحة ابنها رفعت الواحد تخبط به الأرض .. قتلت الجماعة كلها إلا هذا الشاب .. لم تشم رائحة الفيل لديه .. وحملته على ظهرها ، وسارت به ، واستسلم لمكتوبه ودخلت به الى مدينة فيها قصر كبير ، وأمام القصر وجد عروسه .. قالت له : أين أنت ؟.. إننى اقف انتظر راكب الفيل .. أنت زوجى !!

هذه الأسطورة ليست كاذبة ، فكلنا معاشر الأزواج ركبنا الفيل الذي أوصلنا الى القسمة والنصيب .

● وأريد أن أغيظ الالحاد والملاحدة ، والشاكين وشكهم فأكتب على فعل الايمان فى بعض النفوس تعود اليهم فتصبح حَيرة رغم أنفتها .. رجل بلغ من العلم والعقل مبلغا صور فى نفسه من جهالة الوجدان أو من وفرة الوجود أن ينكر خالقه ، معلمه ، رازقه . أن ينكر

الله فأصبح يجادل ويهرطق فلا يجد يدا تأخذه فهو فى حاجة الى وازع من سلطان لا سلطان عليه من البشر، فجاءه سلطان الله يعلمه كيف يقول : يا رب .. يا رب .. ركب سيارته ، ولبس عدة الصيد يسير الى دغل يصيد فيه الطير والأرنب والغزال وربما الثعالب والغربان !!

وأعطبت السيارة فلم يلتفت الى قوة تمده من الله .. الطريق قريب سأصل الى المستراح فى الكيلو الثلاثين ..

وأخذ يمشى .. يدرك المأمن ، فأخذته البغتة من شىء أعمى بصيرته فتاه ، ضاع ، وحميت الشمس وأدركه العطش ، وأغطش عليه ليل من ظلام عين فى ظلمة وجدان !!

ولكنها الهلكة أيقظت النائم الكامن فى جوانب الإنسان الخفى فيه ، فحينما سقط فى حفرة قالها وهو لا يدرى ..

قال الانسان المنسى حين صحوة الخدر بالعقلانية .. المنسى علمه وفلسفته وجدله حين صحوة العذاب بالهلكة المعطشة :

- قال : يا ربى . يا ربى .. مسنى الضر ، فقالها ..

وغشيه ما غم عقله وعينيه ، لا يحس بالكرب .. فاذا هو فى سرير عليه ملحفة بيضاء وحوله من يعرف - فهمس فى ذعر وحذر : أين أنا ؟ أين أنا ؟ هل أصابنى الأسد ؟ النمر ؟ هل نهشتنى الأفعى ؟

- قالوا له : لا .. لا .. إنها رحمة الله .. لقد وجدناك تجود بنفسك إلا نفسا واحدا حيا فى لسانك يقول : يا رب .. يا رب !!

وتكلم حصيف عرف الردة فى الناعم البال ، ثم عرف فى كاسف البال الارتداد عن الردة الى الايمان .

- قال : اسمع ليست القصة أن وجدناك ، وإنما هى فى أن وجدتنا .. فلقد تذكرتك ، وبشىء لا أدريه سمعت فى داخل نفسى من يقول لى : ادرك الأستاذ فهو فى كرب كارب .

وبشىء لا أدريه أخذت أسأل عنك ؟ فعرفت خروجك الى الصيد ووجدت السيارة ، وسرت وراء الأثر فى جماعتى هذه فاذا أنت فى الهلكة ..

حين أشرفت على الهلاك ذكرت الرحمن فأنجاك ..

ـ قال الفيلسوف : نعم تذكرت .. تذكرت .. اشهدوا أنى آمنت بالله .

قصة لم أخترعها ، أذدرعها ، إنما أنا أفترعها فى نفوس القارئـين ، هى من قصص الفرنجة « وقد يحلو لبعض النائمين على عقدة الخواجة .. أن نقول لهم هذه قصة أصلها عن خواجة .. لا عن البسطامى والجيلان ».

فاللهم إيمانا راسخا ، إيمانا كايمان العجائز .

● والوالدان .. أب وأم عز عليهما انجاب الولد حتى لقد خشى كل منهما العقم ! الزوج الأب يتهم نفسه فيسعى ليستنطق الطب ، ليستجديه ، ليطلب الشفاء ، والأم تلصق العقم بها ، فلا تلقى زوجها إلا باسمة تسرى عنه ، تأخذ العلاج إن هو جاء به وتأخذه إن هى جاءت به ضنا أن يعتكر صفو العلاقة بينهما .

وأدركتهما رحمة الله فأنجبا ولدا سمياه عطاء،وكطبيعة أبوين فى مثل حالهما .. تشوقا للولد نشأه فى بحبوحة مائعة فانغمس فى التدليل والدلع ، كل طلب له مجاب ولو عز ولو أضنى ولو قهر .. تعلما من قسوة الشوق ألا يقسو أحدهما عليه وقد كانا فى ساعة سائرة .. يملكان ما يغنى ، ولا يملكان ما لا يفنى .

وكبر عطاء ، وتعلم من الحياة ترفها وزخارفها وسرفها فعاش فى شباب وفراغ وجدة حتى نال المفسدة أى مفسدة .. أخذ ينفق على صحاب سوء ، وأتراب فاسدين مفسدين فأضاع المال وكشف الحال .. باع وباع وأتلف وأباد .. والأم تعطيه وتستره فاذا ما ناقشها الأب أو نصحها أحد ، قالت : الله يهديه .. هو أعطاه ، وهو هاديه .

وأخذه السرف الى أن باع أمه فى سوق الرقيق ليشترى ما يتلف ، وكان من بين ما شراه من ثمن أمه حذاء لماع .. وحين جرها النخاس قالت : الله يهديه ، ولم تبح بأنه ولدها !!

وباع أباه ليشترى بزة غالية وكأنما عمى على أبيه فدعا له كأنه الأم .. الله يهديه .

وسار فى طريق يتيه بلباس فخم .. ورآها فتاة اختارها .. تشترط على خاطبها أن يجيب

على سؤال تسأله فإن عرف تزوجته ، وإن عزف رفضته ، وسلم عطاء عليها ، ولم تكد تسأله حتى عاجلها بسؤاله ..

ـ وقال لها : أنت لا تقدرين على جواب لسؤالى ، وأعماها حظه المكتوب أن تكون صاحبة السؤال ، وكان موقف التحدى هو الذى جرها لأن تقول : اسأل ؟ اسأل ؟

ـ وقال عطاء : هل تعرفين رجلا يمشى وهو يدعس أمه وهو لابس أباه ، فضاقت ذرعا ، لم تعرف ولم تدر .. وهنا ضحك عطاء .. أنا الرجل .. هذا الحذاء هو ثمن أمى بعتها فأنا أدعسها ، وهذا الثوب ثمن أبى فأنا لابسه ، وكأن شيئا هفا بها اليه . فقالت : أنت هو ، أنت هو ، وتزوجها ، فاذا به يهتدى .. يغتنى .. يشترى أمه وأباه ليصبحا سيدين لينعما بولد اسمه عطاء وبأحفاد .

قصة لا نغرى بها عاقا . وإنما هى حكاية أم تبعث العزاء فى نفس زوج رأى القسوة من ولده .

● قصة قرأتها قديما .. بطلها ، أو أبطالها ، أربعة : سرى كبير ، وثرى « كونت » وصعلوك فنان بعد موته سيصبح أكبر من كونت .. عطاء الفن !.. وزوجة شابة وكلب . طراوة الكونت ، وترفه والفروسية ، وأخلاقها ، وحب التزين جعلته يشمل الفنان بعطفه .. يدخل بيته ، ويطعمه ، ويعطيه ، وكان « الكونت » فى حفل مدرسى قد رأى فتاة ، فأحبها ، وتزوجها وعاشا زوجين سعيدين أنجبا طفلة . والشاب الفنان أصبح يدخل كأحد أهله ، وكأنما علق بالزوجة ، ولعله حسب ما تضفيه عليه من عطف وتقدير عاطفة ، فأسر فى نفسه الأمنية أن تكون له !.. لكن .. كيف ؟!. هذا ما لم يفكر فيه .. كل ما صنعه هذا الحال أن زاد حوافزه .. جعله فنانا أكثر .. صناعة الحب ترفع وتضع !

وجاء طاعون فى نابولى ، واحترس أهل البيت من الاختلاط ولكن الكونت خرج لأمر عاجل ولم يكد يرجع الى بيته حتى شعر بالاصابة ؟!.. حملوه فى تابوت مسمر .. أودعوه فى المقبرة ، لكن الحياة ذات أعاجيب .. لم يمت الكونت .. أفاق من أصوات يسمعها فى الكنيسة ، فاحتال حتى خرج من التابوت ، وتسمع الى الأصوات ، فاذا هم سراق يخفون

المال فى خربة جانب الكنيسة ..

رصد مكانهم .. لا يشغله المال فعنده الكثير وذهب يجرى الى البيت فى شوق الى الزوج ، والطفلة ، والحديقة ، وضحكات الفنان . وجد الباب مغلقا ، فدخل الحديقة من الخلف ، ويا لهول ما رأى !. رأي الحبيبة الزوجة فى أحضان الفنـان فى غزل ، فرجع القهقرى لأنه مات فى نظرهم . ذهب الى الكنيسة ، وأخذ المال ، وتنكر فى ثوب كونت جديد ، فالمال أعطاه القيمة الجديدة ، واحتال على صداقة الفنان ، ليدخله بيته الذى أضحى بيت الفنان ، ودخل مرات ، وكاد يفضحه شعور الطفلة ، وكاد يفضحـه وفـاء الكلب ، لكنه قال إنى اكرم هذا الكلب فأحبنى . وكانت الطفلة تجلس فى حجره ، فقالت له مرة : ارفع هذه النظارة عن عينيك لأراهما .. خشى المكاشفة الفاضحة ، فالعينان هما سمة التسمية .. الدالة على الانسان .. لا وجه دون عينين ؟ .. واحتك بالشاب . قال : إنك إنك لا تصلح لهذه .. ساخذها منك ـ يعنى زوجته ـ أراد أن يثير غضب الفنان حتى كربه بالتحدى ، فبارزه .. كان فارسا .. أما الفنان فلا .. وحين أسقط السيف من يد الفنان وأسقطه على الأرض رفع النظارة ، فمات الفنان من المفاجأة .. تركه وذهب اليها يخطبها ، ورضيت به زوجا ثانيا مع أنه زوجها الأول ، وفى حفلة العرس فى الكنيسة وبجانب التابوت رفع النظارة فصرخت تسقط هلكى .. ماتت .. قتل اثنين بشىء اسمه الصبر ، بشىء اسمه الحب !!

● رأته يأكل فضلات السفرة ـ يقمها فى كشكول معه ، يأتى كل وجبة طعام الى فناء دار كبيرة يفعل ذلك ، تعود عليه . وعرف أهل البيت هذا المسكين فأصبحوا يلقون بها اليه . أو لعل أهل البيت لا يدرون عنه ، إنما هو الخادم يفعل ذلك !.. عظام عليها نتف من اللحم لأنهم لا ينهشون ولا يمرشون ، أكلهم بالشوكة والسكين .. بقيه من الخبز ، أو هى بقايا الفاكهة مليسة على قشورها .. بعض اللباب زادت عليه عضة السكين فعلق بقشره .

ونظرت اليه تحدق ! فهى تعرفه ؟ شىء شدها اليه .. بعيد أن يكون هو !! ماذا جرى له حتى تبدل فرضى بهذا الطعام ؟ أين ماله وترفه ودالته وغضبه وقرفه ؟ ودنت تقرب منه

تفحصه .. لقد كانت تعرفه شابا نشأ فى رغيد العيش لا يعجبه العجب ولا الصيام فى رجب !! وهذا عجوز تهدل ، قد ركبته أعوام ، أعوام اكثر من أعوام تعرفها له لو كان هو !!

وسألته : نجم ؟ نجم ؟ ولعل غيرها سأله فأنكر أنه نجم ولكن صوتها أحرجه .. أذهله ، فأخرجه من نكران الى اعتراف ، فلم ينكر أنه نجم .. قال نعم أنا نجم ، وأنت كوكب !! أأنت فى هذه الديار ؟

- قالت : نعم ، وسيدة بيت . نعيش فى عز القناعة ونعمة الرضا وشكران النعمة أقيم مع زوجى يسترنى بالحب أنا وعياله وعيالى !!

لا يرهقه بطر بزوال النعمة ، ولا يشينه صبر يخجله من أحد .. البطر ولو أفرح وأزهى نقمة ، والصبر ولو أتعب نعمة .

أتعرف ما أوصلك الى هذا الحال ؟

إنه البطر .. كنت تركل كل شئ برجلك ، لا يعجبك طعام أهلك فتركض الى الأسواق تأكل بترف وسرف ، لقد رأيتك تطأ رغيفا على السفرة لأنه « ملدوع » تسمه محروق .. شيلوه ، شيلوه ، إنك اليوم تشتهى هذا الرغيف !! يومها تشاءمت فبكيت ، فلم أخف عليك ، وإنما خفت النقمة .. وذهبت أنت بالبطر تفتش عن ملذات حتى نهبت مال أبيك ، تركته دون شئ ، وبقيت أنا أختك أرعى أما وأبا حتى ماتا فى حجرى ودعائهما لى .. اللهم اسبغ عليها نعمة الرضى وكساء من الستر .

ولقد كسيت الستر بهذا الزوج ..

أتعرفه ؟ انه خادمنا « نادر » هو الذى أكل العيش المحروق الذى رفضته ، ضمه اليه وقبله ثم أكله ..

أوصاه أبى بنا .. وأوصانى أبى أن أتزوجه قال : تزوجى يا كوكب هذا الانسان الشكور ، فالشكور مستور .. وأريد لك الستر .

وجاء طفل يركض « أبويا ، أبويا جاء » فأخذ نجم كخال يقبل الطفل ، فأخذه الطفل إلى نعمة الرضا وكساء من الستر .

وفى ليلة مات على حجر أخته ، وهو يقول : ربى أسألك الرحمة .. الرحمة . فقد كنت جانب النقمة لأسرة سترها الله دون أن أكون معها . بل كنت عليها . اللهم الرحمة ..

● الاسطورة قد تعنى أنها الحقيقة فى زمانها الغابر ، فكثير من الحقائق التى نشاهدها اليوم كانت خيالا معروفا فى البعد عن تصورنا ، فلو صغنا عنها كلاما قبل أن تكون واقعا لكانت أسطورة وحكاية ، نعجب بها ، ونستغربها .

ـ قالوا : إن شمر برعش أحد ملوك التبابعة من حمير قد ذهب بعيدا فى الغزو والفتح كان الموجة العربية سباقة .. موجة اثر موجة حتى وصل الى حدود الصين كما هو قتيبة ابن مسلم .

وزعموا : أنه لما وصل إلى سمرقند هدمها ثم أمر ببنائها ثم توجه الى الصين فخافه ملك الصين خوفا عظيما ، وعلم أنه لا طاقة له به . فجمع ملك الصين وزراءه فاستشارهم

ـ قال : لقد أقبل هذا الاعرابى ولا طاقة لنا به فماذا ترون ؟

ـ فأتى كل واحد منهم برأي وبقى واحد منهم لا يتكلم فقال : ما تقول ؟

ـ فقال : أرى أن تظهر الغضب علىَّ وتجدع أنفى وتأخذ دورى وضياعى وأملاكى ودوابى وعبيدى حتى يعلم الناس بذلك ، فكر ملك الصين لعظم حال ذلك الوزير عنده ، ف يعذره ذلك الوزير حتى ساعده وفعل به ما أشار عليه به .. فخرج الوزير من الصين حتى انتهى الى شمر برعش فأراه جدع أنفه وشكا اليه ما فعل به ملك الصين ، أظهر لشمر برعش النصيحة فجعله شمر برعش من خاصته ثم احتاج الى دليل يدله الى الصين المفازة العظيمة التى دونه ، فقال وزير ملك الصين لشمر برعش :ـ أنا الدليل أيها الملك و تجد من يعرف هذه المفازة مثلى فنهض شمر برعش بجنوده يتبعون ذلك الوزير فسار بهم على غير الطريق حتى بعدوا بعدا عظيما عن الماء وأشرفوا على الهلاك وأيقنوا به ونفد معهم من الماء .

ـ فقال شمر : أين الماء ؟ فقال الوزير : لا ماء ها هنا الا الموت !! أردت أن تهلكنا وملكنا وتقتل رجالنا وتسبى ذرارينا فوهبت نفسى لأهل بلدى ووقيتهم من الهلاك بنفسى

فانت ومن معك أحق بالهلاك ، وقال لجنده :ـ توجهوا أينما شئتم ، وفرش له درعاً من حديد وظلله بدرقة من حديد ، فتذكر عن ذلك قول قوم من المنجمين حكموا فى ميلاده أنه يموت فى سقف من حديد وفراشه من حديد ، وذهب كل منهم على وجهه فهلكوا فى تلك المغارة ، وتناثر من جنوده ثلاثون الفا فوقفوا فى أرض فيها الشجر والماء والنخيل وهى بلاد التبت التى يجلب منها المسك فتملكوها وتوطنوها ، وبعدت منهم أرض اليمن فسكنوا بها الى اليوم ، فزيهم زى العرب واخلاقهم اخلاق العرب ، ولهم ملك قائم بنفسه منهم ، وهم معترفون أنهم من العرب ، ثم من اليمن وهم يحبون العرب حبا شديدا !!!



حالات نفسية

● لو تركت لنفسى سأمها لوجدتنى استهلك المسرة فى احتراق .. استنزف كل طاقة ، ارهاقا للارهاق ، وكسبا لوقت سيضيع بسقوط السأم .

الوقت .. السأم عاملان فى صناعة النفس القاذفة كل ما تملك من مثل . لتقتنى اللذة وامتصاص المشتهى حتى لا يفوت .

والوقت .. التأمل .. عاملان فى صناعة النفس العازفة عن الاحتراق فى أتون المشتهى .

من هنا تجئ كل الكوارث فى المعجلين الذين يريدون أن يغنموا تغطية السأم بطرده كوهم ركبه فيهم الارهاق .. كأنما هم يصنعون ارهاق الارهاق ، بقتل الرمق الأخير من التأمل والتوبة ورخاء النفس ورفض الارهاق .

كل الشباب فى هذا العصر جاءت بلاياه ، ورزاياه من القلق والسأم ، يحاول طردهما بطرد نفسه الى حريق .

إنك لو شئت أن تستريح قليلا بضحكة لوجدت من يحرقها فى نفسك بكشف أسبابها .

إنه لا يدرى أنها من عمل الطرد للسأم ، أو أنها من عمل الفقدان لشئ تريده الأقوى فى طرد هذا ، المسئم لك بسؤاله سواء بلسانه . أو بعين رامشة . أو بغمزة هازئة يرسلها فى غفلة الضحكة .

هو نفسه يفعل ذلك بالدوافع نفسها التى فعلت بها الضحكة . حتى بكاؤه بدمع الضحكات . ما هو إلا نوع من السؤال الطارد لا السؤال المستعلم .

لم يمض على الإنسان زمان . وجد الشيطان سبيله الناصر له . إلا فى هذه الحقبة .

كأنما السأم شيطان جديد أبرع من الشيطان نفسه . يستمرئك اللذات والشهوات باسم الطرد لها .. بينما هو الاحتراق بها .

قاتلوا السأم بالتأمل والانابة والصبر . وإلا قتلكم !!

● أخى وصديقى ضياء الدين رجب .

أيها الأب المصنوع من الحنان .. الصانع للحنان .. الدامع فى كرب غيرك .. الصابر على كربك .. أسألك هل هناك كلمة تفى بحق العزاء لك فى فقيدك الوحيد « حمزة » يذهب فى ريعان الشباب بوجه ناضر .. الى ربه ناظر ؟. أم هناك صمت حجر الدمعة أن تفيض لتحرم السافحة من أن تفض حزنها .. تريد ألا تستريح بالبكاء لأنها غارقة في أحزان الأحزان .. أحزانها وأحزان الأحباب .. أحزانها كثيرة تكبر ولا تصغر ، وأحزان أحبابها تأتي مفاجئة لتكبر حتى ليصغر عندها الأكبر .. تدهك النفس مرتين ، وتنهك الوجدان في الحالين ، وتهتك أسرار الحب باستسرار الحزن المنكفئ على نفسه .. البين دون أن يظهر .. الظاهر لا يكاد يبين !.

ولكنها ـ والحمد لله ـ لن تهلك ايمانها .. ذلك بصبر المؤمنين المتواصين به حقا .. ينتصر ايمانها بالصبر ، ويتضح جلاله بأنه الحق (إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

لا أسألك فيما سبق ، ولكننى أسألك الآن لأذكرك بالعزاء النبوى المحمدى .. جاء فى الخبر الصحيح .. وصفوا به موقف سيدنا محمد الرسول النبى عليه الصلاة والسلام حين وارى فلذة الكبد ابراهيم في لحده في البقيع الطيب واغرورقت عيناه بالدموع وقال : (إن العين لتدمع ، وإن القلب ليخشع ، وإنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون) .. ألست معلمنا حب النبى ليكون لك في رسول الله اسوة حسنة ؟.. حبك للنبى محمد .. ايمانك برسالته الحقة .. اتعاظك بمكارم اخلاقه .. كل ذلك يجعلني اطمع بأن تقولها كلمة علمنا رسول الله أن نقولها حين علمها لهند بنت زاد الركب .. أم سلمة ،أم المؤمنين .. يوم مات أبو سلمة صاحب النبى ، وأخوه من الرضاع .. قال لها : (استرجعى إنا لله وإنا اليه راجعون) .. تلك لعمري قوة الصبر بقوة الايمان احسبني على ثقة ، وبيقين بانك من الصابرين المؤمنين ..

لا أريد أن أسألك مذكرا بدموع ابن الرومي على ابنه محمد ، ولا بدموع الزيات على ابنه رجاء ، ولا بدموع السرحان على ابنه محمد .. هكذا يا أخى يذهب شبابنا فجأة في عمر

الزهور لنفنى نحن في شيخوختنا بأحزان الأحزان عليهم .. هم ماتوا كلا واحدا في لحظة ، وأنا وأنت نموت أجزاء تتقطع أكبادنا في لحظات .. لعلها كانت بسمة على شفتيه حينما ادركه الموت ، فهو التقي الرضي يخفض لك جناح الذل من الرحمة ، ولعلها حسرة فى قلوبنا تقطع أوصالنا .



أمنيات

● وأخذ يكتب تذكرة الركوب فى طائرة لراكب الى المانيا للعلاج .

فتناول الموسوعة القاموس المجدول بأسماء الخطوط والمدن وبالساعات وعن المواعيد .. كأن الدنيا كلها قد قرطست فى قرطاس ..

أسماء لها حلاوة فى السمع . تسمعها فترى العيان لها ، والمريح منها .

وأخذت أسمع القلم ، وهو يكتب أسماء المدن التى ينزل فيها المسافر ، أو يسافر منها .. فوجدتنى اشتاق أن أعرفها معرفة العيان زيادة على معرفة الحرف والقرطاس والخريطة والتاريخ .

وسرقتنى نفسى من نفسى فى الأمنية التى دغدغت جوانحى .. ثم ايقظتنى كلمة .. تفضل .. تفضل .. يناولنى التذكرة فصحوت على سراب الأمانى ، وارتواء اليقظة بكلمة .. الحمد لله . الحمد لله .

وعربدت نفسى وهى تصرخ فى أعصاب الجلد الذى يحملها ، أو هو الذى حملها وتحملها .

صرخت بمرارة : ما أحلى الدنيا .. كلها حياة وجمال وصلات واصلة ..

إن الدنيا كلها أستطيع أن أحملها فى قرطاس .. تذكرة . ويحملنى اليها مركب سريع ، اشاهد الناس والزرع والحضارة والجمال والجميل والزخرف والضجيج والسكون والحب والدلال .

كم هى حلاوة الدنيا ، وكم هى الراحة والمسرة المبسوطة أمام الانسان ، كل شئ ميسر ومفرح ، ولكن الإنسان !!

لكن الإنسان قاتل نفسه ، يقبح كل شيء حسن ، حقيقة كانت كلمة الملائكة .. يفسد فيها ويسفك الدماء .. الدنيا جميلة وجمالها بالإنسان . ولكن الإنسان صانع القبح فيها .

وافقت لأقول :

لو سكنها غير الانسان لكانت الأرض غابة كبرى ، حياتها فى موتها ، تسكنها الأفاعى والغيلان والشياطين !! لكن الإنسان هو حياتها وزينتها ، وإن قتل وإن شان .

أفلا يدرك الإنسان ، ادراك اليابانى صارف الثروة فى سبيل السلام .

مسكين . أضاع السلام هذا الإنسان فى أهله وبيته من ضياع السلام بين الإنسان والإنسان .

الدنيا حلوة . ولكن المرارة فى حلاقيم المرضى من صناع الحروب وقتلة الشعوب .



صُوَرٌ

صُوَر

● صور هادفة بلا سهم يراش ، ولا قوس يعجم ، وإنما هى قبلة الفم للفم ، وغمزة الرمش للرمش .

***

●● أصدقاؤنا « العريف » وزعوا بطاقة الدعوة لحضور العارفين والأصدقاء حفل الزفاف .. اقاموه لزواج ولديّ الحبيبين عدنان وعادل عبد الله عريف ..

لقد زرعوا فى نفسى المسرة والشوق .. مسرة أن رأيت طفلي صديقى رجلين فى عرس .. والشوق الى تحيتهما .. فقد نشأ كل منهما بين يدي .. وكنت أتعهدهما بالزيارة فى مصر كلما ذهبت إلى مدرسة الروضة فى كنف ابن الأكابر وبقية الأكابر السيد ولي الدين أسعد أمد الله فى عمره ..

وكانا لا يغيبان عن بيتى فى مكة .. ففى كل عصر يحضران .. يلعبان مع ولدى .. ويسبحان فى بركة ..

أكن لهما الحب وفاء .. وأرسل التهنئة لهما ولأسرتهما وأبيهما حفظهما الله وأسعدهما باخوة يعرسون فى حياة أبيهم ورخاء ذويهم ..

فالذين يحبون أبناءهم يحبون أولاد الآخرين .

● قال لى : أراك أطريت البريطانيين فيما كتبت عن فوز « ادورد هيث » ؟.

ـ قلت : وهذه اطراءة أخرى ، فلا تعجب ، فإن بلينا بسياستهم فلا ينبغى أن نغمط الشعوب حقها ..

تحدثوا : أن الملك الامبراطور ادوارد الثامن الذى تنازل عن العرش من أجل المرأة التى أحبها « مسز سمبسون » كان يعيش خارج بريطانيا ..

وأعدوا كل شىء لحفلة التتويج .. يتوجون أخاه الملك الامبراطور « جورج السادس » .

فذهب أخوه « دوق اوف يورك » مكلفا من الأسرة المالكة ومن الوالدة الملكة .. يدعون من كان « ادوارد الثامن » وأصبح « دوق وندسور » لحضور حفلة التتويج . أبلغه الدعوة ، فرفض الحضور .

● صور تقذف نفسها فى أذن قارئة بصوت جهير .. وفى عين سامعة ، وفى قلب واع .. من لسان يذوق ويتوق ..

***

● شاب حمل تذكرة التابعية ، وأعطاها لموظف يراها .. قرأ فوجد : فلان جهنى ..

ـ قال : ايش جهنى ؟

ـ قال : يعنى من جهينة .. قبيلة عربية سعودية تنساح بين وادى القرى ووادى الحمص والبحر .. وتتسرى شماريخ رضوى ، وتهيم فى شعابه . قال : أهو .. أهو .. مانى عارف !.

***

● هذه صناعته .. يقف فى الشارع يتوسم ليتدسم ..

هناك رجل يتمشى .. إنه زبون جديد !!

فيذهب اليه .. سلام .. كيف الحال .. هيا : « أنبش » !!

فيؤخذ الرجل .. وعليكم السلام .. أنبش ايه ؟!.

ـ هات خمسة مجيدى ، قوام .. « أنبش » .

ـ هل لك دين عندى ؟

ـ لا دين ولا شىء .. « بس أنبش » .. فإن أعطاه ذهب سالما .. وإن لم يعطه .. يصرخ النصاب : « يا ناس .. يا ناس .. شوفوا ، شوفوا .. هذا يسب السلطان .. شاهدين عليه » .

وبعد أيام يؤخذ المسكين الى القبو .. فقد كتب عنه ما يسمى .. مخبر صادق .

وفعلها مرة مع رجل لا يعرفه .. كان أخا لضحية من ضحاياه .. تقمش ونزل فى مواطن نصبه .. فرآه .. أوهمه أنه لا يعرفه ..

فجاء المخبر الصادق .. يقول « أنبش، فنبش» واعطاه عشرة مجيدى ، بدلا من خمسة ..

وعمل على صحبته .. حتى إذا اطمئن اليه ، جره الى خارج السور .. يشربان فى القهوة .. أربعه أسود مضبوط ..

وتعمد أن يهبط الليل !..

وهناك .. طخاه .. قتله ، ولم يدر به أحد . وقرأ أهله اسم الشخص من جريدة الأسماء لضحاياه .. فما عرفوا ..

فقد كان متنكرا باسم لا يعرف .. لقد استراح الناس منه .. فلم تعد تسمع .. كلمة « انبش » ولا كلمة « مخبر صادق » .

* * *

● كان يركب حمارا . ورأى أرنباً ، خاف ، فاختفى يكمن فى حفرة .. يسمع أصواتا ، ودل الحمار عليه .. جاءته النهقة فعرف الرجل أنهم يصلون اليه .. فأطلق رصاصة ، واثنين .. فهرب السراق ..

وفى الصباح وجدوا الحمار نافقا .. قتله صاحبه .. أرهبهم بالطلقات .. ورفض أن يكون ضحية لنهقة حمار ..

هكذا الحمير .. فقد تفضح سيدها فى ساعة بطر !! وهكذا الرجل ينفعه الحذر .. ويسعفه بعد النظر !!

* صور تعبر عن نفسها من تنفسها .. بعضها فى ظاهر الأمر لا يرتبط ببعضها ، ولكنها فى وسامتها ـ وإن حجبت وسامتها ـ تتواءم فى ارتباط مشوق وممجوج .. مشوق عند الذين (ربما صحت الأجسام بالعلل) .. وممجوج عند الذين يذوقون الماء الزلال علقما بالفم المريض !!

● قال لى : لماذا تجفونى ؟!

ـ قلت : لا تعذبنى .. إن جفوتى لك ليست هفوتى . وإنما هى جفوة نفسى لنفسى ، لكنى ماذا أصنع ؟.. وأنت .. شجاع فى رفض الفضائل .. حذر فى اعتناق الفضلاء .. مقدام فى الربت على الرذائل .. محجام عن رفض المرذولين !

هذا شئ لا أطيقه ، فواجب الأخلاق يأمرنا أن نسير على عكس ذلك !

وسكت .. ثم قال : أنت حالم غير واقعى . أنا أريد أن أعيش حياتنا ، وأنت تريد أن تعيش حياة الكتب !

ـ قلت : لقد سبقتك بذلك ، فيوما ما قلت لك أن واقع الحياة أفسد فينا أخلاق الكتب !!

* قال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة . وهمج رعاع أتباع كل ناعق !!

كلام صحيح سبق به الإمام « غوستاف لوبون » فى كلامه عن الجماعة كجمهور غوغائى !!

أصبح هذا الكلام درسا يلقى فى الجامعات كشئ أساسى فى علم الاجتماع .

* * *

● الظالمون بالجهل قد يجدون من يلتمس لهم الأعذار . حتى ويكون المعتذر لهم من الذين وقع عليهم ظلمهم . أو هم أنفسهم يجدون الوقت الكافى ليعتذروا ، أو يستغفروا !!

أما الظالمون عن عهر فى عقولهم ، وتبجح فهؤلاء لا يبالون بشئ .. لا يعتذرون ، ولا يرغبون فى أن يعتذر لهم أحد . بل إنهم وبالعهر يجزعون إن وجدوا عاذرا .

* * *

* من عجائب الظلم والظالمين والمظلومين هذا الوضع .. تظلمنى فأنسى ، أو أتناسى ، أتقرب إليك لأنسيك أنك ظالمى ، فتأبى إلا أن تذكرنى بأنك سالب الحق ، ظالم التصرف يعنى كما تقول العامة : يرضى المظلوم ولا يرضى الظالم !!

وكثير هى الأوضاع والصور !!

* * *

● قال هتلر : الرحمة خور فى الطبيعة ، ولعلى قد وجدت من سبق هتلر بهذا القول .. لكن الترجمة كانت أمينة حتى طبق البلغاء عزائم هتلر على هذا القول : كأنما هم ترجموا نيتشة وروزنبرك ، وحين هضمنا فهمها .. قلنا : الجور والطغيان من طبيعة الخور . فالجبناء والخائفون هم العاسفون العاصفون !!

وهكذا يفعل اليهود !!

* * *

* فلورندا .. لأنها ظلمت .. وسلبت كرامتها .. كان ظالمها « روزريق » السيد المطلق فى الأندلس .. قد استطاعت أن تغفر قتل جدها . ولكنها لم تستطع أن تغفر قتل شرفها .. فكانت سببا فى أن يزول سلطان « روزريق » .. وينتصر طارق بن زياد !

وفلورا .. فتاة مسلمة من أب مسلم نصرتها أمها المسيحية ، وحين مسها الضيم استطاعت أن تكون السبب فى اجلائنا عن الأندلس .. فقد صدق نابليون حينما قال : إن المرأة التى تهز بيدها اليسرى أرجوحه طفلها .. تهز الدنيا برجاحة كيدها !!

● صور خرساء .. كلامها من باطنها ، فلا هى ترسله بالعبارة لأنها لا تقدر ، ولا تريد الاشارة لأنها تحضر .. فمعناها من مبناها لمن يتملاها لا ممن أملاها !!

** قال : لا تحاول .. فإن فلانا لا يحبك !!

ـ قلت له : هذه ليست بشرى .. البشرى تكمل بأن تقول : أنه يكرهك .. اسمع .. إن من يكره يعطيك شيئا من وجدانه .. هذا الشئ يتفوق على عطاء الحب لأنه أكثر استمرارا . ولأنه يشد حيلك فلا تسترخى عواطفك .. هو عطاء بلا أخذ ، والاستمرار فى الكراهية يعطيك الاحترام وهذا ما يريده الرجال (إنما يبكى على الحب النساء) !! ولعل الكراهية لسبب أو لآخر تنقلب الى محبة فتكون بهذا أثبت لأنها ممارسة الاحترام ، وعطاء أكيد من الوجدان ، وبهذا تصدق حكمة العوام « سمسمية يا حلاوة .. ما محبة الا بعد عداوة » !!

* * *

●● وقال آخر : لا تبعد .. إن فلانا يحبك !.

ـ قلت : هذا فضل أشكره . لكنه لن يكون سببا فى ارخاء الرأس .. الكراهيه أفضل حينما نكسب منها الاحترام ، والحب لا نرفضه إذا رافقه الاحتفاظ بالكرامة !!

* * *

** قال : « شايف عبد الله خياط كيف حصل على مواطن ؟؟ » هكذا نحن يأكل بعضنا بعضا !!

ـ قلت : اصرف النظر عن الخياط وموضوعه . وأسألك : لماذا تلوم الوطن أن يحمل على وطنى . ولا تلوم المواطن أن يحمل ـ بتشديد الميم ـ وطنه ما لا يطيق ؟.. التعصب للجماعة فضيلة ، والعصبية مع الفرد رذيلة .. أفهمت ؟!! قال : فهمت .. فهمت . ولكن فى النفس منها شئ !!

* * *

●● بين الحين والحين تزورنا عجوز حبيبة .. سألناها عن خروف عندها ، وسألتنا عن خروفنا الذى نفق . فقالت : لماذا لم تسألونى تليفونيا ؟.. الخروف مات « مبشوم » فى خروف آخر ، اذا حصل له ذلك اسقوه كوكاكولا لأن جيرانى البدو عالجوا بمة العنز بها .

ـ قلت : هذا صحيح . فأنا أيضا نسيت كربونات الصوديوم .. ليس هذا إعلانا عن هذه الأشربة المحلاة بالسكر الصناعى لأنى أخشى أن خرفانى تموت بداء السكر الصناعى ..

* * *

● صور تسرق نفسها لأنها أمنية أن تعطى غيرها .. لا تتعامل بالمقايضة . ولا تعرف سمك الورق ، والفضة ، والذهب .. تمارس المكايدة أحيانا .. تلجأ إلى السداد وفاء على طريقة النكتة تضحك وإن أغاظت .. تبكى وإن أراحت !

● قال لى : بماذا تدندن اليوم من الشعر ؟

- قلت : بهذه الأبيات للمتنبى :

يا من يعـز علينـا أن نفارقهم   وجداننـا كل شئ بعـدكم عدم

إن كان سركمـوا ما قال حاسدنا   فما لجـرح إذا أرضـاكم ألم

اذا ترحلـت عن قوم وقـد قدروا   أن لا تفارقهـم فالراحلـون هم

- قال : لماذا لم تقلها من زمن ؟

- قلت : اخشى الملابسة والملامسة .. أريد أن البس نفسى نفسها ، وما علىَّ إذا ما اغتاظ أبو فراس !!

* * *

● قال : من تحب ؟

- قلت : الاحياء !

- قال : والأموات ؟!

- قلت : إن لهم فوق الحب والاجلال .. لأنهم أحياء بما صنعوا .. بما ينالون !

- قال : من تكره ؟

- قلت : لا أكره .. وإنما اشفق على الغافلين عن أوزار أنفسهم .. المثقلين بتعقب الآخرين يعدون أوزارهم . ولو كشفوا الازار فاضحين . النابهون هم الذين يسترون أخا لهم ، ولو بشق ثوب !!

* * *

● قال : أى حيوان تحب ؟

- قلت : البقرة ، والجمل .. البقرة مرضعتى كأم ، حارثة الأرض يظلمها المقدسون لها لأنهم يخرجونها من وظيفتها ، ويظلمها شخص قال : إن البغلة أحب إليه من البقرة !

- قلت : فكر عقيم ليس غريبا أن يحب العقيم .. لا ثدى ، ولا نسل !!

* * *

● صور .. يكتبها اليوم « انا تول فرانس » ناتى بها نقلا عن الآفرنسية بترجمة امير البيان .. شكيب أرسلان . ولها دلالتها .. وعلينا تدليلها ، حتى الكلمة تفرض دلالها كما هى دلالتها من ظلالها .. أو حتى من ضلالتها !

** إن الصين هى فى دور انتقال . وما دام الصينيون يحكون أنوفهم عند السلام ويلبسون الأبيض للحداد . ويؤدون الى الطبيب الأجرة عن السنين التى لا يكون فيها مرضى .. ويأكلون أعشاش الطيور من دون الطيور .. ويعملون كل الأمور بالعكس ، فنحن فى أمان ، ولكن متى ارتفع استعمال الحصير من الصين فقد دنا أجل أوربا !!

* * *

** إن « رينان » كان سيعيش ذكره بحسن إنشائه ، وسحر بيانه ، وطور معيشته الفلسفية أما متانة بنائه التاريخى فلا أعتقد بها فالتاريخ هو كما وصفه « رينان » مجموع افتراضات . والافتراضات تتجدد دائما . فكتاب « حياة يسوع » يشيخ من يوم الى يوم ، ويغنى من جهة موضوعه ولكنى واثق بأن الناس سيقرأون أبدا حياة يسوع كما يقرأون خطبة « بوسويه » فى التاريخ العام ، وكلاهما مقصود من أجل البلاغة لا من أجل التاريخ .

* * *

** يصير الإنسان كاتبا بارعا ، يصير نجارا حاذقا وذلك بالصقل ، هذا يصقل الخشب وذاك يصقل العبارة . فالبلاغة اليوم سوقها كاسدة مع أنها تعلم الذوق وتنور الذهن ، وتهز القلب . والخواطر تذهب والبلاغة خالدة . كانوا فى القرون الوسطى يقولون : (سيدتى البلاغة) نعم . والانشاء أنواع : الانشاء السهل ، الانشاء العالى ، والانشاء المعتدل . وقد يضحك هذا القول ناشئة الاغرار مع أنه من البديهيات . إذ لا يعقل أن تكتب الى محبوبتك كما تكتب الى رئيس أساقفة باريس .!!

* * *

● صور ناطقه بواقع من الحقيقة ، أو هى الحقيقة واقعة تشير الى مدلول واقعى !!

** الحكمة ضالة المؤمن .. حيثما وجدها التقطها

فمن حكم الصين قديما ، قالوا : إن أحد المشاهدين اللاقطين لمشهد يتخذ منه حكمة أو درسا ، أو حتى موضوعا لكتاب جديد .. أساسه لمحه خاطفة ملتقطة !!

هذا المشاهد رأى اثنين من الصين يختصمان يتلاحيان فى جدال عنيف طال أمده . وهو يشاهد النهاية بين اثنين يختصمان !!

وطال انتظاره .. فسأل : ما رأيت واحدا منهما قد مد يده يضرب خصمه ؟

– فقالوا له : إذا أفلس أحد الخصمين من حجة أو دليل ، أو حتى من الصبر على خصمه فخرج عن وقاره ، وكال ضربه ، فإنه يعد المغلوب فى نهاية الحجاج والخصومة . فالضرب آخر الجهد لخصم يحاول خصمه .

من هنا قالوا : إن النصر ليس لمن يكيل الضربات ، وإنما هو لمن يحتملها ..

حينما تتحمل الضربات ، فإنك قادر على أن تردها .. ومن يضحك أخيرا يضحك كثيرا !!

● الظلم يصنع الأبطال ..

كلام له خطورته .. لكن ماذا لهذه الأمثلة فهم رجال ما كانوا أبطالا إلا لأنهم لم يصبروا على الظلم ..

ولا يعنينا من هو على الحق الذى نراه ، أو على الباطل الذى نكره ..

دعونا من تاريخ الأحقاب الماضى .. ولنأت بالقريب منا .. واشنطون ، جيفرسون . هاملتون ، توماس بين ، فرانكلين بن يامين .. ما كانوا أبطالا حينما مسهم ظلم مرهق ،

صن يان صن ، غاندى ، نهرو ، المحارب فى الجزائر ، الفدائى فى فلسطين .. ما كانوا أبطالا . ولن يكونوا إلا لأن الظلم أرهق وأجاع واستعبد فحاربوه .. كل بوسائله المتاحة ، والمعقولة لديهم سواء منهم من طوع الواقع الخيال ، أو تطوع بالخيال لحياة الواقع .

ولينين وتوتسكى وجيفارا ، وماوتسى تونج ، وشان كاى شيك .. لم يصبحوا أبطالا فى وجدان شعوبهم إلا لأنهم حاربوا ظلما تخيلوا واقعه فيهم . وغيرهم .. وغيرهم ..

وهكذا السادرون بالبطر يصنعون المحاربين لهم حينما يظلمونهم .

***

● صور من السيرة العطرة .. نرتاح بها .. نتنفس من كرب ، أغمس فيه أنفاس الهروب من هذا العطر الشذى .. لأرتشف الشذى والروم « بفتح الراء مشددة وسكون الميم » فأرقى بأحلام الوجدان الى مرتقى الذكرى لهؤلاء .. أحبهم .. أرجو من الله المسيرة على طريقهم !!

***

● وتحدثوا ، وفى ترجمة شماس بن عثمان المخزومى قالوا :

لما مات عثمان بن شماس .. قالت بنت حريث المخزومية :

يا عـين جودى بدمـع خـير الناس ... وابـكى رزية عثمان بن شماس
صعـب البديهـة ميمـون نقيبته ... حمـال الـوية ركاب أفراس
غريب مريع إذا ما أزمـة أزمت ... يبـرى السهـام ويبـرى قمة الرأس
لقـد قلـت لما أتـوا ينعونـه جزعا ... أودى الجـواد فأودى المطعـم الكاس

● وكان رضى الله عنه قتل شهيدا يوم أحد .. فأجابها أخوها أبو سنان بن حريث :

أفنـى حياتـك فى ستـر وفى خفر ... فإنمـا كان عثمان من الناس
لا تقتلى النفس إن حانـت منيته ... فى طاعـة اللـه يوم الـردع والباس
قد مات حمـزة ليث اللـه فاصطبرى ... قد ذاق ما ذاق عثمان بن شماس

● بكت الشهيد فأطمعها أخوها بالصبر ، وبالعظة لتنال أجرا يرضى الشهيد عنها .. لا تعذبه بنوح .. وتفنى نفسها بالحسرة ..

أراد لها أن تعيش حياة المنجبات ، لحياة أمة سخرها الله أن يكون منها الشهداء . أعزوا الاسلام ، وصانوا الحق ، ونشروا الفتح .. فلنعم الجزاء من الله ..

أما جزاء العباد فمطلب عسير .. إنهم ينسون الذين قتلوا فى سبيل الله .. سبيل الله كانت سبيل الخير لهؤلاء الناسين ، إن لم نقل الناكرين !!.

***

● صورة .. هى واحدة لا تتعدد تنفرد بى هذه اللحظة . وانفرد لها كل لحظة . لا أحسبها تقوى على حل العقد النفسية ، وإن كنت لا أبخسها حقها فى الكفاءة والارادة والقدرة على حل العقد من أى وثاق شد فى يدي من تغيث .

هى عمل لا إيحاء .. ارادة لا سؤال .. هى مواكبة غير غافلة ، وليست متخطية حدود وجدانها ، وحدة مشاعرها ، وورونق اسلوبها ، ورقة المسلك فى ادراك مطلبها .

من خطوتها أنها تكذب فتصدق ـ بفتح الدال وتشديدها ـ لا من سامعها وإنما من صدق ما كذبت فيه ، ومن متعة التلقى بهذا التأكيد فى وقته من زمانه ، وفى مكانه .. لا يتأخر لحظة عن حاجتك لسماعه مفرجا من كرب بجرح استجد لديك .. بينما هو عندك متوقع تعرف الوقت لنزفه ، فتأتيك بما يفتح أضالعك بضحكة مترفة يضحك منها هذا المصندق بين الأضالع كالكمثرى .. مضخة ترسل حياة الدم بحياة النشوة بما تصنع .. تشعر بخفة من زوال الخفقان المخيف ، كان يتعربد به قبل أن تبلسمه هى بالخبر المستكنه كاذبا فى خيالها .. صادقا فى واقعها ، تصدقه أنت لا تمارى فيه !

خيال ـ أن نجد الصورة نفسها مجسدة فى واقع إنسان كنا نحسبه من خيال الروائيين فى واحد الفرسان الثلاثة (دارليان ـ والفارس المقنع الآخر (الزهرة القرمزيه) .. مخيلة الروائى فرضت أن تجد دارليان ، والزهرة القرمزية فى اللحظة الحاسمة بجانب المكروب .. هذا يغيث ، وذاك يختطف ليغيث .

هذه الصورة هى الزهرة القرمزية فى واقع من حياة تمشى على الأرض لم تذق المجاعة فى عواطفها ، وذاقت الرواء والارتواء فى أعطافها !

أريد قارئا واحدا يفهم ما قلت . لعل قارئا يفهم هو الصورة الواحدة نفسها .

لقد وضعتها حروفا ستضع هى المعانى ، ولا غيرها كما قال طاغور ، أو هى المفهومة لمن عنته . فقارئى الذى أريد هو كما يقول المتنبى :

وكم من عاتـب قولاً صحيحاً وآفتـه من الفهـم السقيم

● صور رائقة .. تروق فاهمها ، ولا تعكر الصفو لمن ينصرف عنها .. لأنها تلبس نفسها ولا تلامس غيرها .

● طفل بلغ السادسة من عمره ، أسهر أمه فى ليلة حارة . ورحمه أبوه يحمله على كتفه .. يذهب به الى الطبيب ، كانت المسافة أكثر من كيلو ونصف أى ألف وخمسمائة متر ، كان وزنه مرهقا لذراع أبيه .

وأخذ الدواء قطرات فى الأذن . من الطبيب المناوب ، شئ من الجلسرين ، يعرف أنه يقطر فى الأذن . ولا أدرى هل سكن الألم بالجليسرين . أم هو ايماء العناية من الأب والباب المفتوح فى مستشفى أجياد . المهم أنه سكن الى الصبح . فذهب أبوه الى الطبيب شبه المختص فقد كان أيامها لا اختصاص .

وكبر الطفل .. ورآه أبوه يحمل طفلته لما تبلغ العامين يذهب بها الى الطبيب . وهى تحك أذنها .

فضحك الأب ، الجد ، فرحتين . فرح أن الزمن أخذ بحقه من ولده .

وفرح أن رأى طفله الصغير قد صار أبا .

● وتذكر أبوه كيف أوجعته أذنه فى ليلة ، لما ينتصف ليلها . وكان يعـرف أن الأطبـاء يجتمعون . يسهرون على سطح المستشفى .

وطلع إليهم . وهم يعرفونه . وفيهم أصحاب له . فما سلموا إلا بكل صعوبة . لقد صعد إلى السطح !.. كيف أطلعه الخادم ؟ ماذا يريد ؟

وسلم يجلس . فأحس أنه غير مرغوب فيه . غريب فوق أرضه وترابه . هكذا .

وتصبر . ثم قال : لا تضيقوا .. أنا لست زائرا . ولكن ما حيلتى والطبيب المناوب معكم على السطح ؟!

- من هو ؟

وأشاروا إليه ، فقام اليه ليريه صماخ أذنه فامسك بالنبض . والأذن . ثم قال للخادم : قل لبخش يعطيه حبتين اسبرو .

- قلت : اسبرو .. قال : اسبرو نعم .. قلت : أمر طبيب .. هات الاسبرو .

ونزلت . فاذا الصيدلى لا يعطينى الاسبرو . وإنما يقطر قطرات من الاكسيجين - عملية غسيل - ثم قطرات من جلسرين .

وخرجت .. وما زلت أذكر هذا الطبيب بخير رغم مقابلته المتعجرفة ، كان هذا وأنا موظف وكبير . فكيف كان مع الآخرين ؟ هل تغيرت الصورة ؟

أحسب أنها تغيرت فى كثير من الأشكال ، وقليل من المواضيع .

● ولنعد الى صور ..

- قال : كم هى أقسام الاستعمار ؟ أسمعكم تقولون : القديم ، والجديد ..

- وقلت له : لا قديم ولا جديد فيه أو منه . كلها الأساليب تتغير حسب مقتضيات الأحوال ، ومسيرة الأجيال وفقه الرجال .

قديم كان يتسلط بالغزو وحق الفتح .. فاستنفذ أغراضه لا لزواله ، ولكن لازالة المنافس ، كألمانيا مثلا بعد الحرب العالمية الأولى .

وجديد فى صورة تطورت لحجب دول تريد أن تستعمر كألمانيا مثلا فابتدعوا عصبة الأمم تعطى صكوك الامتداد .. يعنى أنه الاستعمار ليس بحق الفتح والغزو وإنما الشرعى كما يدعون بصكوك ومستندات عن عصبة الأمم التى لم تكن تمثل الأمم .

وجاء الجديد المستجد بصور شتى ، معونات ، مساعدات ، تحل محل المعاهدات غير المتكافئة .

غير الفاجر الجديد فى الفجور هو الاستعمار بصكوك من هيئة الأمم . صك بقرار واحد .. هو ما تكونت به دولة إسرائيل ، بعهد خائن (سايكس بيكو) نفذ وعد اليهود ، مهد له صك الانتداب .

وبصك من هيئة الأمم جاز لإسرائيل أن تكون دولة ، بل وعن هيئة الأمم ومجلس الأمم أصبح إستعمار إسرائيل كجزء من إستعمار جديد للآخرين أمرا مشروعا بصك من هيئة الأمم حتى رفضها بدور جوازه أو تجاوزه بهذا الصك قرار من مجلس الأمن ..

***

إن هيئة الأمم هدية المنتصرين للإنسان فى أيام السلام فرحت به ، ولثقتها فى الولايات المتحدة كدولة تحارب الاستعمار والعدوان جعلت من نيويورك مقرا لصنع السلام فى هيئة الأمم .

لأن الإنسان كان يطمع أن تكون الحرية فى الكونجرس لكل رأي وكلمة حرية على الواسع فى هيئة الأمم . ولكنه فجع الآن فإن الحرية فى الكونجرس بلغت ذروة التفوق بينما هى فى هيئة الأمم لا شئ .. لا شئ .. لا شئ ..

كأنما دول العالم أصبحت ولايات متحدة عاصمتها نيويورك لا واشنطن .. ورئيسها آرثر جولد برج .. لا يوثانت ! السبب خوف الرجال .. لا تسلط الرجال .

● صور راكدة فى حلبة طولها أشبار .. لما تدرك نهايتها تتحرك فى بدايتها ، لكنها تعتذر لنفسها بأنها حسنة .. ففى الحركة بركة ولو فى حلبة طولها أشبار !.

●● العاجزون ، والفارغون هم أكثر الناس مذمة للآخرين من عجزهم ومن فراغهم لا يعجبهم العجب ولا الصيام فى رجب . إذا ما رأوا إنسانا ذاق الكلمة ، أو احترم الجهد ، أو أعجبته المساعى ، فأخذ يثنى على حرف كتب وكاتبه .. جهد بذل وباذله .. مسعى تفوق

وكاسبه .. إذا ما رأوا ذلك وأعجزهم فراغهم أن يفعلوا مثله عابوا .. تنقصوا .. غضبوا .. عرقلوا .. الى آخر ما يسوغه العجز من الكفاءة بهذه القوة الخفية !.

من الملاحظ أن للعاجزين قوة مدمرة إذا ما كادوا بهذه الخفايا !!

* * *

* صور .. فيها ومضات بارقة ، وسكنة صارخة .. فيها من قتام السحاب قتام فى النفس ، وفيها من بسمة الغيث إشراقة فى الوجدان .. لولا هذا التزواج لأصبحت كثير من النفوس عوانس !!

* صديقى الأمين ذهب يوصل أطفاله الى المدرسة ، فوقف ينتظر انفساح الخط من قطار طويل .. ولابد أن يحترم القطار الطويل السائقون لأن الطريق القاهر أقوى جندى مرور ، ووقفت بجانبه سيارة جيب فيها خواجات ، وصديقى هذا يعرف اللغة الانجليزية ولعله يعرف لغة أخرى !.. سمع الخواجات يقولون ـ أعنى إمرأة منهن تقول لرجل منهم :

ـ دعنا نترك السيارة هنا ، ونسبح فى هذه البحيرات !.. وسأله ابنه : لماذا كشرت يا بابا ؟!..

ـ قال : هؤلاء الخواجات فرحوا بالمطر أكثر منا .. ما أحب أن يقول الكلمة الجارحة لابنه ، أما هو ، وإن كتم عن ابنه ، فقد افترسه البوح ليقولها لى وأخشى أن يفترسنى قتام النفس فأرسلها فى هذا البوح !!

* * *

● من كلم ابن بسام فى الذخيرة .. قال :

« وأخبرنى الخبير الحافظ ابو بكر ابن الفقيه ابى محمد بن العربى عن الفقيه أبى عبد الله الحميدى : كان لشيخنا الفقيه أبى محمد بن حزم فى الشعر والأدب نفس واسع ، وباع طويل ، وما رأيت أسرع بديهة منه ، وشعره كثير قد جمعته على حروف المعجم ، ومنهم ما كتب عنه :

هل الدهـر إلا ما رأينـا وأدركنا ... فجائعـه تبقـى ولذاتـه تفنى
إذا أمكنـت فيه مسرة ساعة ... تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا

الى تبعـات فى المعـادى ومواقف　　نود لديه أننـا لم نكن كنا
حصلنـا على هم دائـم وحسرة　　وفـات الـذى كنـا نلـذ به عنا
حنـين لما ولى وشغـل بمـا أتى　　وغـم لما يرجـى فعيشـك لا يهنا
كأن الـذى كنـا نسر بكونه　　إذا حققتـه النفس لفـظ بلا معنى !

● صور فيها تسلية لكاتبها ، وقد تكون فيها سلوة لقارئها ، وقد لا تكون من هذه ولا تلك ، وإنما هى شئ قد يقرأه الشجى والخلى !!

* قال أبو الشيعى :

وقائلـة وقـد نظـرت لدمع　　على الخـدين منحـدر سكوب
أتـكذب فى البـكاء وأنـت خلق　　قديمـا قد جسرت على الذنوب
قميصـك والدمـوع تجـول فيه　　وقلبـك ليس بالقلـب الكئيب
نظـير قميص يوسف حـين جاءوا　　على لباتـه بدم كذوب
فقلـت لهـا فداك أبـى وأمى　　رجمـت بحسـن ظنـك فى العيوب
أمـا واللـه لو فتشـت قلبى　　لسرك بالعـويل وبالنحيب
دمـوع العاشقـين إذا تلاقت　　بظهـر الغيب ألسنـة القلوب

● يظهر ـ والحق يقال ـ أن بلدية جدة حريصة على مراقبة الرغيف فى الوزن على الأقل ، فما يخبزه الفران للغذاء ، أو للعشاء الميزان فيه كامل .. أما ما يخبزه للفطور فالميزان ناقص أكثر من ثلاثين فى المائة يعنى الرغيف وزن ثلاثمائة جرام وزناه فوجدناه مائتى جرام ..

فالواضح من ذلك أن الفران يترقب عدم الرقابة فى الصباح فيسرق الرغيف ، شكرا للبلدية على الوفاء فى وجبتين ونرجوها أن تحرص على الوجبة الثالثة .

● صور كاسية عارية .. يغطيها الجليد ، ويكشفها غور إذا ما استترت بثوبها الكاذب فضحها تفاعل الجليد مع نفسه .. من كثرة ما تثلج احتر .. قد لا يذوب مادة فالحرارة لا تكفى لذوبه ، ولكن المعانى تتعرى على طريقة .. تخفى على الناس تعلم !!

● حتى الحديد جبان .. يهاب الهيبة .. يخافها !

حينما افتتح طريق الهدا تخوننا السيارة فى طلوعه من هيبتها ، من خوفها .. حتى أصبحنا نعدد أنواع السيارات قاهرة الجبل ، وحينما الفت السيارات الجبل هان عليها .. أصبحت لا تخافه .. سقطت هيبته .. كل السيارات حتى تعطلت المقاهى ..

عجيب ؟.. الحديد هو الجبان .. أم نحن السائقون والراكبون ؟..

ليس الحديد ، وليس هم السائقون ، وإنما كراكب كنت أفرض الخوف على السائق وعلى الحديد .

* * *

● سألنى أحدهم : من هو أذكى سياسى بعد حرب ٥ يونيو ؟..

- قلت : هو المستر براون وزير خارجية بريطانيا السابق .. كان فى وزارة الظل .. يرسم الخطة ليعمل فى وزارة الفعل .. فاكتسب بعض الصداقات ، وأعاد لبريطانيا تحسين العلاقات مع العرب .. كأنما هم نسوا كل ما مضى .. حتى إذا ما استنفد أغراضه وخاف أن يلتزم باسم الصداقات ما يتعارض مع مصالح دولته استقال لسبب آخر فى أزمة الاسترلينى !..

لا أحسب السبب هو ما أعلنه فى الاستقالة ، وإنما هى البراعة فى دهاقين السياسة .. يحسنون أوقات التخلى لأنهم أدوا مهمتهم ، ولا يحبون أن يورطوا أمتهم .. أفلو كان مستر براون لايزال وزير الخارجية فإنه سيلزم مندوبه فى مجلس الأمن أن يكون له موقف غير موقفه فيما قبل التصويت !!.. هو فى نظرى أذكى الساسة ، كسب لأمته دون أن يبذل شيئا !..

* * *

● أعجبنى مبنى الجوازات والجنسية .. انتقلت الى مكان أنيق ومريح ..

غير أنى ألفت النظر - كرجاء - لعمل أكشاك مظلة لكتاب « العرضحالات » أو باعة الطوابع . ومظلة للمراجعين . وشيء من الماء البارد .. فإنه بهذا يكمل جمال الجميل .. ارتاح له بعض الناس ، والرجاء أن يرتاح كل الناس !!

● صور نائمة تصحو بعين .. ولا يغفو لها فؤاد .. الصحوة لها رعاية لأمل .. الأمل هو .. سنة الوصول ، سنة الزمن . ولا يغفو الفؤاد لأنه ليس الواحد بل هو الاثنان فى الواحد .. يشغلهما ما يصحو لهما .. ما يصبح بهما .. ما يتضح عنهما .. ما يختفى فيهما !!

** هذه واقعة مضى عليها زمان .. كانت حياتها حريقا فى مشاعرى حتى إذا احترقت مازالت مشاعرى تحترق ، لكنها كطائر السمندر يدخل النار ولا يحترق .. طائر السمندر تعشقه النار تريد أن تثبت قوتها عليه ، لكن الهبة فيه أنه أقوى منها فلا يحترق بها ، وإنما هى تشتعل من الغيظ كأنما هو بالمناعة فيه يدخلها .. السمندر ليس كالفراشة .. الفراشة عكسه .. تعشق النار والنور وتحترق .. فى السمندر قوة الحياة .. فى الفراشة عظمة الحب !

** ـ قالت : كيف تحبنى ؟!

ـ قلت : حينما يكسو وجنتيك شئ من صفرة الحزن .. تصبحين فيه بلون الياسمين ، أحب الألوان إليَّ هذا البياض المطعم بالصفرة الرقيقة ، الحزن يكسو الجمال جمالا !

وابتسمت ، فغطت وجنتيها بلون الورد .. هنا قلت لها : حينما كنت « فلية » كنت أروع من الوردية !!

ومضى زمن ، وإذا بى أقرأ لنزار كأنما أنا عبرت عنه قبل عشرة أعوام ليذهب ما قلت .. ليجئ نزار فى تعبير أشرق يبقى ما يقوله فى ديوان الشعر فى هذه اللغة الشاعرة !.. زرتها أسمعها ما قال نزار .. وأسمع أنا عنها ما قال نزار :

إنـى أحبـك عندمـا تبكينا ... وأحـب وجهـك غائما وحزينا
الحـزن يصهرنـا معـا ويذيبنا ... من حيث لا أدرى ولا تدرينا
تلك الدمـوع الهـاميات أحبها ... وأحـب خلف سقوطهـا تشرينا
بعض النسـاء وجوههـن جميلة ... وتصـير أجمـل عندمـا يبكينا !

* تافه .. ذلك الذى اكتمل غناه من كمال فقره .. قد أبشمته المادة وأجاعته المعانى ، فهو يتسقط زلات الرجال كما يتصور حتى تتكشف تفاهتهم فاذا هذه الزلات كما فى الرجال لأنهم يستحيون من الزلة ، أما هو فبالتفاهة يتوقح ولو تجسدت أخطاؤه .. المريض فى أخلاقه لا يسأل عن الصحة لأخلاقه !!

** قالت : والى متى أنت تحبنى ؟!

ـ قال : أو عن الزمن تسألين ؟.. سوف أحبك الى حين البداية التى تفكرين فيها بكراهية نفسك . فترسلين سؤالا كهذا عن الزمن تجعلينه تحديدا ماديا لمعانى الحب عند هذا التحديد . وبهذا السؤال ينتهى الحب !

ـ قالت : وهل هذا جواب ؟!

ـ قال : هو على مقاس السؤال .. إن السؤال عن الزمن فى الحب يعنى التفكير فى النهاية والطرد للبداية . والقتل لهذه اللحظة التى كانت اذا واتت ، فانسلخت من ذاتين فى ذات واحدة حين انشطرت الى ذاتين اثنتين .. كل منهما تمايز بكيان جديد لحظة التفكير فى النهاية . وقديما كانت لحظة المفاجأة فى البداية فى هذه اللحظة انعدم الحاضر . فقد حلقت النهاية على البداية .. امتد الماضى ببدايته الى هذه النهاية فتلاشى الحاضر الى هذا المستقبل .. لا أعده حاضرا لأنى لا أريد أن أعيش المنزلة بين المنزلتين !

ـ قالت : ما قصدت !؟

ـ قال : وما أردت أنت ؟ ولكنك قدرت أن تقوليها . توزعت بين القصد والارادة والقدرة ، أما أنا فلا أريد أن أتوزع ، قد جعلت القصد والارادة والقدرة لحظة أن أكون أنا وحدى ، وأنت وحدك !

ـ قالت : هل ضاعت الثقة الى هذا الحد ؟!

ـ قال : الشك أو الخطوات فى ترسيخ الحب . والثقة دليل استمراريته ثم هى بوادر نهايته !!

* * *

● قال : ليس هناك برد ! ـ قلت : أرجو أن أذهب يوما ما بولدك . ولما يبلغ الأربعين يوما فأضعه فى حرارة الشمس !

ـ قال بغضب وحنان عفوى : لا .. لا .. أخاف يسيح دماغه !

هكذا الابوة حتى فى الأطفال !!

* * *

● صور مرهفة تحتضن رقة البداوة ، ولا ترفض نظرية الحضارة .. البداوة فيها لها أنها لا تبدو عارية .. تنزع سترها قطعة قطعة .. كل جمالها أنها تعرف جمالها .. كل كمالها أنها لا تكون جميلة إلا مبرقعة بستر من حياء لا ينكشف إلا لصاحبه . ونظرية الحضارة تأخذها خضابا . وحلية تتزين بها حتى إذا كشفت الستر فاح شذاها .. تشمه العين والأذن قبل حاسة الشم .. ذلك من كبرياء الشم فى رجلها الأشم حبس أنفه ومادرى أن الأذن والعين طليقتان ذاقتا العطر فوحا له غنة .. له تلون فى عين تتبصر !

* * *

● الذكر يشرب جمال أنثاه بالعين . ثم يذوقه بالشفتين لأنها لا تريد إلا أن تعرف ما ستعطى . فهى لا تستطيع أن تمنع عينا ناظرة ، ولكنها لا تمنح الشفتين إلا لمن تحب !!

والأنثى تذوق رجلها بالعين ، وتشربه بالشفتين لأنها تود أن تعرف ثبات خطوها من ثقتها بنفسها .. من توثقها بمن تريده رجلا لها !!

* * *

** رأيته فى جمع من الناس .. شغلوه بنفسه بينما غيره قد شغلوه عن نفسه !!

كان هو غائبا فى تيه ما يشتهى .. أما الآخر فحاضر فى صحوة عما ينفع الناس .

والتفت ينظر الى هذا الآخر .. لا أحسبه إلا قد رأى عيني أفعوان تتلصص كأنما هي عين خزرى تهود . أو عين مغولى يقتات من البلطة التى سال عليها دم الكتاب فى بغداد ، هو كغيره من الذين خلقوا أفاعى يتسربون فى حياتك ليسرقوا لحياتهم أخبار الحياة فيك أو الحياة منك !

ونظرت الى بعيد فرأيت ذلك الانسان المشغول عن الناس لا بنفسه . وإنما هو يفكر فى نهاية الذين وصلوا الى قبر .. تلفت بعينيه فاذا هى عين إنسان راحل كان جمالها فى لؤلؤة تلمع دمعا ذكرت الموت وسبحت تسترجع .. حتى العيون بعضها عين أفعى ، وبعضها عين مها ، وبعضها عين إنسان !!

***

● صور لازالت باقية فى زجاجات المصور .. من الرهبة أن نخرجها ، ومن لا رغبة أن نبقيها .. لا نريد المصور أن يراها مرة ثانية . ولا نريد ألا نراها فى كل لحظة !!

مازالت سوداء يختفى بياضها لا يتضح إلا بالغسيل .. غسيل أن يكون بأى مادة منظفة فصاحبها نظيف شكلا وموضوعا ولكن الزجاجات تنظفها الأحماض المنظفة .. حتى السموم قد تكون ترياقا !!

حين قال الرفاعى ذلك كانت الصور فى زجاج .. أما اليوم فهى على شريط اسمه (فيلم) .. أليست الحياة فيلما ؟!.

***

● رأيناه يمشى الهوينا فتخطفته أنظارنا بحجلة تسرع .. تستكنه خطواته .. جمدت كل الصور التى تأخذ من العين بعض بصيرتها لترتوى العين بكل باصرتها !..

ـ وسأل واحد : أيمشى الهوينا بهذه السرعة ؟!

ـ قلت : هى سرعة نفوسنا التى تلاحقه .. أما هو فثابت الخطو .. واثق الخطوة !.. إن واثق الخطوة يمشى ملكا لا نراه يلتفت الى من وراءه . ولا الى أى جهة أخرى لأنه يعرف أن الناظرين اليه إما محب . أو محترم . أو معجب أو مبغض .. كل مكافأته لهؤلاء ابتسامة .. تحية للمحبين . ومن اليهم . ومكايدة للمبغضين . وما اليهم !..

الرجل واثق الخطوة هو كذلك لا يلتفت الى وراء . ولا الى أى جانب . وإنما الى أمام .. لترى فى عيون الناظرين اليها من أمام كل الحاجات للناظرين اليها من جميع الجهات ..

أما الفزع فى الخطوة - إن كان رجلا - فيلتفت لينزع نفسه أكثر مما يرى . وإن كان أنثى . فإنها لا تلتفت لئلا تفزع بما ترى !!

* * *

** فى (فيلم) عرض أمس فكرة دسمة .. هم خمسة هربوا من الحرب . فهلكوا فى تيه .. بعضهم عضته الحمى . وبعضهم مات بالسكتة لأنه فقد الذهب . والآخر هلك بالجنون . وأشجعهم هلك حيا وهو تبتلعه الرمال المتحركة .. يذوب فيها متجمدا .. كانت نفسه تذوب وجسمه يتصلب .. أما الخامس فمات بالحرمان والجنون !..

هكذا الذين يفرون من الحرب الواجبة يهلكون بما هو أسوأ من الحرب !!.

* * *

● والله زمان عن الصور .. نحن فى حاجة الى جرعة منها ، فالشفاء فى لعقة من عسل ، أو كية بنار .. آخر الدواء الكي !

* * *

* قال لى : إذا رفضت « تحتانيتك » فقدتها .. لا ينفعك ظلال « فوقانى » حينما لا يكون لك « تحت » .. الـ « تحت » قوة صلابة تحت القدمين ، والـ « فوق » ظلة .. وقاية !

* قلت له : لن أفقد « تحتانيتى » .. اذا ما كانت هى الأرض .. إلا إذا فقدت نفسى ، فعند ذلك تكون الأرض هى « تحتانيتى وفوقانيتى » .. بضعة أشبار تحفر فيها حفرة .. تقبرنى فيها . فإما طاقة من جهنم وإما طاقة من جنة .. عند ذلك فى القبر .. كثيرا ما تنفع « الفوقانية » وكثيرا ما تضر « التحتانية » !

* قال لى : هل كل العرب عندك أبناء عم ؟!..

– قلت له : كيف تسأل وأنت عربى بلسان « طمطمانى » ؟! كأنما أنت النبطى من أهل السواد .. يعلم أنساب أهل الفلا (!) .. العرب أبناء عم .. صل على من علمنا : سيدنا محمد بن عبد الله .. ألم تسمع قوله وهو يقلب صدقات اليمامة .. أرسلها اليه « هوزة ابن على » .. قلبها فى يديه الكريمتين عليه الصلاة والسلام . وقال هذه صدقات ابن عمى !.. لم يمنع البعد عن النسب .. يعلو بها الى مضر أن يقولها سيد العرب والعجم .. أو لم تسمع قول جرير يهدد الأخطل :

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة ... لو شئت ساقكموا إلىَّ قطينا

فيسمعها عبد الملك ، فلا ينكرها دعوة ، ويعتز بها نخوة .. كل اعتراضه على الأسلوب !..

وفى حنين ألم تسمع قول الشافعين فى الأسرى يخاطبون رسول الله : إن فى الأسرى عماتك وخالاتك .. أى عمات وخالات هن ؟ .. ذلك لأنه المرضع باللبن الظئر حليمة فأصبح كل أمهاتنا فى هوازن عمات وخالات ..

فشفعهم رسول الله وأطلق أسراهم تكريما للعمات والخالات .. من هذا قلنا : إن العرب أبناء عم .. أبناء دم .. فكن عربى الفؤاد .. لتفهم والا فلأدعك لهذه « الطمطمانية » .. نبطيا من أهل السواد .. يعلم أنساب أهل الفلا !!

* * *

● صور .. هى .. الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها !!

– يقولون : النصح بين الملأ تأنيب ، والنصح فى الخلوة تأديب .. لكن ماذا تصنع حينما تفوتك الخلوة ؟

إنك ترسلها رمزا .. كلمات ظاهرة على الملأ .. باطنة فى الخلوة ..

* * *

● إنك تملك الأصدقاء المخلصين ، والعون القوى ، والوفرة فى العدة ، والكفاءة المقدرة ، فاذا لم تبرز لكل هذه الحياة فيك والاحياء معك فإنك صاحب المتنبى الذى يقول فيه :

ولـــم أر فى عيوب النـــاس عيبا كنقص القـــادرين على التمام

***

● الامعات مريحون يدغدغون نازعك ، ولكنهم يعطلون ويبعثرون وازعك .. هم يقولون : معك ، معك .. فى كل ما تقول وتشتهى ، ليحصلوا منك على الواحدة : أنا معكم .. الواحدة منك هذه يفعلون بها الافاعيل .. واذا أزمة أزمت وحكم الفعل أن يكونوا معك ، وجدتهم يولون الأدبار .. وإن لم يتهربوا ، فإنهم ومن عجزهم لن يكونوا فى قوة الأنصار ..

***

● حينما تصبح الثقة حظوة كان الأمر يســاوى لا مسـؤولية ، لا خوف ، بمعنـى فى النتيجة :ـ لا ضمان لنجاح ، ولا بقاء لناجح ..

الثقة أمل فى ناجح ، والحظوة افساد لنجاحه .. فما رأيت عاملا تبطر بالحظوة إلا وجلب الشقوة بعمله على الآخرين ..

***

● سمعت الشاعر العراقى حافظ جميل يقول :

إنه شديد الاعجاب بالأحمدين الاثنين .. أحمد بن الحسين المتنبى وأحمـد أبـى على شوقى .

وكأنه يمشى مع زمخشرى هذا الزمان اسعاف النشاشيبى يرحمه الله فى ركاب واحد .

ـ قال : أنا لا أفضل شوقى على المتنبى ، ولا أفضل المتنبى على شوقى .. فهما فرسا رهان ، يسيران فى حلبة واحدة !!

***

● اسعاف قالها أمام الفحول فى يوم الفحولة .. فى مهرجان شوقى !

ـ قال : الشعراء الثلاثة الأحمدون ..

أحمد المتنبى .. أحمد المعرى .. أحمد شوقى .

تلك عروبة السهمى من ولد عمرو بن العاص .. لا شعوبية

لا شعوبية من عربى .

لقد بلغ العراقى مبلغه فى هذا الاطراء .. حكما لا مبالغة فيه .. كل الفجأة فى صيغة الموازنة .. جاء بالأخير قبل الأول ..

***

● صور ترتاح ولا تريح .. تبوح ولا تزيح .. فهى كالحب راحته فى التعب منه . وتعبه المضنى لن يأتى إلا من الراحة فيه ..

فالراحة منه .. كتمة نفس بالقهر ، وخمدة وجدان بالجبر !! والراحة به نومة حينا من الدهر ..

أما الراحة له فهى الألم المعلم .. باللذة تحلو وتعلو .. كأنما الذوق سرمدي الحضور .. لأنه الذوق صانع الحضارة فى السلوك والنفس فهو نعمة الحب ..

فأى عمل جميل لن يتم له كمال ، ولن يبهر بجلال إلا إذا أحبه صاحبه حبا فى فكره وأمله قبل عمله ..

وهكذا كل الفنون والزخارف والمبهجات ، فما هى إلا من صناعة حبنا له ، ليكون بقاؤها من حبنا لها أيضا ..

فالحب صانعها . والحب زينتها ، وبالحب صونها وبقاؤها ، لتكون هى بعد من تذوقها لها صانعة التحضر لنا .. فهى المصنوعة الصانعة .

● الحب احتكار متفق عليه بين اثنين .. بين إنسان وإنسانة بين شئ مفتن وبين إنسان فتان .. بين لوحة فاتنة ، وفنان مفتون . فكل من الاثنين .. الزوجين ، قد رضى احتكار الآخر له !!

أما أن يكون الاحتكار مفروضا من جانب واحد .. من ذكر على أنثاه .. من تحفة على فنانها ، من فاتنة على مفتون بها ، أو بالعكس .. فإن هذه عبودية ترفضها سيادة الحب .. تجفوها عبقرية التضحية .. إن الحبيب يرفض مذلة أى سلطان يطغى عليه .. ويخضع لسلطان قاهر ، وهو يفرضه على نفسه باسم حبه لها .. حبها له .. ولقد عرفها المأمون يرحمه الله ، حينما قال :

فإمــا بذل وهــو أليق بالهوى   وإمــا بعــز وهــو اليق بالملك

***

● ما قتلها فى نفسه ؟ أى حاجز يمنعها ، أو أى بعد حرمها منه ، أو حرمته منها ؟ .. فبدت حية فى وجدانه وآلامه وآماله وأحلامه !! لكن الكلمة المفروضــة جانبيا .. قتلــت موتَ الحواجز ، وأسقمت بالقرب تلك الحياة التى كانت على البعد .. فاذا الحواجز تنصب قائمة تقف فى كل طريق سلك لتقول له : من أنت .. الى أين ؟؟ فقال : الى حيث الرضا بك منك .. أرسلت كلمة جانبية ، فلم أسمع صوتا لرد الفعل يأتى من وراء الحواجز ..

وأقفل فمه على السماعة .. وقال : إنى أرفض طغيان البشر على وجدان الإنسان ..

* صور من الأعماق .. كدموع طافية على السطح .. كبوح تعرف فيه إنسانها .. لا يعجزه أن يقذف بالحيرة الى بعيد ، ويعجزه أن يرى حائرا من قريب أو بعيد !..

تلك هى مشكلته لا تأكل الكآبة من نفسه غذاءها لأنه قاتل للكآبة يلبسها رداءها ، ثم يطلقها الى أبعد ، فعنده من ذخائره ، ومدخره ما يسع الحمل الثقيل .. يتخلف منه أن كان من أحمال نفسه ، ولا ينوء تحته إذا كان حملا على كاهل غيره .. يأخذه ليحمله هو .. هو إنسان ما أضعفه أمام الدموع . وما أشد قسوته على الدموع .. تلك دموع الآخرين . أما هذه فدمعته هو !

● لو عرف صاحبنا السخيف أنه بادعاء الثقافة يضاعف ثقل الدم فيه لسكت لا يتكلم ! لكنها الدنيا جعلته فى مكانة لن يتمكن منهـا .. قد يملك الامـكان لكن السـكان

يستثقلونه . لو عرف أنه جاهل . أو أنه ثقيل لما تحرك . حينئذ يتحرك الناس نحوه بعاطفة ، ولكنه في كل لحظة . وبادعاء المعرفة يتجاهله الناس .. كأنما يسمعون صوته مطارق من حديد تدق على أعصابهم .. يتلهون عن سماعه بينما هو المسكين .. يتكلم كالمدشة ، ويتناثر كالرذاذ ، فلا يجد من يجمع الدشيش ، ولن يجد تربة تنبت برذاذه نبتة خضراء !

عيب الناس أن يتحملوا سماعه .. أما عيبه فهو جهالته بما ينبغي أن يسمعه الناس !

* لئن تسرق جيبي ، أو تسرق جيوب الناس ، فإني وهم قد يتغافلون عنك .. على طريقة (اللي في الريش بقشيش) !.. لكن تماديك في ممارسة السرقة هواية قبل ، واحترافا بعد ، قد أبعدك عن امتلاء اليد ، فأتيت تسرق الدار ... الناس . وقيمهم . لقد وصلت المسألة الى العظم . ومست الخشوم ، فهم الآن لا يدافعون عن أقدارهم فقد صانوها . وإنما هم يندفعون لا لسرقة أقدارك ، وإنما لاهدارها .. لا يبغونها لأنفسهم وإنما يرفضونها لك لئلا يتجدد البغي منك عليهم . و.. « بس » !! ولعل في غير مقدورك أن تسرق الدار ... الناس لأن سرقة الوصايا وحرقها في الوجاقات هي سرقة مادية وليست معنوية !!

● صور لا تعني العجز عن التعبير ، وإنما هي تعني القدرة على العبرة !

* * *

* قالوا إن منظمة فتح – الفدائية أم الفدائيين – لها ميثاق ينص على أن يخلع المتطوعون فيها كل رداء لبسوه في مناطقهم ليلبسوا رداء الفدائية ، ولا غيره ، فلا يسار ، ولا يمين ، ولا .. ولا .. إنما هي الفدائية والفداء .. الموت أو الحياة .. هي عملية انقاذ لا لفلسطين وحدها ، وإنما لأمة العرب ، وشرف العرب ، وكرامة العرب ..

هي كأي صاحب نجدة .. حملته النخوة أن يشترك في اطفاء حريق .. لا يسأل عن الساكنين ، ولا عن المساعدين ، ولا الناجين ، أو المحترقين .. النار ، أو الموت .. العار ، أو الحياة بلا عار !!

إن هذا الميثاق اخضعت به « فتح » المنتظمين فيه .. شئ لازم وجميل .. فيه كل السلامة ، وفيه النصر .. أفليس الأجمل منه أن يكون هذا ميثاق الأمة العربية ، وقد حشدت إسرائيل العسكر المجرم على الأردن .. ميدان المعركة الفاصلة لنا إن انتصرنا ، وعلينا إن انهزمنا !..

ميثاق نطرح به جانبا هذه المذاهب ، والمتمذهب لنكون كلنا صف انقاذ فى حرب مقدسة اسمها : الجهاد !.. المعركة فيها بانقاذ الأرض والعرض والمصير .. فلا يعقل أن نواجه أى حرب مع إسرائيل ، ونحن على خلاف بين يسار يفتح بابه لواغل جديد ، وبين يمين تشغله المشاغل فى كل يوم جديد .

* * *

* الفجيعة فى اليسار أنه ضعيف التعلق بالوطنية ، وقد يفرض عليه الغاء القومية ، والقوة فى اليمين أنه تعصب للوطنية والتقاليد ، ومن هنا فهو يتحمل المسؤولية على صورة أكبر !!.

● صورها رائحة العالمية ـ فزهرة الحناء هذه الأيام ترسل شذاها . فاذا ما دخلت جنتك ولو حوضا فيه شجيراتها لفاحت فى معطفك نسمة تسكب العبير ، فهى بنت الليل ، ونوارة الوميض الناعس اليقظ ..

* * *

● .. وتكلموا عن الجميلة كيف تطلب حياتها لحياتها .. تنفر من الوحدة ، تريد شريكها ذكرا هى سكنه ، وهو ماسكها بالصون أن يذوب جمالها فى حسرة . أو أن تذوب نفسها عارضة بدائعها وابداعها ..

ـ قلت : هبك قد خرجت من بيتك دون أن تنظف هندامك . أما كنت تحصر نفسك فى طريق لا يراك فيه عارف ؟

ـ وهبك ركبت سيارتك القديمة « المهكعة » أما كنت تبعد بها عن نظرات رفاقك واندادك ؟

هذا صنيع القبح أو النقص أو المزرى !

وإذا ما لبست الفاخر النظيف ، وركبت السيارة الفارهة « الأبهة » فإنك تعرض نفسك لناظر ، وتباهى الرفاق والأنداد .

هذا صنع الجمال !

إن الجمال حياة ، يريد الحياة ، يستعرض كل محاسنه وابداعه وبداعته فخارا وتيها ومطلبا .

الجمال كم كبير « كبير » وكيف أكبر .. من عجب ألا يطغى كمه على كيفه أبدا ، فإن الكيف فيه ليطغى ويطغى حتى ليصبح هو كما بذاته لا يكال ولا يوزن .. وإنما هو يذاق ويحس ويبهج ويرزأ ويريح ويسعد ويقتل وحتى يصنع فى وجدان عاشق كيفا جديدا لما يحمله العاشق لهذا الجمال . سواء فى إنسانة . فى سنديانة . فى زهرة . فى كل ما هو حي يتحرك بذاته . أو هو الحي يتحرك بذاتك لذاته . حينما تتعدد المطالب ، وتصبح اقتراحات تقول لهم لكى تلزم بنفاذ اقتراحك كمطلب لله أو للجماعة ، ينبغى أن تهيئ المناخ المبيح والمتيح أن تطلب منه حتى يصنع لك ما تريد .

أما أن تقترح وتطلب وأنت غير ناظر إلى المعوقات فإنك تضيع ما عرفت . فإما أنك تتخلص منه ، أو تتخلص به ، أو تتملص منه .

فقد قالوا : أطبخى يا جارية ، قالت : كلِّف يا سيدى !!

وأفصح منه قولهم :

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار !

● والصور لها حالات كحالات قارئها .. مثلها مثل الحي .. لا حياة لها حرفا فى قرطاس ، وإنما حياتها كلمات يستوعبها الرأس .. فحينا تغضب قارئها .. فاهمها .. كأنما هى موجهة إليه ، وهى قد لا تفصله ، ولا تقصده ، وإنما هو لبسها فقصد مشاعره كصحوة من يقظة ضمير ، أو كغفوة من غاشية البطر !

وهى قد ترضى قارئها الشجى .. هاضمها الحفى .. يرسلها بعد لسامع منه ، أو قارئ بعده .. كأنما هى تعبير صادر عنه أحس بها فى نفسه قبل أن يقرأ حتى إذا قرأها قال : هذا

ما أردت !

وهى قد تضحك قارئها الخلي .. لا يحركها ضمير بغضب ، ولا وجدان بألم ، فهو فى المنزلة بين المنزلتين .. إن شافه بها من تغضبه ضحك تشفيا منه ، فأصبح مقتنيها كأداة يلعب بها على الغاضبين وكثيرا ما يلعب الغضب على الرجال ، أو إن قرأها له الشجي ضحك منه لاهيا بشجواه مغيظا لنجواه .. ساخرا يتطنز« ويل للشجى من الخلى » !.. فهو بها المقتنى لأنه المغنى !!

أما كاتبها فهو الغاضب بها لا منها ، ولا الشجي لها ، والضاحك من الحافلين بها ، أو الغافلين عنها ، ولكنه لن يكون لاهيا بنفسه فهو من جده لا يعطى الصورة من هزله الساخر ، وإنما هو قد أعطى التمرة والجمرة لمن يستأهلون ،

.. وهذا البلد .. جزيرتنا .. أرض أم دحيت من تحت بقعة فيها « الأرضون » وبعثت من غار على قمة فيها هداية الخلق ، وانبعثت منها لغة شاعرة ، وانتشر فيها ومنها علم وفير .. فيها أمومة الاعراق ، ولبان العقيدة .. فيها المأزر والمعقل ، ولكل أم ابناؤها ، ولكل أم طبيعتها من حنان ورفق ، وامتداد ومدد ، وتحمل وعطاء ، وتضحية وإيثار ، وحزن وحسرة ، وفرحة ونداء وتلبية ورضا .. كل هذا فعلته أرضنا بالآباء البررة .. أعطته ، ما بخلت بشئ من المعانى ، ولا ضنت بالشئ من المادة .. حتى المدد بالزحف بعد الفتح اعطته ليرسخ الأساس ليكثر السواد لتنتشر اللغة .. أعطته وهى فى ضيق وضنك واهمال .. طبيعة الأم .. ضريبة الأمومة !

وللأبناء طبيعتهم كذلك .. فيهم الرضى ، وفيهم من يقول : اف اف !.. وفيهم من قال الأكثر والأنكى ، ومنهم من فعل الأشق والأشد ، وفى الحيوان طبائع تختلف .. حيوان ، أم تأكل بنيها ، فيالك هرة أكلت بنيها .. فهل كانت أرضنا الأم أكلة الأبناء ؟! لا .. لا .. وألف لا .. ويدفع التاريخ من يقول : نعم !! وفى الحيوان أم يأكلها بنوها .. فهل أرضنا .. أمنا أكلها بنوها ؟!.. أقول نعم ، والتاريخ يدفع من قال لا .. لا أسميه بغيا ولا عقوقا ولا تنافسا ولا حسدا ، وإنما هو تفوق هذه الأم ولو كانت فى ضيق وضنك .. لقد تفوق فيها بيت الشعر حينا احتمل ما لا يحتمل ، فأنمى من حيث نما فاذا بالبقية الباقية تحرص على

الأمومة ، وإن بقى الأبناء أكلت الأمهات !

هى أم لا تأكل بنيها ، وارجو أن يفطن بنوها ألا يأكلوا أنفسهم .. فإنهم بأكلهم لأنفسهم يأكلونها !!

● صور تحمل نفسها على برهان وتطوى نفسها لا على أضغان .. وإنما هى تذكير إنسان لإنسان ..

* تذكرته وهو يحدثنى عن رواق الأزهر أيام زمان ، كان الشيوخ فيه ، هم الشيوخ فى الأدب والسياسة ، والفكر ، والفقه ، والفتوى والملح ..

وجلس شيخ الرواق يحدث ، فأعجب حديثه طالبا من التكرور ، يسمونهم « التكارنة » وأضحت لهم أسماء عدة الآن ..

وأراد الاعراب عن الاعجاب ، فقال : يا ألم ، يا ألم .. يعنى يا علم ، يا علم ..

وسمع أحد المتطرفين كلام الشيخ يتحدث عن الرواق ، لا عن الرواقيين من الفلاسفة فقال : ما هم قالوا : يا قارئ الألم بين الجاهلين كتر كمود الشمع فى تيعان عميان .

وغضب الشيخ ، فقال : كتر وكتر أيه .. الطالب متعلم ، بس لسانه هكذا فالمثل الذى أوردت لا ينطبق عليه ..

* * *

● حسن .. حسن .. وأكثر من جميل !!

تريد أن تضحك من الناس بنكتة ، تلبسها واحدا من عباد الله ؟؟

هم على أى حال !! قد أضحكوا .. وضحكوا .. أما أنت فضحكت كثيرا تعبت بهم .. ولو علموا بواطنك ـ بدأت تطفو على السطح من عملية النضج ـ لبكوا وأبكوا ليبصروا المخدوعين بشئ فيك .. ظاهره فيه الرحمة ..

لكنه عذابك يدوم .. أما عذابهم فمضى وذهب .. بل إنهم يستعذبون تمام المعرفة التى كانوا يجهلون !!

* سمعتها « الجرداقية » .. ربى من أين للزمان صباه ؟؟.. وتذكرت صورة الجلوة على منصة عروسين .. وتذكرت الحلوة وهى تمازح جمالها وجماله .. وتناغى صباها وشبابه .. كما

تذكرت الحلو وهو يندى حياء من صباه وشبابه .. غالية .. وغال ..

وأرسلت الـ « آه » وأشرقت لمعة من دمعة ، سألت فيها نفسى .. ونفسك تلك التى هى . هى . هل يصبح هذا الصبى عجوزا بعد سنوات ؟ رباه لا أطيق .. أغلقت أذنى أمنع عينى ألا ترى حين تسمع « أنت الكبيرة » ..

نعم سيكون الصبا عجزا بعد سنوات .. قلت .. لو كثرت .. ما باليد حيلة !!

● « أعرج .. ويرقص فى النخل » !!

صورة كاريكاتيرية باللطف المترف المرن . والمر أيضا !! أحسبنى أرده إلى أنه مثل قاله أحد أهل المدينة .. فهم وحدهم الذين يسمون الحائط ، أو البستان أو الحيش بالنخل : هيا نطلع النخل .. هيا نقيل فى النخل !..

وهو على كل حال مثل عامي .. لو فحصناه بالنطق المبين لوجدناه عربيا فصيحا ، ولو نطقناه باللهجة العامية كما هو البيان المصيب فى استعماله الآن لكان عاميا .. النطق بالفصحى يعطيه الفصاحة لفظا ، والنطق بالعامية يعطيه الفصاحة بيانا .. عن صدق الصورة ، وهذا يثبت فساد الطريقة التى أرادها قاسم أمين ـ يرحمه الله ـ .. فقد كان ينصح الناطقين .. تجنبا للحن أن يسكنوا أواخر الكلمات .. فالفرق بين فصيح هذا المثل ، وعاميه هو التسكين !..

عجيب هذه اللغة الشاعرة .. فهى كما بيانها فى النطق .. فإن تبيينها فى السمع .. حتى الأذن كما اللسان تفصح الكلمات !!

والعامة تضربه للذين لا كفاءة فيهم .. فيتصدرون لعمل لا يحسنونه .. ثم هم لا يحسنون الى الذين حطوهم فيه .. والعامة تقول : حطوه .. يعنى وضعوه . وفى النكتة البيانية هذا المثل : حطوه فانحط (!!) .. تورية فيها ملاحة ، وفيها فصاحة .. رغم أنف الذين لا يستسيغون تسميتنا هذه !

« أعرج .. ويرقص فى النخل » ..

قد عابوا على الأعرج أن يرقص لأنه لا يملك الكفاءة الأولى فى الرقص .. وهى ثبات

القدم ، ولم يعيبوا عليه ان يكون غير ذلك .. فكثير من الأعرجين تحارجت الدنيا من ضرباتهم .. « بس » .. ما كانوا يرقصون .. حتى الشلل ـ وهو عرج مضاعف ـ رقصت به الدنيا أمام الرجل المشلول ، روزفلت ، ولكنه لم يكن راقصا .. أى لا يحترف حرفة لا يجيدها !!

الأعرج الذى يرقص ينطبق عليه الوصف المعطى للصفيق .. يلبس أثواب الشتاء فى الصيف ، وأثواب الصيف فى الشتاء !

لا يستطيع الأعرج أن يدخل فى مباراة الجرى ، ولكنه يستطيع أن يكون ذا فكر . تجرى أمامه كل الأحوال ليكون له حال معها .. تزداد به وضوحا إذا ما كان فكرا خطه قرطاس .. أما أعرجنا هذا الراقص فى النخل لا يريد أن يكون صاحب أكثر من صناعة .. ينطبق عليه المثل : « صاحب صنعتين كذاب ، والثالثة مفلس » ..

لكى لا تعرج بك الحياة ينبغى لك أن تقتصر على ما أنت مؤهل له .. تخصص فيما تجيد .. فكثير من العرج ، وأصحاب العاهات قد نبغوا لأنهم أجادوا فى ناحية ، ولم يتبعثروا فى النواحى الشتى !!

● صور لا خبر فيها ، وإنما هي الخبرة منها .. والتجربة أكبر برهان ، فمن لم يصدق فليصدق مع التجربة حينا ليرى :

ـ قال لي : كيف الحال ؟.. وهو ينطق « كيف » بلهجة كثيرا ما سمعتها « كموديل » أو كثيرا ما سمعت عنها كاختصاص الذين اذاعوها !.. ثم أردف : ماذا بك .. زعلان ؟!

ـ قلت : زعلان ، ولست بالزعلان !

ـ قال : كيف ؟! ـ وهنا نطقها على سجيته لأنها استفهام مجرد ، ليس فيه السؤال عن الحال !..

ـ قلت : لو جزع الانسان لحسابه لقل جزعه .. لأنه هو القليل في مشاكله مهما كثرت ، ولكن المرهفين احساسا ، والمشفقين اجتماعيا يحسون بمشاكل غيرهم فيألمون لها أكثر من ألمهم لأنفسهم .. ذلك طغيان الوجدان ـ كانفعال ـ بل رحمة الوجدان كفعل . المشكلة أن تجد الحل لمشاكلك ، وأن تجد العجز حتى عن الحزن لمشاكل الناس !!

● قال لى وهو يذكر إنسانا في هذه الدنيا ، وبالصدق من غير بلدي :

ـ كيف أصبح غنيا ؟!

ـ قلت : .. أنظر .. لم تمطر السماء اليوم إلا رذاذا ولكن الشعاب التى اكتنفت هذا المنخفض الأرضى أمام عكاظ قد ملأته وسالت من كل الجوانب ، سالت عليه فامتلأ يغوص الناس فيه .. أصبح هذا المستنقع وقد يكون هذا الامتلاء لفلانك جعله مستنقعا أخلاقيا .. يعنى تكونت فيه قذارات ، فأصبح بلا خلق ، ولا خلاق !!

●●●

** اليوم مات خروف عندي .. لم اكد ادخل البيت ظهرا حتى وجدته قد ذهب الى كومة القمامة تنهشه الكلاب .. كنت أريد أن أذبحه .. نأكل لحما طرياً بدل السواكني ، ولكن « الكنترول » في البيت أبى أن يذبح ، فذبحته الأيام .

لقد تعلمت أن الحرص فى كثير من الأحيان فيه كثير من الضياع ، فلو أكلناه لما فقدناه !

ليست هذه ندامة ، ولكنها مرثية لخروفي !.. فقد كان أنيسا .. حضاريا .. كما إنسان لا يطغى فكره على سلوكه ، ولا سلوكه على فكره .

لقد أكلت هذا الخروف بفكرى حينما أعطانى كلمة انتقد فيها « الكنترول » .. لقد نصرنى على الحرص :

لحاك الله يا سلم ابن عمرو　　　أذل الحرص أعناق الرجال !!

ورأيت على غلاف مجلة هندية صورة لأنثى .. فقلت :

ـ ما شاء الله .. تبارك الله أحسن الخالقين !! أنستنى هذه الصورة أحزانى على الشاكين من الناس وحزنى على الخروف !!

صور فى خبر .. أو خبر فى صورة :

* توقفت أن أكتب ، ولكن قصيدة قرأتها .. فتحت المغلق من نفسى .. هكذا المغاليق

كثيرا ما تفتح بالكلمة ، وقليلا ما تغلق بالكلمة !

الكلمات لا تغلق الأفواه إنما يغلقها ألاَّ تجد شيئا تتكلم عنه !.. ينعدم هذا الشئ في الصورة التي قالها الفيتوري .. هى : جفاف الدماء على الشفاة !!

●●●

● خبر أفرحني .. سمعته أذناى ، وصفق له دمى .. سمعته من تلفازنا ..

يقول الخبر : إن عالمين أمريكيين قد استطاعا فى باريس - أى فى معمل أبحاث هناك - الفصل لفيروس السرطان .. يعنى عرفوا الفيروس ، وهم يجهدون الآن ليمسكوا بمقاتله .. ليريحوا الإنسان من هذا العدو الفاتك ..

هذا الخبر مفرح ولا شك ، لكن هناك خبرا قديما يقول : إن السكر الصناعى قد حرم استعماله فى أكثر من بلد عرف مضاره .. حرموا استعماله لأنه يسبب السرطان . لم أجد أى رد فعل عندنا يسأل هذه الأشربة الكثيرة التى حلاوتها من هذا السكر الصناعى .. حتى إن شرابا عندنا قد أعلن لتحدى هذه الأشربة ان حلاوته بالسكر الطبيعى . أريد أن أسأل : لماذا لا يكون هناك عمل لمقاومة هذه الأشربة اذا كان سكرها هو هذا الضار ، أو يطمئن الناس عن كذب هذا الخبر ، أو هذه الأشربة بأن حلاوتها من السكر الطبيعى ؟!

السؤال موجه لوزارة الصحة !!

●●●

* من زمن كتبت أن كلمة (المواطن) كانت فى الأصل من استعمالات الثورة الفرنسية .. من الفاظ ميرابو ، ودانتون ، ومارا ، وقلت : خير منها أن نستعمل كلمة (الأخ) !.. وأعيد الآن هذه الملاحظة .. فقد أسرف المتلفزون والمذيعون فى استعمال هذه الكلمة : المواطن .

إن شعارنا المسلم هو : الأخ (إنما المؤمنون اخوة) ، (المسلم أخ المسلم) .

والذى أثارنى الآن سؤال واحد من المتلفزين فى برنامج لشاب جلس على المكتب .. قال له : من أين ؟! .. كانت الاجابة قاسية ، فقد قال : أنا من المانيا !!.. يسخر بالسائل ..

كأنما يقول : أنا من هذا البلد ، وعربى .. ألا تسمع لهجتى ؟.. فاعاد السؤال عليه ، فقال : أنا فلسطينى !..

لو استعملنا كلمة الأخ لما خرجنا الى تقليد ، ولما فتحنا الباب لكلمات أخرى كالرفيق وما اليها ، ثم أهم من ذلك ألا نجرح أمثال هذا الفلسطينى بكلمة المواطن .. فإن كلمة الأخ تعطيه قرابة الدم ، والعرق ، والتاريخ ، والدين !..

● صور بلون قوس قزح . تخبر عن ذرات المطر . وتخطر ذرات الرمال ببشرى مغيثة ، ويتخطر الإنسان فى ضوء الاشعاع .. فرح بالمطر لحظات ، ويصفق للقيمة الذاهبة كأنه يطرد الغمامة أن تعم ، أوأن تقيم. إنسان ملول.. ما أشد حبه للوثبة من حال الى حال .

● تلكمت فى يوم مضى مع الصديق عبد المجيد شبكشي فاذا هو غاضب يئن بالشكوي من التطبيع « الأخطاء المطبعية » فعذرته .. إنها تكثر وتكثر من غفلة المصححين . ومن اهمال الطباعين والموضبين .

عصب الكاتب يحترق . ودم المسؤول كرئيس التحرير ومن اليه يحترق . والمصحح والطابع ، يعتذران ثم لا يفيان ، ويضحكان !!

والقارئ يصب اللوم والنقد على الجريدة كلها ورئيس التحرير بالذات .

● قال : نحن أصدقاء .

ـ فقال : تشرفنا ! ثم أردف : هلى تعني أنك تعرفني ، أو أنك تخبرنى بذلك ؟

إن كنت تعني أن اعرف فهذا شيء غير جديد ، وإن كنت تعني أنك تفهمني فهذا لم يعد واضحا بعد .

أنت تفترض الصداقة لتغنم من تكاليفها على فرض أني مطواع لك في كل ما يأتي منك .. هذا خطأ . إنما هو شأن الاتباع والامعات .

إن الصداقة تعني النداة والوفاق خطوة منك مع خطوة مني . أما أن ترهقني بالاستبداد برأيك وقولك وفعلك . ثم تطلب باسم الصداقة أن اكون معك . فهذا شيء لا أطيقه .

وسمع فقال :

- يا اخى الصداقة ما هي هز الكتوف . إنها الزمالة ولو بجدع الانوف !

فأجابه : يعنى أهز كتفي بنعم ليقطع أنفي . اما أنت فتهز كتفك يسلم أنفك حينما تهرب وتقول : لا ..

● اذا لم تعط المثل فكيف أضرب بك الامثال . حينما تحركني بك فإني أتحرك « بنفسي » .. المثل منك محور ادير الكلمة الطيبة حوله .

أحبك رحمة وتفوقا .. وأحب نفسي واجد الصورة التى تشعرني بأني قادر على اقناع المغرضين والجافين . بما يدحض الغرض ويبعد الجفوة .

وسكت قليلا ثم قال : سأفعل .. سأفعل ..

وعلى أحر من الجمر انتظر الوفاء بما يعد .

** صور دون تعرية وبلا تعريف فهى تكشف عن ذاتها .

● القلم تعلق به قشة .. يغشى الحبر .. يتسخ الورق .. يطمس الحرف ، كل ذلك يصنع العكننة لتشمئز وترمى به ، وتترك الموضوع !

والورق الوسخ « الخوشق » فيه نمش يبطش الحبر لتغير ، وتغبر أكثر من قرطاس .. كلها تصبح بقعا مسودة بغير حرف حتى لا ترى فيها جمال الحبر . الحروف هى التى تصنع جمال الحبر .. كما أن الحبر هو المزخرف لزينة الحرف .. يبرزها لك جمالا للجمال ، فهى تصنع له قيمة أن اتضح سواده ببياض الكلمة ، وهو - أعنى الحرف - يصنع للحبر زينة تنتصب بها معانى الجمال فيه . ومزقت القرطاس كما رميت القلم ، وبقى الحبر لكنه اندلق على الأرض فقد حبت طفلتى تلعب بالدواة فجعلت قطعة « الزل » بقعة سوداء كأنها كلف في وجه قمر .. خال على خد ، القمر هو الطفلة حينما مسحت خدها صنعت زينة السواد فى الخد الأبيض المشوب بلون العصفر على خفيف كأنما صنع بريشة أسطورى على رأسه ريشة بلون الورس والزعفران !

●●●

وجاءت أمها تريد أن تزيل الحبر فقالت الجدة : لا .. لا .. دعيها نرفعها تحفة لتبقى ذكرى .. لا لتمزيق الورق وإنما لتمزيق السأم .. مزقته هذه الطفلة .

ومضت سنوات حتى اذا زفت الطفلة عروسا أخذت القطعة من « الزل القاشانى » معها .. تزينها بابتسامة كأنها ومضة بارق في ليلة معطشة .. تعلن عبثها الحلو الحبيب لتتقى عبثا منها لترضى عبثا من طفلها !!

●●●

● الحياة تستقيم بالاعراس كما هى قائمة على الفناء ، والاعراس حرف على قرطاس أبيض نظيف ، والفناء سواد مدلوق على ورقة صفراء فيها نمش !!

●●●

● القلم والقشة والورق والنمش ، والحبر المدلوق أهون على كاتب من جليس يصرخ وهو يتحدث لا يرحم أعصاب هذا الكاتب وهو يكتب عموده اليومى !!

●●●

● صور فارهة ، نعيمها يقيمها .. وإن كان غير المقيم .. وثوابها من صوابها ، تذاق بأنف ، وتشم بعين .. فهل رأيت العين تشم .. نعم إن رأت ما تغرق فيه .. تعمق النظرة كأنما هي مسمرة .. فعينها الأنف ، يوضح لها بعض ما تعمقت فيه .. يشم بعينها ، كأنما العين أداة الوصول هي التي استروحت رائحة العمق نظرة ، نظرة !!

●●●

● قلت له : هل صنعت ذلك الجيد بذوق مترف ؟..

ـ قال : نعم كنت صافي المزاج ، مشغول البال بها لا منها !!

ـ قلت : لقد أعطيت قانون الجودة تصنع نفسها بما اتت عليه ساعة أن بدأت تضعها !.

ـ قال : كيف ؟.. لم أفهم !!

ـ قلت : اذا كنت في صفاء بال غير منشغل فإنك معطل مما يحرك المعنى .. يصنع الحرف ، يجيد البيان ..

أما إن كنت فى شغل في أكتافه وخزات ألم فانك تتحرك فتجيد .. فالمسرة كصفاء بال بعثرة النفس بما يشتغل بها فيشغلها .

أما الألم والانشغال بتلك ، بأى شيء .. فإنه لا يعطلك بل يحرك كل شيء فيك ، ليبرز عملا منك .. وصناعة الكلام عمل لا يأتي إلا بانشغال البال ألما . ليس في الكآبة والكدرة القاتمة ..

- قال : نعم كنت فيها .. ومنها .. فصنعت ما أعجبك !.

● ● ●

● قال : ما هو البيت من الشعر تردده يومك هذا ؟..

- قلت : هو بيت ابن زيدون في قصيدته الدمعة ، والحزن ، الباكية نفسها ، ليس من حسرة الهجر وإنما هو سخرية العقوق وشماتة الحاقدين !!

أولى وفـــاء وإن لم تبـــذلي صلـــة .. فالـــذكر يقنعنـــا والـــطيف يغنينـــا !!

● صور رابضة ناهضة ، وامضة غامضة . غاضبة . راكضة . فيها ما يريح المليح ، وما يغيظ القبيح !!

● وسألنى : ما إسرائيل ؟

- قلت : إسرائيل فرقة أجنبية في جيش الاطلسى . فقد أصبحت قاعدة تغنى عن قبرص ومالطة وما حولها .

من هنا يحاربها حلف وارسو !!

● ● ●

● فى أوائل هذا القرن .. تكلنز رجال بالجنيه الذهب فضاعوا . وتألمن رجال بفتنة القوة فباعوا . ثم « ضاعوا » وتبلشف رجال للرغيف فاضاعوا وباعوا حتـى جاعـوا وتأمـرك بالدولار رجال فجنوا وجنوا فبانوا وهانوا . أما الذين أسلموا وجههم فسيغنيهم الله من فضله .

● فلاح مسكين زرع أحواضا فى حيش صغير يملكه برسيما وكراتا وفجلا .

وتفقد زرعه . فوجد رأس فجل فحل كأكبر ما يكون الفجل . فحمله يجرى فرحا به يهديه الى الامبراطور فى المدينة الكبيرة فتقبله الامبراطور هدية من إنسان لا يملك غيرها ، وأعطاه حتى أغناه .

وسمع جاره صاحب البستان « الجنة » الوارف الظلال الغنى . فقطف العنب والورد والفل ، وذهب بها الى الامبراطور .

ـ فقال الامبراطور : هذا مكثر حسد جاره فأراد محاربته وسلبنا فاعطوه رأس الفجل !

● ● ●

● قلت لبعض من صحابى : لقد رأيت اليوم حبة من البطاطس زنتها خمسة كيلو غرامات من تربة « اكرانيا السعودية » القصيم !

ـ قال أحدهم : أرض طيبة بكر .

ـ قلت : ما أجود الأرض ، ما أطيبها ! وما أشد كسل المستأرضين تاخروا عن زرعها . فأحبت أن تريهم فعلها وجودها وثراءها .

ـ قال : عساهم يجودون معها واليها لتعطيهم أجود ما فيها .

ـ قلت : يظهر أنها البداية يبرز فيها جود الأرض والمستأرض !

مواقف لصور ... أو صور لمواقف :ـ

● فى غزوة تبوك .. في الموقف العسر زمنا ، ومادة ، ونفسيات .. سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن كعب بن مالك وماذا صنع ؟.. فقال أحد الصحابة كأنما يعيب على مالك تخلفه عن رسول الله :

ـ لقد غر « مالكا » نظره الى عطفيه !!

صورة تعطينا الترف في الجسد والنفس ، وجمال الرجال ، وغناء الرجال في كعب ابن مالك ، وتكلم معاذ بن جبل .. يرد على صاحبه .. يسمع النبي كلمة الخير فقال :

ـ والله ما رأينا عليه إلا خيرا !.

ثناء الأكابر على الأكابر .. اطمعه فيه عمق الرضا في ساعة الغضب .. في فؤاد النبى (صلى الله عليه وسلم) .

ورجع النبي فاذا كعب بن مالك في الثلاثة الذين خلفوا ، واذا الحرمان يكتب عليه ، والمقاطعة ، والبعد .. كلها تنصب عليه ، ولكنه لم ينقطع عن المسجد .. يصلى بصلاة النبي .. يرجو الرحمة من الله !

وبينما هو في عذاب النفس جاءه كتاب من النصراني الملك العربـى .. غسـانيا في دمشق ، من أبناء جفنة .. يقول له في الكتاب : بلغنا أن صاحبك قد جفاك فهلم الينا تجد عندنا السعة والوفاء !!.. كأنما هى الأزدية قد شمخت في رأس الملك .. يغرى بها ابن عمه !.. وقرأ كعب الكتاب فقالها كلمة ليس فيها حظ النفس من الأنانية ، وإنما فيها حظوة النفس من الايمان .. قال كعب وقد القى بالكتاب :

- وهذا أيضا من البلاء !!

أى بلاء ؟!.. ليس هناك أشد من بلاء الاغراء بالفرج في وقت الضيق .. على نفس ضاق بها حب الأحباء !!

وتنفس كعب .. لقد جاءه الفرج من عظة النفس المؤمنة .. آمنت بحبها لله .. أيقنت بحبها لرسول الله .. ارتفعت بحبها للمال تسعد به النفوس المؤمنة ولو كانت آجلة .. لا تفرح بالآمال .. يشقى بها الرجال لأنها العاجلة !!

- وقال كعب : لا يحزنني ، ولا يشقيني إلا أحد أمرين : فإما أن أموت وأنا في هذا الحرمان فيخفى على قومى مصيرى .. وإما أن يتوفى الله رسوله وأنا في هذا الحرمان فيخفى علي مصيرى !

وتجلت رحمة الله على المؤمن فتاب الله عليه ، واذا هو في الأكرمين أحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم .

أى موقف هذا ؟!.. لو وقف الرجال مثله لما استقام أمر لخائن ولقتل العقوق ، ولاينع الحب ينبت عظمة الرجال !

●●●

● والمتنبى .. أحمد بن الحسين .. شاعر الدنيا .. شاعر العربية الأكبر تحدث عنه سيف الدولة الملك العالم .. تحدث الى أبن خالويه ، وأبى على الفارسي .. الإمامين في زمانهما .. إمامتهما في الفقه .. فقه اللغة الشاعرة .. قال سيف الدولة :

ـ لا يغرنكم من المتنبي أنه شجاع .. لقد انكشفنا فاذا بنا نحن ستة فى مواجهة الروم ، فالتفت أرى المتنبي يضرب غصن شجرة بسيفه وقد علقت عمامته به .. فيقول للغصن وهو يضرب بالسيف : اترك عمامتي يا علج .. اترك عمامتي يا علج !!.. فقلت له : أي علج .. إنها الشجرة علقت بها عمامتك !!..

● صور .. هي مشاعرنا ، أو هي مشاعر الذين نحس مشاعرهم .. يعني أنها منك لنا ، أو لك منا :

● أحلام اليقظة : الواقعيون يقولون عنها إنها نوع من الجنون ، وقد يبالغون أحيانا فيقولون إنها الجنون المطبق .. اذا ما أشغل إنسان ما فراغه بها .. يملأ دنياه بزخارف أحلامه .. يسعده التخيل ، وإن جفاه الواقع ، وهؤلاء الذين يصفون الحالم في اليقظة بالجنون يصفهم الحالمون بأنهم عقلاء لكنهم أشقياء ، فالواقع تجسيد لوضعهم .. قد يكون فيه الكثير من القوة ، أو من الامتلاك .. لكنهم ماذا يصنعون بهذا كله !!..

إنهم يصنعون لأنفسهم حساب الربح والخسارة .. رجحان الهزيمة على النصر .

من ذلك يعيشون في كرب الواقعية .. لأن التجسيد فيها ليس هو الجمود بها ، وإنما هو التجمد عليها .. لا خيال .. لا احساس حتى انهم اذا امتلأوا أكثر او كسبوا أكثر لا يشعرون بشيء من زخارف دنياهم .. إن شعورهم ينحصر في توقى الخسارة الأكبر ، والهزيمة الأكبر . حسابهم دائما سلبيا مع ما يمتلكون .. أما حساب المزخرف حياته بالأحلام ، فايجابي مع نفسه يمتلك بالخيال كل أمانيه كأنما هو قد أمسكها بيده ، ثم ينصرف عنها .. يبعثرها كأنما هو أهلكها عامدا قد سعد بالربح كل لحظاته ، ولم يأس على خسارة .. كانت أحلامه وجودا أما ضياعها فلن يكون عدما لأنها باحلام أخرى تتجدد !!

● وسألني أحدهم : هل رأيت أم كلثوم ؟؟

ـ قلت : كان من الممكن أن أراها ، ومن حقها علينا أن نزورها ، لكني تعمدت ألا أكون في حضرتها لأني أراها ، وإن لم أرها .. هي في وجداني ، وبما أعطت للنفس العربية ، فأغنت بما غنت .. قد أصبحت المثل . الحب لها والتكريم لا ينقص بعدم الزيارة ، وإنما هو يزداد .. فبعض الحرمان من الرؤية رؤية أقوى لمن تحب اذا ما شغل وجدانك بما أعطاك .. لو رأيتها لما زادت عن إنسانة تنحصر في الصورة التي أراها بها ، ولكني حين أراها كأنها المثل .. لأنها قوام كبير في اللغة العربية .. لأنها ثروة ضخمة من فن الفن عربيا وإنسانيا .. لأني بهذا كله أحول دون ، أي شائبة تبخس هذا الكائن في وجداني شيئا مما قد كان له ، وتكون به ، وكنت أنا فيه .. تعمدت ألا أراها لأنها أكبر من رؤيتي ، فلا أحبها تصغر أمام الرؤية إنسانة ماثلة أمام عيني .. أريد أن أحافظ على هذا الاكبار لها في أذني وسمعي وعواطفي .. أما العين فيكفي أنها ترى الصورة لا تسرع بشيء يشوب التصور لهذا الإنسان الصداح .

إن ام كلثوم شيء كبير في أذن الغناء ، وعواطف الحرف ، وزخرف الكلمة ..

● صور رائقة كأنها غير وامقة .. فالشغف بشيء دائما يتحفز لا يستقر على هدأة . بل هو منتشر في النفس انتشار التصور للشيء المحدود يراه غير محدود .

فالتصور يعطي الأشياء أكثر من معانيها وأكبر من حجمها تلك هي التي يحسبها الخلي خدعة .. ولا يراها الشجي إلا متعة .

● ● ●

● قال : ما أنت اليوم ؟

ـ قلت : سؤال عن ماذا ، لتعرف . لم تسأل من أنت ؟ والا لكان السؤال تافها .. لكن ما أنت ؟ قد جاء في مكانه . قال :ـ تجهلني كل لحظة ولو عشت كل اللحظات معك !

ـ قلت : فما أكثر ما يتغير الانسان على نفسه من نفسه !

والاجابة على سؤالك هي اليأس انقلب الى تشاؤم . فلقد كنت أرفض التشاؤم . ولو وقع

نادرا كنت أحيله الى يأس مؤقت .

أما اليوم فقد انقلب اليأس الموقوت الى تشاؤم أخشى أن يدوم .

إني أمتع نفسي بهذا اليأس والتشاؤم لأربح الأمل من الكذب عليه ، أو الكذب به .

أحوال تحملك على ذلك .. هذا مخيف . لكنه يحول الكذب المنتظر يتطلع الى سراب . الى جد وصدق حينما عرفت الحقيقة كواقع .

لو كان هذا لحساب نفسي لنبذت هذا التصور أو هذه الرغبة ولكنه لحساب الجوانب الأخرى التي أحس لها بها . وأفكر فيها لها .

دعني أستريح بمتعة الشقوة باليأس والتشاؤم

وخاضوا في حديث عن الحب !

ـ قلت : الحب أقسى القيود . لكنه لن يكون دون حرية .

حرية الاختيار والاستكناه والتعبير والعبرات والزفرات والنوال والطرد ، والقبول ، والمنع والشقوة ، والسعادة .

كل عمل الحب بقسوة قيوده هو حريته ، في نيل المتعة به .

صور . تشرح نفسها ..

● خادمك .. يخطيء .. موظفك يخطيء .. في المرة الأولى تحسب عليه خطأه . وفى المرة الثانية تحمل عليه كذلك .

فإن عاد مرة ثالثة فانه لن يكون خطأ الواحد منهما وإنما هى أخطاؤك .. لأنك ما قدمته أول الأمر . لم تردعه في الثانية !

وهكذا تتم الحظوة . يستمريء غفرانك له . ويستهين بك .. وتجرى المشاكل .. وتستحيل الأخطاء باهمال الجزاء الى جريمة .. بل جرائم ..

● أستاذ رأى تلميذا يصفع أخاه مازحا معه . فلم يضرب الصافع . وإنما ضرب المصفوع .. سألت لماذا ؟

ـ قالوا : إن المصفوع كان ضعيفا . والصافع يركب سيارة قيمتها مستقبل شاب !

● فتاة من أهلى قالت :

قرأت خبرا عن « دكنز » الكاتب الانكليزى صاحب الرواية .. « المدينتين » .

يقول الخبر : إن ديكنز كتب هذه العبارة المجنحة .. البعيدة في أبعاد الظلال فيها .. الواضحة فى مدلولها وضوحا لا خفاء فيه تحت الظلال .

وقف إنسان أمام سيد المقاطعة .. يقول له : سيدى .. سيدى .. إن الخيل وطأت بسنابكها أطفال القرية ..

ـ فقال السيد : ماذا ؟. هل أصاب سنابك الخيل ضرر ؟

● أب سلب روح ابنه .. كيف ؟

ما قتله . بل جرعه العقد بالقسوة والاهمال فضاع رشده .

الأب الشامخ الذى يغضب من ذبابة تطأ منخره . أصبح يرى ابنه مسلوب الروح . يعبث ويلهو ويرسم العته والجنون .

نادى ابنه : تعال .. تعال !

فقال الابن : لن اعود !..

أنا لن أعود . فالجنون نعيم . لقد سلبت روحى . ولن تستطيع أخذها أو ردها !!

● « الغزّالة الجيدة تغزل بجريدة » !

« سيبوه .. سيبوه دا ما يقدر يطلع عنز من شعير » !

تمشية الأمور على الخطأ .. خير من الوقوف بها عند الصواب !

مثلان من أمثلة العامة ، ومثل ، أوحكمة فصيحة قاله أو قالها « أحمد بن الفرات » :

المثلان ، والحكمة كلها تدور فى فلك واحد .. كأنما هى أنشودة تنوع تقسيم النغم فيها ، ولكن المحط واحد !

كاتب النوتة .. ملحنها .. موزع موسيقاها : معلم ، أستاذ ، هى الحياة المعلم الأول .. الذين يوزعون نغماتها ، وآهاتها هم الذين مارسوا التجربة ، .. فالتجربة وحدها لا تكفى أن تعيشها .. ان تمارسها .. الكفاية والفائدة أن تدرسها .. أن تحياها في غيرك من الناس ..

مع غيرك من الناس ..

« الغزّالة الجيدة تغزل بجريدة » جداتنا يضربنه مثلا للبنت الفالحة .. تقيم اودها .. تعمر حياتها بالقليل الموجود لديها .. إن كسر مغزلها صنعت مغزلا بنفسها ، لا تجرى وراء الكثير فيعجزها أن تعمل بما لديها من القليل ، وكثير منهن من تجد بيتها عامرا بأقل من القليل ، وبعضهن من تنغص حياتها بعدم الالتفات الى ما تملك .. تتطلع الى ما يمتلكه غيرها .. فتشقى بالعدم ولديها الوجود !

المثل الثانى هو عكس المثل الأول .. يضربه آباؤنا للخاملين .. أفهمه على اوجهين : أما انه كلف بحراسة معلف الشعير فجاءت عنز تلتهمه ومن عجزه يتكاسل عن ردها .. أى أن العنز تأكل الشعير ، وهو ليس لها لأنه أهمل حراستها من الخور والعجز فيه ، واما انه لا يعرف كيف يرعى عنزه .. يملك الشعير فلا يعطيها لتسمن ، أو انه يملك الشعير فيتركه أمامها للتخمة .. تأكل منه الكثير فينبعج كرشها فلا تخرج العنز الصالحة للضرع لأنه أهمل الزرع ..

والحكمة الفصيحة قالها « أحمد بن الفرات » يحدد سياسة الرجال يقول لهم : لا تقفوا أمام نشدان الصواب .. انك لا تدرى الصواب إلا بعد أن تعرف الخطأ .. من لا يعرف الشر حرى أن يقف فيه .. قالها الفاروق رضى الله عنه ..

أحمد بن الفرات ينصح الرجال أن يسيروا باعمالهم .. يعملونها ، وقد يقعون فى الخطأ ولكن الخطأ لا يأتى إلا من صواب الذين يعملون .. الذين لا يعملون هم الذين لا يخطئون .. تجربة أحمد بن الفرات .. تجربة مريرة ذاقتها أعصابه .. يسكبها لنا .. نترشفها حلوة ترتاح لها أعصابنا « تمشية الأمور على الخطأ خير من الوقوع بها عند الصواب » .. حكمة تفسر نفسها ، ولا حاجة لمزيد !!

** صور ليست كزجاجة المصور تجعل البياض سوادا ، والسواد بياضا .. كما هى مجنحة أستاذنا الرافعى يرحمه الله .. لقد أخذت هذه الصورة بريشة من ريش القلب ، فإن تعبير

العامة بقولهم « ما بقى قلبه إلا على ريشة » .. هذا التعبير حلو فيه عزاء للذين تخفق كل ريشة فى قلوبهم .. أما مثلهم : « الحرامى على رأسه ريشة » فالتصوير بها يعرفه الذين يخفون رؤوسهم .. يخافون أن تظهر الريشة !.

●●●

● تعود البابا أن يصدر قرارات لحل الأزمات ، أو لاثارة المشاكل ، ولكن اتباعه يسعون له لأن مطاولة الزمن كما هى صانعة الأزمات تحل المشاكل !.

لكن المشكلة التى أثارها البابا الآن ، ولا أدرى ما هي أسبابها ، هى اصداره هذا القرار بتزييف بابا نويل « سانتكرون » .. إنه بهذا القرار لم يصطدم بالرجال ، ولا بالأباطرة ، ولا بالسياسة فان هذا سهل ، وكثيرا ما تخطاه البابا ، ولكنه الآن قد اصطدم بالعواطف ، بالأم والطفل ، ومن هنا تأتى الصدمة ، أو التصادم قوة سوف تنتصر على قرار البابا ، والهزيمة بها ستعقبها هزائم لكثير من القرارات ، لأن الأطفال ، والأمهات لن يطيعوا التخلى عن دمى الفرحة في يومها المعين ، إنهم سيتهمون البابا بأنه قد أحال حياتهم الى مأساة في كل العام .. هم يعيشون أيام العام في كرب بين مشاكل الحياة وكل فرحتهم في يوم واحد ، إن المشكلة ستكبر .. ستجعل كثيرا من الأمهات والأطفال يفكرون بأن قرار المجمع الكهنوتى بتبرئة اليهود هو قرار مرتجل ومغرض مثل هذا القرار ..

بابا نويل .. تقليعة أو تقليد غير أنه ليس من السهل تحويله الى لا شئ ، وقد أصبح وهو لا شئ كل الشئ في عاطفة الأم وبسمة الطفل !. وهكذا الكهنوت يرتجل القرارات .. ما أحسن الإسلام حينما قضى على الكهنوت ، فليس فيه أحد من البشر يستطيع أن يتخذ قرارا تكون له قيمة الوحى .. إن الإسلام قد دمر الكهنوت ليكون الإنسان سيدا لا عبدا !!

●●●

** سألنى : هلى سمعت الأغنية الجديدة لصداحة الأيك الغالية « أم كلثوم » ؟!

ـ قلت له : إن تعاملي مع أم كلثوم ليس مثل الناس .. فأنا لم أذهب الى حفل لها حتى وأنا في القاهرة ، ولا أسمعها في أوائل أغنياتها ، فإني أريد أن أتسقى الطرب منها حينما

تعتق الأغنية .. أهرب من الجمع لئلا تخدش أذني بصوت آخر .. أهرب من السماع الأول لتألف أذني هذا المعتق من نغمها وصوتها ، فأغنية « أقبل الليل » لم أسمعها إلا بعد أيام .

● من يهد الله فهو المهتدي ..

قرأت ظهر أمس للدكتور مصطفى محمود في مقاله عن اعجاز القرآن كلاما مؤمنا ، بعضه نعرفه . وبعضه عرفني هو به . لم أكن قرأته حين كتبت اليوميات .

ومن فضل الله علي أني اذا ما أعجبني شيء مادي ومعنوي أحببت أن أشرك اخواني معي فيه .

والخير كل الخير أن نشركهم في قراءة كلمة مؤمنة . نؤمن بها ساعة « هيا بنا نؤمن ساعة » .

لقد كان بحثه عن كثير .. تخيرت منه ما كتبه عن العنكبوت .

ـ قال : ومثل آخر .. هذه الآية من سورة العنكبوت .. « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت ، لو كانوا يعلمون » .

فهنا نرى القرآن يختار صفة التأنيث حينما يتحدث عن العنكبوت فيقول : « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » .

وقد كشف العلم مؤخرا أن أنثى العنكبوت هي التى تنسج البيت وليس الذكر وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن !

والحقيقة الثانية هي وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت .. ولم يقل القرآن : خيط العنكبوت أو نسيج العنكبوت ، وإنما قال : بيت العنكبوت ، وهى مسألة لها دلالة .. ولها سبب .

والعلم كشف بالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات .. وأقوى من خيط الحرير . وأكثر مرونة ، فيكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت واف بالغرض وزيادة .. ويكون بالنسبة له قلعة أمينة حصينة .

فلماذا يقول القرآن : « وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت » ؟

فلماذا يختم بكلمة « لو كانوا يعلمون » ؟

لابد أن هناك سرا !!

والواقع أن هناك سرا بيولوجيا . كشف العلم عنه فيما كشف لنا مؤخرا . فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأنينة .

فالعنكبوت الأنثى تقتل ذكرها بعد أن يلقحها .. وتأكله .. والأبناء يأكل بعضهم بعضا بعد الخروج من البيض .. ولهذا يعمد الذكر الى الفرار بجلده بعد أن يلقح أنثاه ولا يحاول أن يضع قدمه في بيتها !

وتغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخا وكمينا ومقتلا لكل حشرة صغيرة تفكر فى أن تقترب منه

وكل من يدخل البيت من زوار وضيوف يقتل ويلتهم .

إنه ليس بيتا إذن بل هو مذبحة يخيم عليها الخوف والتربص وإنه لأوهن بيت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ .

والوهن هنا كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة ، وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منه معينا ونصيرا .

كلام رائع ومؤمن نفرح به الراجعين الى الحظيرة المسلمة . نقلته نصا .

ولقد فات الدكتور الطبيب الشئ الذي ينبغى أن يعرفه كطبيب لو قرأ التذكرة مثلا أو كتابا فى الطب العربى القديم لوجد هناك ما يسمونه برؤ الساعة .

فهم يقولون : إن الجريح نازف الدم لو وضع بيت العنكبوت على الجرح النازف لشفى بسرعة .

وهذا صدق جربناه فوجدنا نجاحه . حبذا لو أن الأطباء يولون بيت العنكبوت بحثا . فلعل فيه شئ من قوة « البنسلين » أو مركبات « المليسين » .. أو الأقوى منهما ؟

سبحان الله فهو أحسن الخالقين .

● دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان ، فقال له عبد العزيز وقد طال الحديث بينهما : هل عشقت قط ؟ قال : نعم ، أمة لبنى مدلج . قال : فكنت تصنع ماذا ؟ قال : كانوا يحرسونها منى ، فكنت أقنع أن أراها فى الطريق وأشير اليها بعينى أو حاجبى ، وفيها أقول :

وقفت لها كيما تمر لعلنى ... أخالسها التسليم إن لم تسلم
ولما رأتنى والوشاة تحدرت ... مدامعها خوفا ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت أشترى ... جميع حياة العاشقين بدرهم

ـ فقال عبد العزيز: ويحك ! فما فعلت ؟ قال : بيعت فأولدها سيدها ..

ـ قال : فهل فى نفسك منها شئ ؟ قال : نعم ، عقابيل أحزان .

صورة من مجالس الأكابر ..

عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك ، فكان ملك الاسلام قسمة بينهما ، الخليفة فى دمشق ، وأخوه فى مصر .

وهذا الشاعر الأسود المسود بالولاء لسيده ومعتق أهله جميعا .

فقد كان عبد العزيز بن مروان حفيا بمولاه .

● ● ●

وهذه صورة أعجبتنى للحطيئة فى مدحته لآل شماس الذين هجا من أجلهم الزبرقان ابن بدر ، سيد من سادات تميم . فالحطيئة الهجّاء قد واتاه المدح فأحسن كل الاحسان يقول :

أتت آل شماس بن لأى وإنما ... أتاهم بها الأحلام والحسب العد
فإن الشقى من تعادى صدورهم ... وذو الجد من لانوا اليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها ... فإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أملوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

* صور ناضجة تؤكل ساخنة على مائدة تقدم الأطايب دلفا . دلفا . يعنى « كرضل » صحن وراء صحن ، بس « الحلا فى الآخر » .

** يحكى أن الأسد قد أصيب بوعكة . فزاره السباع والوحوش . كل يمشى الى عرينه ، ومن بينها أبو النجم الذئب .

وتحسس السرحانِ هل زار الثعلب ؟ فعرف أنه لم يأت للسؤال عن الأسد ! فعزم على الكيد له ، وكان غاضبا على أبى الحصين لأنه حرمه من عنزهمً بخطفها حينما صاح : فات . فات .. لأنه خطف الديك وجرى يسرع به ليأكل خارج الحدود .

وقال الذئب للأسد : مالى لا أرى الثعلب قد زارك ؟ أكل السباع تزور وهذا الخبيث لا يزورك ؟ يوغر صدر الأسد على الثعلب .

وعلم أبو الحصين بمكيدة الذئب .. فاغتنم خلوة وذهب الى العرين يقول : لقد تأخرت عامدا . ذهبت فى الآفاق أبحث عن دواء . فأخبرنى العطارون والجراحون يصفون لك الدم الحار والمخ الساخن من ساق ذئب .. تكسرها فتمص الدم والمخ .

وجاء الذئب يسأل عن الثعلب ويذكره بسوء .. حتى اذا قام ضرب الأسد ساقه فكسرها وامتص الدم ولحس النخاع .

وبينما هو يتلوى ويعوى . مر به الثعلب . يقول له : إن مجالس الكبار ينبغى أن يلزم فيها الأدب . فلا خير فى إنسان تفسده الحظوة ، وتبطره بالتقريب .

● ● ●

** الرجال أربعة :

رجل يملك الرأي يصدع به ، ويطيق الرأي البديل يبديه فى حوار ، أو يقتنع به فى هذا الحوار . كما يطيق هضم الرأي جاء من غيره ولم يجد له بديلا من عنده . فهذا ممتاز .

ورجل لا يملك رأيا .. ولكنه يطيق الرأي البديل منه أو من غيره ، أو يهضم رأي الآخرين . فهذا جيد .

كلاهما يفعل ذلك أو يتقبله بسماحة نفس ورجاحة عقل ! فهذا مقبول .

ورجل لا يملك رأياً . ولا بديل عنده . لكنه يطيق تحمل الرأي من غيره . فهذا في حاجة الى ملحق .

ورجل لا شيء عنده من رأي ، لا يملك ، لا يطيق . لا بديل . فاذا جاء الرأي من غيره تورم وعارض ورفض . فهذا راسب . وإن طفى في بعض الاحايين . لأنه يرفض الذين يطيق الرفض لهم ، ويصبح الامعة لمن هو في قوة املاء الرأي ..

** صور راعفة ، راعشة ، تسير الى هدف .. ولكنها لن تصل الى غاية .. فلقد قل السامعون .. وكثر الفعالون .. وهزم المنفعلون .. وفاز المفتعلون !! .

● قلت له : إن لبنان يوم أمس كان « كمبوديا » العرب ، مع فارق واحد ..

في لبنان لا « سهانوك » .. وإنما ياسر عرفات .. في « كمبوديا » وجدت الحرب ضدها معارضة شديدة في كل مكان .. حتى في الولايات المتحدة نفسها .. من « فلبرايت » واعضاء الشيوخ الى طلاب الجامعات ، حتى وصل الاعتراض الى اللغة الناعمة من فم « مايكل ستيوارت » وزير الخارجية في المملكة المتحدة « بريطانيا العظمى » سابقا ..

أما في لبنان فقد وجدت في مجلس الأمن عضوين يلعبان بسلطان القوة .. كانما الغزو الاسرائيلي قد خطط ليكون ذريعة .. يصدر بها قرار في ايقاف القتال في كل المنطقة .. يعني اعلان الهدنة المقنعة لتعطيل المدافعين عن أرضهم وشرفهم ..

كمبوديا أثارت العالم كله ..

ولبنان أثار العرب بس !!.

● صحف إسرائيل غاضبة تكيل الطعن على قرار مجلس الأمن الصادر بطلب انسحابها من لبنان .. حتى أنهم يصفون الدول الامينة على الميثاق بالهبل والغفلة !!

دلال ، وتفوق الاجراء ، اذا ما استمرأوا الحظوة عند من يخدمون من الأقوياء ..

أما « أنا » فعلى كثير من اليأس من أي قرار صدر ويصدر من هذا المجلس .. لا لأن

إسرائيل لا تنفذه .. ولكن لأنه المجلس لا يحرص على أن تحترم قراراته .. ثم إن هذا القرار أمكنت له فرصة أن يتسع ليشمل الوضع كله .. كأنهم اليوم في شيء جديد طرأ ولا علاقة له بما طلبه قرار مجلس الأمن الأول القاضي بانسحاب إسرائيل من الأرض المحتلة ..

قرار مريض .. لأنه ليس بالقوي ولا بالعريض الحازم ..

هكذا .. كأنها السخرية من دول توقعه وهي التى تعطله ..

● فرعون نادى هامان ، أن يبني له صرحا لعله يطلع الى إله موسى وهارون ..

عهر الطغيان .. وفسوق من عماية الوجدان .

لقد تمطى بكل قوة .. فماذا جرى ؟.

أمهله الله ، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر ، فاغرقه فى أشبار من الماء .. لم يطلع الى السماء ، وإنما غرق فى الماء .. إنها عظة . إنها عبرة .. ولكن قل السامعون !!

● الأحلام العضوية .. هى المنبهات للنائم عن شيء حدث أو مشى ، أو طرأ بجانبه ، فإن هناك رسالة كهربية من هذا الشيء الى النائم يخبره بنفسه .. حراسة الإنسان ، ووعي الإنسان !!

بجانبك فانوس أرخيت فتيلته فالتهب بدخان من فساد أو خراب ، فإنك تشعر وكأن حريقا شب بجانبك فتصحو من نومك لتجد الفانوس المدخن .

واليوم رأيت التليفون بجانبي قد تبلد ، فلا جرس ثم التهب دخانا .. فصحوت ، وجدته ضائعا من الرقم أو الجهاز المستجيب لندائه الموصل لطلبه .. فكلمت ٣٧٧٧ يعني الصيانة فوجدوه خربا وأصلحوه ..

هذا نوع من الأحلام .. احساس بواقع !!

* * *

● وسئل المخزومي عمر بن أبى ربيعة عن أيها أجمل ؟.. أعائشة بنت طلحة ، أم سكينة بنت الحسين ؟.

وقد جمعهما الله زوجين تحت مصعب بن الزبير بن العوام أيام إمارته على العراق عاملا لأخيه عبد الله ..

ـ فقال عمر : عائشة أجمل ، وسكينة أملح ..

لقد فرق هذا الفنان بين الجمال والملاحة ..

الجمال في البيضاء ، والملاحة فى الياسمينات والسمراوات ..

العرب أهل الملاحظ ، وإن لم يتخل عنهم الجمال ..

● قال له : كيف تحب ولدك ؟.

ـ قال : أبذل جهدي في اسعادهم وتربيتهم وتقويمهم ، ثم احفظهم بكف الأذى عن الناس .. أخاف عليهم أن يصابوا بما تجني يدي ، او يعمل لساني ..

ومصداق ذلك قوله تعالى :

« وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » ..

القول هنا يشمل العمل ، وإنما « والله أعلم » قد خص ما يستصغره الانسان ، يوقظه ، يمنعه من فعله .. فالقول حينما يخرج منك ما هو إلا فعل .. ولن تجد أبا يحب ولده إلا أحسن الى الناس بدافع قوي ، حتى اذا اشتد في موضوع تراجع عنه ما دام فيه احسان !!

ـ قلت له : لا تعجب من باطل قوم !.. إن الباطل لم يتحكم فيهم إلا باسم الحق ، فالحق عند المبطلين وفي دعواهم هو سبيلهم الى الباطل يخدعون بأنه الحق .. وما يدرون أنهم في الباطل !!.

● صور فيها من الجد بعض ما فيها من النظافة كما يعرفها الذين يحرصون على ما هو صواب الى ما هو نظيف ، وفيها أيضا الهزل العابث كما يعرفه الساخرون بكل الجد .. بكل ما يؤدى الى نظافة لأن هواهم أن يلبسوا الفسوق والخذلان والانحلال حتى لتجدهم يفزعون منك اليك !!

منك لأن تقهر فسوقهم بالاحتقار ، واليك لأن ارهاقا بنفوسهم يرزأهم فلا يجدون

التنفس إلا عندك بشيء من التعزية والتسلية يتوهمون إنها التغطية بينما هي غرزة قارصة لوجدان محطم !

●●●

● وسمعت تحاورهما .. قد لا يكون بأذني ، ولكن بعيني ناظرة تستكنه ملامح وجهين عاشا الكيد لك فإذا هما يتحاوران كيف نجوت منهما ؟

- قال « الف » لـ « ميم » كيف خرج من أيدينا « فلان » فكل ما دبرت له اذلالا واقصاء وطردا ونكدا واسقاطا ابتلع ذلك كله ولو تحمل بعض الاصابات ليقابلني بعدها باسما لا يعاتب .. لا يحارب حتى رأيتني اليوم استجديه نظرة حانية .. لا لينسى فيها ما مضى مني إنما عله ينسيني ذلك .. لا لأني نادم ، ولكن لئلا أشعر بأني منهزم !؟

- وقال « ميم » : أتعرف السبب ؟.. ذلك انا كنا نحاربه بسلاح مادي ، وكان يتحمل بعمق المعاني فيه ، وأصبحنا اليوم .. نقتل انفسنا بهذا السلاح المادي ، ونتقاتل به أنا وأنت .. أما هو فأصبح يبعث الحياة فينا بسلاح جديد .. من معانيه صفحا ، ورحمة .. ولو غلفها بابتسامة ليس فيها شماتة ولا اشفاق ، وإنما فيها كلمة في وجدانه : الحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به كثيرا من خلقه !!

* صور عارية تكشف مضمونها رغم انها ساترة مكنونها !!. تسالم ولا تستسلم رافضة أن تظلم .. ظالمة أن تهان . الظلم قد يكون الوسيلة الوحيدة لرد الاهانة .. لأن الاهانة ظلم غيرك لك دون أن يفترض الندادة ، أو يرحم الصداقة ، وإنما هو بما ملك من وسيلة لا يتورع عن الغيلة !.

● قال لي : هل للرشوة عقابيل ؟!.

- قلت : أتعني أن الراشي واهب السحت ، وأن المرتشي آكل السحت ؟. هذا معناها قديما ، لكن العقابيل الجديدة هي طغيان الراشي على المرتشي يسلبه سلطانه .. حين دخل عليه قبل أن يعطيه كان رافع الرأس ، وحين بدأ يستعطيه انخفض رأسه في حضرة راشيه . إن الهيبة لأي محرك لأمر تسقط منه ولو أمام معطيه .. كأنما العدالة يضيع ميزانها في هذا

الميزان التي اخذها الراشي سلطانا فرضه على المرتشي .. إن السراق الخنشل في أي طريق ، والمفسدون في الأرض بالنهب والسلب قد تردعهم قوة ، لكن السراق بالرشوة يسلبون هذه القوة فعاليتها !

● ● ●

● الطفلة التي رفضت أن تخلط اللبن بالماء فعصت أمها هي التي أنجبت الرجل الذي لم يخلط الباطل بالحق .. الذي صنع العدل صناعة جديدة في جو أنكر عليه هذا الاعتدال . كل الذين كانوا يشهدون عمله يحضونه على النقيض لكنه ابى لأنـه لم يعبأ بهـؤلاء المشاهدين من كل أمية لأن العبء الثقيل عليه هو أن يشهده الله يخلط الباطل بالحق . كان في تلك الصورة التي كانت عليها أمه .. قالت لأمها : لن أخلط اللبن بالماء اذا لم يشهدنا أحد من الناس ، أو لم يميز ذلك أحد من الناس فإن الله شاهد علينا . كانت هذه الطفلة أم عمر بن عبد العزيز . وكان الرجل في كل ما صنع من عدل ابن جده عمر ابن الخطاب .. ابن جده عاصم بن ابى الاقلح كأنما لم يكن جده الحكم بن ابى العاص ، ولا عمه عقبة بن أبى معيط ..

إنه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

● ولنعمت فعال من خلال الأبطال . هي في صور زاخرة ، لعل فيها ومنها ما يهزاردان الرجال الصوانين للأرض والعرض ..

تحدثوا : إن عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما ، جلس الى معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما ، في زورته الى المدينة المنورة ابان ملكه العريض ..

ـ فقال معاوية لابن الزبير : إني لأشكو اليك الحسن بن علي .. ما زارني إلا مرة واحدة .

ـ فأجابه ابن أسماء ذات النطاقين : إن الحسن يرضيك بظاهره ، أما باطنه فحـرب عليك ، لو شاء أن يطلق في العراق عليك مائة الف سيف لفعل .

ـ قال ابن هند : اردت أن تغيظني وتغريني به .. والله لأواسينه ولأصلن رحمه ..

وفعلها أبو الاملاك ..

خلة في كسرى العرب ، هي كما قال فيه عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : لا يؤخذ الأمر من فوق رأسه إلا اذا كان تحت قدميه ، ذلك الذي يضحك عند الغضب ..

بهذه الخلال .. الحلم ، والحساب الدقيق ، والنظر البعيد والصبر على أبن العم ، والحزم حتى الصرامة ، والعزم لئلا تكون الندامة .. ساد معاوية الأبطحى الدمشقي الأموي القرشي العربي .. فساد ملكا عريضا ، وساق للهداية فتحا واسع المدى . فاكمل الأمويون بالألف شهر التسعين عاما .. مائة وعشرين عاما لم يذق المسلم ذلة من عدو .. ولم يشبع شعوبي من دم العربي ..

وبعدها من عام ١٣٢ هـ ، انحسر الفتح ، وانكسرت أنفس عربية ، واستغولت مذاهب مارقة ، وفتن حارقة .. وقتل السيف الطلائع العريقة ، قوادا كبارا ، وفرسانا مغاوير .

لكن العوض قد جاء حينما انحاز الإمام العالم يصون السنة ، وإكب الفيلسوف على صناعة البيان والترجمة ، وسن القوانين في المعرفة والطب والرياضة ..

فتح في العلم ، وابتعاد عن الفتح للهداية .. او التفتح للوحدة ..

شيء جرى في سيرة الزمن ، وصيرورة الأحوال .. من يومها .. والعرب قد جلسوا يفتشون عن العودة الى عهد جديد ..

ولا جديد ..

الجديد أن يرجعوا الى ما أصلح أولهم ، ليصلح آخرهم ..



فهرس الموضوعات



إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

الكتاب		المؤلف
• الجبل الذي صار سهلاً		الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر		الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية		الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية		الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا		الدكتور سليمان محمد الغنام
• الظمأ	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
• الدوامة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى	(قصة طويلة)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة		الدكتور علي طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين؟		الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية		الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين		الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل		الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة	(دراسة وتحقيق)	الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية	(شعر)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام		الشيخ حسين باسلامة
• وقفة		الدكتور عبد الله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان	(مجموعة قصصية)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن		الأستاذ عبد الله الحصين
• علم إدارة الأفراد		الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
• الإبحار في ليل الشجن	(شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان		الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجهاً لوجه		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الحضارة تحدٍّ		الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات	(شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف		الأستاذ فؤاد صادق مفتي

- الرجولة عماد الخلق الفاضل — الأستاذ حمزة شحاتة
- ثمرات قلم — الأستاذ محمد حسين زيدان
- بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة) — الأستاذ حمزة بوقري
- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة — الأستاذ محمد علي مغربي
- النجم الفريد (ترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- مكانك تحمدي — الأستاذ أحمد محمد جمال
- قال وقلت — الأستاذ أحمد السباعي
- نبض ... — الأستاذ عبد الله جفري
- نبت الأرض — الدكتورة فاتنة أمين شاكر
- السعد وعد (مسرحية) — الدكتور عصام خوقير
- قصص من سومرست موم (ترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- عن هذا وذاك — الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- الأصداف (شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- الأمثال الشعبية في مدن الحجاز — الأستاذ أحمد السباعي
- أفكار تربوية — الدكتور إبراهيم عباس نتو
- فلسفة المجانين — الأستاذ سعد البواردي
- خدعتني بحبها (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبد الله بوقس
- نقر العصافير (شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- التاريخ العربي وبدايته — الأستاذ أمين مدني
- المجاز بين اليمامة والحجاز — الأستاذ عبد الله بن خميس
- تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها — الشيخ حسين عبد الله باسلامة
- خواطر جريئة — الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ
- السنيورة (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- رسائل إلى ابن بطوطة (شعر) — الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- جسور إلى القمة — الأستاذ عزيز ضياء
- تأملات في دروب الحق والباطل — الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
- الحمى (شعر) — الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- قضايا.. ومشكلات لغوية — الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز — الأستاذ محمد علي مغربي
- زيد الخير — الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
- كلمة ونصف — الأستاذ محمد حسين زيدان

تحت الطبع :

- هكذا علمني وردزورث — الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

العنوان	النوع	المؤلف
• عام ١٩٨٤ لجورج أورويل	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مشواري مع الكلمة		الأستاذ حسن عبد الحي قزاز
• وجيز النقد عند العرب		الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• لن تلحد		الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
• الإسلام في نظر اعلام الغرب		الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• قصص من طاغور	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• أيـامي..		الأستاذ أحمد السباعي
• ماما زبيدة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عزيز ضياء
• مدارسنا والتربية		الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
• دوائر في دفتر الزمن	(مجموعة قصصية)	الأستاذ سباعي عثمان
• من حديث الكتب		الأستاذ محمد سعيد العامودي
• الموزون والمخزون		الشيخ أبو تراب الظاهري
• ألحان مغترب	(شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• الشوق إليك	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين سراج
• وحي الصحراء		الأستاذ عبد الله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود
• لجام الأقلام		الشيخ أبو تراب الظاهري
• أصداء قلم		الأستاذ محمود عارف
• قراءات في التربية وعلم النفس		الأستاذ فخري حسين عزي
• إليهـــا	(شعر)	الأستاذ حسين سراج
• حتى لا نفقد الذاكرة		الأستاذ سعد البواردي
• غرام ولادة	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين سراج
• أحاديث		الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة
• نقاد من الغرب		الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• شيء من حصاد		الأستاذ حامد مطاوع

سلسلة :

الكتاب الجامعي

صدر منها :

- الإدارة: دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — الدكتور مدني عبد القادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الانجليزية) — الدكتور فؤاد زهران، الدكتور عدنان جمجوم، الدكتور محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة — الدكتور محمد جميل منصور، الدكتور فاروق سيد عبد السلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا — الدكتور عبد المنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره — الدكتور أحمد رمضان شقلية
- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج — الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية) — الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
- مبادىء القانون لرجال الأعمال — الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين
- الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
- مشكلات الطفولة — الدكتور محمد جميل منصور
- شعراء التروبادور (ترجمة) — الدكتورة مريم البغدادي
- الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- النظرية النسبية — الدكتور عبد الرحمن فكري، الدكتور محمد عبد الهادي كامل
- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الانجليزية) — الدكتور أمين عبد الله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق

تحت الطبع :

- الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية) — الدكتور عبد الوهاب علي الحكمي
- هندسة النظام الكوني في القرآن — الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد



صدر منها :

• حارس الفندق القديم		الأستاذ صالح إبراهيم
• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك	(باللغة الانجليزية)	الدكتور محمود الشهابي
• التخلف الإملائي		الأستاذة نوال قاضي
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	(باللغة العربية)	إعداد إدارة النشر
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	(باللغة الانجليزية)	
• تسـالي		الدكتور حسن يوسف نصيف
• مجلة الأحكام الشرعية		الشيخ أحمد بن عبد الله القاري
	(دراسة وتحقيق)	الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
• النفس الإنسانية في القرآن الكريم		الأستاذ إبراهيم سرسيق
• خطوط وكلمات	(رسوم كاريكاتورية)	الأستاذ علي الخرجي
• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية	(باللغة الانجليزية)	الدكتور عبد الله محمد الزيد
• صحة العائلة في بلد عربي متطور	(باللغة الانجليزية)	الدكتور زهير أحمد السباعي
• مساء يوم في آذار	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد منصور الشقحاء
• النبش في جرح قديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ السيد عبد الرؤوف
• الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام		الدكتور محمد أمين ساعاتي
• الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك		الأستاذ أحمد محمد طاشكندي

تحت الطبع :

• الموت والابتسامة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
• العقل لا يكفي	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي الشيخ
• أيام مبعثرة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ فؤاد عنقاوي
• رحلة الربيع		الأستاذ فؤاد شاكر
• مواسم الشمس المقبلة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي قدس
• الوحدة الموضوعية في سورة يوسف		الدكتور حسن محمد باجودة
• ماذا تعرف عن الأمراض ؟		الدكتور إسماعيل الملباوي
• الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية		الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
• ملامح وأفكار مضيئة		الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
• أضواء على نظام الأسرة في الإسلام		الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

- وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- سوانح وخطرات — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
- القرآن.. ودنيا الإنسان — الأستاذ صلاح البكري
- أدباؤنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي بركات

رسائل جامعية

صدر منها:

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزي
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — الأستاذة أميرة علي المداح
- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود
- الخراسانيون ودورهم السياسي — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- القصة فى أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله باقازي

تحت الطبع:

- نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- افتراءات فليب حتّى، وبروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبد الكريم علي باز
- الامكانات النووية للعرب وإسرائيل — الأستاذ صدقة يحي فاضل
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبد الحي رضوان

كتاب الناشئين

وطني الحبيب

صدر منها:

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

تحت الطبع:

- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- حكايات للأطفال — الأستاذ عزيز ضياء
- قصص للأطفال — الأستاذة فريدة فارسي

كتاب للأطفال

لكل حيوان قصة ـ الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

صدر منها :

- القرد..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاة
- الجمل
- الذئب
- الأسد
- البغل
- الفأر..
- الحمار الأهلي
- الفراشة
- الخروف
- الفرس
- الدجاج
- البط
- الغزال
- الحمار الوحشي
- الببغاء
- الوعل
- الجاموس
- الحمامة

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English By Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
  By F. M. Zahran, A.M.R. Jamjoom, M.D. EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian Third Five year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat
  By Dr. Amin A. Siraj, Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Dr. Baha. Bin Hussein Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia